

A. U. B. LIBRARY

892.78  
S563bA  
c.1

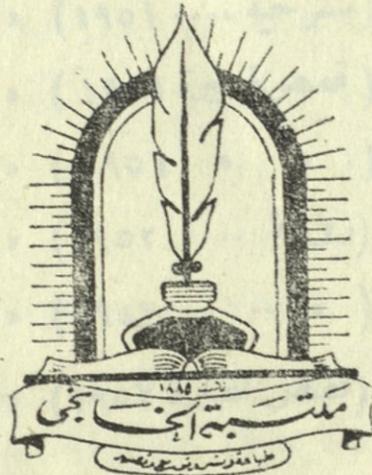


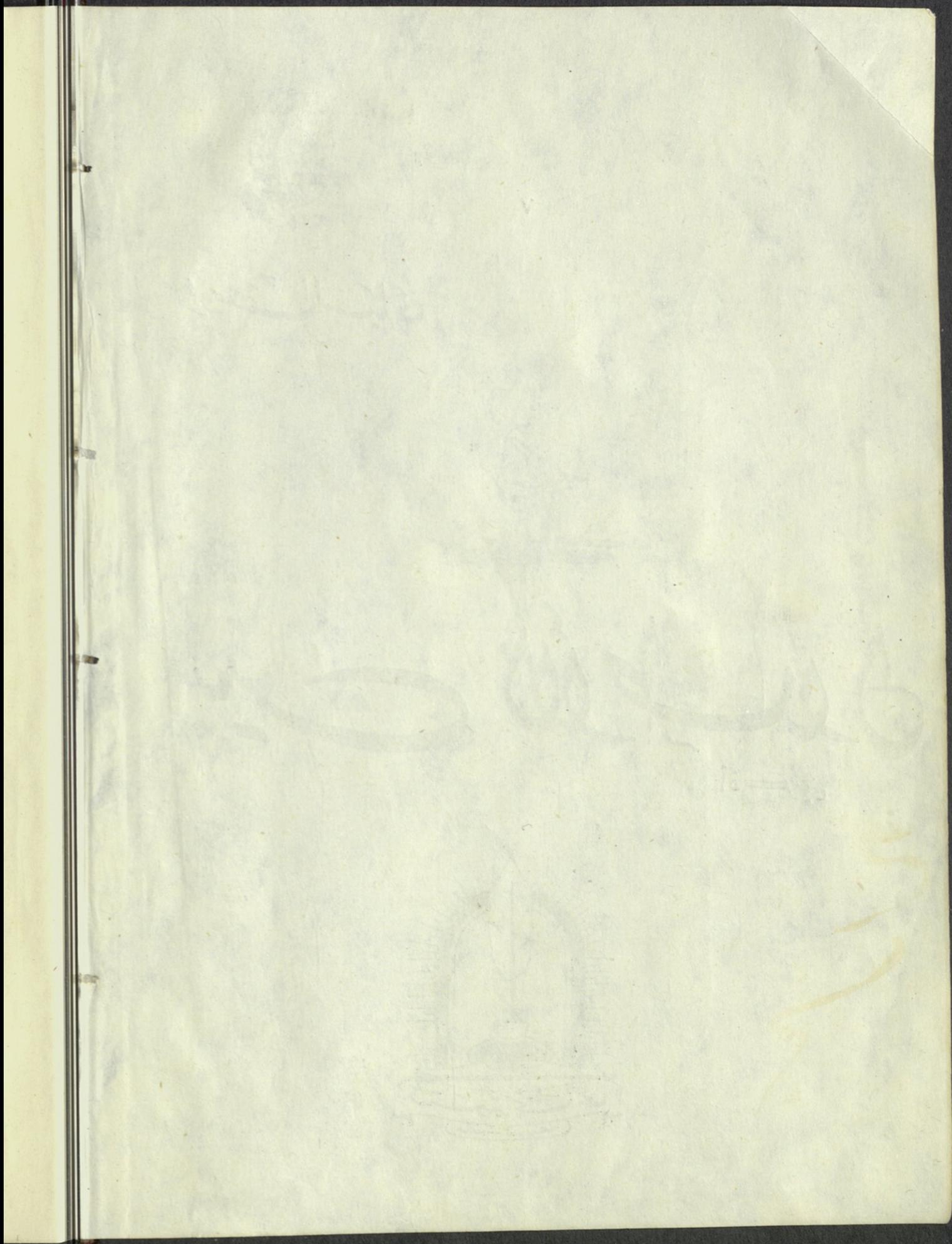
يوسف السباعي



# بيت الله طيب

أذكريني





# للمؤلف

- أطياف ... (قصص قصيرة ١٩٤٧) الناشر مكتبة الخانجي
- » » » (رواية ... ١٩٤٧)
- » » » (قصص قصيرة ١٩٤٨)
- » » » ( » » ١٩٤٨ )
- » » » ( » » ١٩٤٨ )
- » » » ( » » ١٩٤٩ )
- » » » (رواية ... ١٩٤٩)
- في موكب الهوى . (قصص قصيرة ١٩٤٩) دار الفكر العربي
- من العالم المجهول . ( » » ١٩٤٩ ) مكتبة الخانجي
- هذه النفوس ... ( » » ١٩٥٠ ) دار الفكر العربي
- إني راحلة ... (رواية ... ١٩٥٠) مكتبة الخانجي
- مبكي العشاق . ... (قصص قصيرة ١٩٥٠) دار الفكر العربي
- بين أبو الريش  
وجنينة ناميش (قصص قصيرة ١٩٥٠) مكتبة الخانجي
- أغنيات ... (قصص قصيرة ١٩٥١) » » »
- أم رتبية ... (مسرحية ... ١٩٥١) » » »
- هذا هو الحب ... (قصص قصيرة ١٩٥١) دار الفكر العربي
- صور طبق الأصل ( » » ١٩٥١ ) مكتبة الخانجي
- بين الأطلال ... (رواية .. ١٩٥٢) » » »
- السقامات ... ( » » .. ١٩٥٢ ) » » »
- سحر الليالي ... (قصص قصيرة ١٩٥٢) دار الفكر العربي

- الشيخ زعرب... (قصص قصيرة ١٩٥٢) الناشر مكتبة الخانجي  
 نفحة من الإيمان ( ) ( ) (١٩٥٢) دار الفكر العربي  
 وراء الستار... (مسرحية... ١٩٥٢) مكتبة الخانجي  
 ست نساء وستة رجال... (قصص قصيرة ١٩٥٣) ( ) ( ) ( )  
 هذه الحياة... ( ) ( ) ( ) (١٩٥٣) دار الفكر العربي  
 البحث عن جسد (رواية... ١٩٥٣) مكتبة الخانجي  
 جمعية قتل الزوجات (مسرحية... ١٩٥٣) النهضة المصرية  
 فديتك يا ليلي.. (رواية... ١٩٥٣) مكتبة الخانجي  
 ليلة خميس... (قصص قصيرة ١٩٥٣) مكتبة الخانجي  
 همسة غابرة... ( ) ( ) ( ) (١٩٥٣) دار الفكر العربي  
 رد قلبي... (رواية في جزئين ١٩٥٤) مكتبة الخانجي  
 ليال ودموع... (قصص قصيرة ١٩٥٥) ( ) ( ) ( )  
 طريق العودة... (رواية... ١٩٥٦) الشركة العربية  
 أيام تمر... (مقالات... ١٩٥٧) ( ) ( ) ( )  
 من حياتي... ( ) ( ) ( ) (١٩٥٨) ( ) ( ) ( )  
 لطات ولثامات. (مقالات ١٩٥٩) الناشر المكتب التجاري بيروت  
 فادية... (رواية في جزئين ١٩٦٠) الناشر مكتبة الخانجي  
 جفت الدموع... (رواية في جزئين ١٩٦١) ( ) ( ) ( )  
 أيام مشرقة... (مقالات... ١٩٦١) ( ) ( ) ( )  
 أيام وذكريات... ( ) ( ) ( ) (١٩٦١) ( ) ( ) ( )  
 أيام من عمري ( ) ( ) ( ) (١٩٦٢) ( ) ( ) ( )  
 ليال له آخر... (رواية في جزئين ١٩٦٤) ( ) ( ) ( )  
 أقوى من الزمن (مسرحية ١٩٦٤) الناشر مكتبة الخانجي

جميع الحقوق محفوظة لل المؤلف

... في علم الدين...  
... كتابنا لا يحكموا...  
... كتابنا...

# بسم الله الرحمن الرحيم

... في علم الدين...  
... كتابنا لا يحكموا...  
... كتابنا...

## الاهل

إلى المهمة النسائية...  
... كتابنا لا يحكموا...  
... كتابنا...

أينما كانت...

وكيفما كانت...

بسم الله الرحمن الرحيم

... في علم الدين...  
... كتابنا لا يحكموا...  
... كتابنا...

# مقدمة

سألني أحدهم عما يدعوني إلى هذه المقدمة التي تعودت أن أبدأ بها كتيبي  
وأنبأني أنها لا فائدة منها ولا داعي لها .

وقد يكون علي حق ، فما حاولت من قبل أن أقرأ مقدمة كتاب ، بل إنني  
غالباً ما أتجاوز عن بضع الصفحات الأولى ، وأبدأ القراءة من أول الكتاب .

ويبدو لي أن هذا ما يفعله الكثير من القراء ، ومع ذلك فإنني مصر على  
أن أكتب المقدمة ، إذ أحس برغبة في التحدث إلى قارئ ، وأكره أن أجهد  
نفسي في كتابة كل هذه الصفحات ، ثم ألتقي بها إليه بلا كلمة واحدة بيني وبينه ..  
بل أقدمها في صمت .. وأنصرف عنه في صمت .. بلا حتى « سلامو عليكم ،  
أو « خذ أقرأ هذه .. عليها تعجبك ! ، .

وعلى ذلك فأنا أكتب المقدمة لأشعر نفسي أنني لا أكتب الكتاب ثم  
ألتقي به في بحر خضم متلاطم القراء .. مجهول الحدود ، مبهم التفاصيل .. بل  
أكتب لإنسان مميز معلوم أعرفه ويعرفني .. وأحادثه ويجيب عليّ .

وقبل أن أذكر للقارئ شيئاً عن هذه القصة التي بين يديه ، أود أن أسرد له  
حديثاً جرى بيني وبين الأستاذ « بدیع خیری » عندما كنت أزوره في المستشفى  
عقب عملية جراحية أجريت له ، وكان قد انتهى من كتابة مسرحية جديدة  
وهو طريق الفراش .. وقلت مبدئياً رأيي في المسرحية عقب مشاهدتها :

— إنها رائعة .. مضحكة جداً .

فأجابني وهو يهز رأسه في عجب :

— لو علم الذين ضحكوا منها كم قاسيت في كتابتها لما ضحكوا .. لقد كنت  
أكتبها وأنا شاك مرجع .. بين الحقن والغيارات .

ثم هز رأسه وارده قائلاً :

— هذه حرقه .. لا بد من سبت في أي ظرف وفي أي وقت .. لقد  
زرت ذات مرة صديقاً لي في عزبته ، فأنبأني بأنه سيهيء لي جو أعظيماً للكتابة :  
نسيماً عليلاً ، وماء سلسيلاً ، وخضرة صفتها كذا وكذا ، ووضعني صاحبي في  
هذا الجو الساحر .. فلم أكتب شيئاً ، ودهش صاحبي وسألني : ما بالك لا تكتب ؟  
فقلت له : يا عم أنا مش واخذ على الحاجات دي .. متخسر نيش .. أنا واخذ على  
الكتابة على الرصيف وسط الكلا كسات وصریح العريجية الخنطور .. وهو  
أنا لو كنت ما أكتبش إلا في الخضرة والهدوء والنسيم العليل .. كان عمري  
كثبت حاجة ؟ .. ومنين بس حاجيب النسيم العليل ده كل ما أحب أكتب .

ويبدو لي أني من نوع الأستاذ مدبوع .. أعني كاتب غير مرفه .. لا أحتاج  
قط إلى نسيم عليل وماء سلسيل .. فأنا عندما أبدأ الكتابة أصبح كالمحكوم  
عليه بالكتابة مع الأشغال الشاقة .. فأنا آخذ نفسي بغير رفق ولا هوادة  
ولا راحة .. بل أحبس نفسي في حجرة .. وأظل أكتب ، وأكتب  
بلا توقف .. كما أني أخشى أن تفر مني القصة ، ويداخلني إحساس بأنني لو لم  
أكتب القصة في نفس واحد ، وكتبتها على فقرات أعطى نفسي في خلالها الراحة  
الكافية لخرجت القصة غير متماسكة ولا متناسقة .. بل مرقعة مهلهلة .

هذا هو ما أتخيله . لست أدري مداه من الصواب والخطأ .

وهذه القصة كتبتها بنفس الطريقة .. طريقة السجن مع الكتابة .. فقد  
بدأتها في رمضان سنة ١٣٧٠ هـ (١٩٥١ م) إذ وجدت الصيام يهيء لي ساعات  
طويلة متواصلة من الكتابة بلا توقف .

وهكذا بدأت عملية الخبز يوماً من الساعة التاسعة صباحاً حتى الخامسة  
مساءً ، وفي اليوم العشرين كنت قد انتهيت من القصة .  
ومرة أخرى أشعر بقلق شديد . فإن هذا الاندفاع في كتابة القصة  
أفقدني قدرتي على الحكم عليها ، وإن كان يظمئني بعض الشيء . . . التقدير الذي  
لقيته قصة « إني راحلة » التي كتبتها بنفس الطريقة المندفعة السريعة .  
وبعد . . . هذه هي المقدمة . . . — وكما سبق القول — إني أعتبرها مجرد  
« سلامو عليكم » ، فهي تحية صداقة لقاريء قديم ، وتحية تعارف لقاريء  
جديد . . . فإن لم يقرأها القاريء فلا سلام عليه ، وإن قرأها فعليه السلام

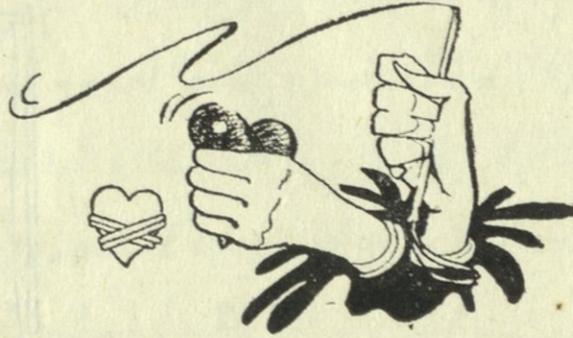
يوسف الصياغي

الصور بريشة الفنان الأستاذ

حسن محمد حسن

الجزء الأول

# سَوَاطِرُ عَلَى قَلْبٍ



وهكذا بدأت حياة الخبير يوماً ربيعاً في كنفه من اللامعة  
 حياءً، وفي اليوم العشرين كنت قد كتبت من العيون  
 ورمية الحصى أشرف قتي جديد، فيكون هذا الانتفاع في كتاب القصة  
 الخلق ليدل على المنهج عليها، وإن كان يمكن بعض الشيء من التعمير الذي  
 كتبه في سنة ١٩٥٠، إن كنتها بغير الطريقة التي كتبت بها  
 وكتبت هذه من القصة، وقد كان في القول بأن إن أعتدتها مجرد  
 ديوان حبيب، غير قصة مستقلة تقرأ، فليس في وتمة عارف لقاري  
 حينئذ إن أراد القاري أن يقرأها، وإن أراد عليه أن يقرأها

# بَيْتٌ رَمِيَتْهُ





أطالت «سامية» الوقوف  
أمام المرأة .. وأخذت  
تفحص نفسها جيداً .



إنها تشعر لأول مرة .. أنها تهم باستعمال سلاح طالما  
احتقرته .. وأستكبرت عليه .. وأنفت من استعماله .  
إنها توشك أن تستعمل سلاح جمالها وفتنتها .. وهو  
سلاح عتيق في نظرها ماظنت قط أن الظروف ستلجئها إليه .  
ولكنها الآن وهي تستعرضه أمامها بعد أن باتت في حاجة  
إليه .. ترى أنه لن يخذلها .. إنه ليس بمفلول ولا صدىء .  
كانت « سامية » مخلوقة ذكية .. مفرطة الذكاء ..  
شديدة الثقة بذهنها وسلامة تفكيرها .. وقد دفعها هذا  
الاعتداد بعقلها .. إلى الانكباب على الدراسة والميل إلى  
التحصيل والاندفاع وراء الشهادات .

كانت تليذة أكثر منها أي شيء آخر .  
ويعلم الله أيهما كان أسبق من الآخر .. أو أيهما كان  
علة الآخر ، أهو برودها العاطفي وضعف الأنوثة في نفسها  
الذي سبب اندفاعها في الدراسة ، وإفراطها في التحصيل  
والقراءة .. أم أن هذا الاندفاع والإفراط هما اللذان سببا  
برودها وعدم إحساسها بأنوثتها ؟

على أية حال . . . سواء أ كان هذا سبب ذلك . . . أم ذلك  
سبب هذا . . . لقد كانت هي لا تشعر بأية غرابة في تصرفها  
وإحساسها . بل كانت تجد أن هذا هو الطريق الطبيعي  
الذي يجب أن تسير فيه كل فتاة .

كانت تدرك أن هذا هو طريق استقلال المرأة . .  
وحصولها على حرّيتها في التصرف في الحياة . . . والبت في  
مصير نفسها .

كانت تعرف أن سبب الاستعباد هو العجز والحاجة ،  
فالمرأة مستعبدة . . . لأنها تجلس على قارعة طريق الحياة . .  
متطرة من يأخذ بيدها فيأويها ويطعمها ويكسوها . .  
ويعطيها إسماً ومعاشاً . . . إن مصيرها في الحياة وأملها في  
الأرض معلقان على عابر السبيل الذي سيتناولها من بين  
آلاف المنتظرات . . . ليسير بها في ركب الحياة . . . وبغير  
هذا تبقى العمر مترقبة تتلطف في إعياء ويأس .

حمق !! وغباوة !! هذا هو ما جعل النساء في الأرض  
مستعبدات ذليلات . . . إنهن يشكون لأن الرجل يتحكم في  
مصيرهن !

ماذا يمنع من ذلك ؟ . ما دمن هن قد وضعن مصيرهن  
في يده ، وعلقن به حياتهن . . . لا . . . لا . . . يجب عليها  
ألا تجلس في انتظاره . . . إنها ستسير من البداية في الركب . .

إن حاجته إليها أكثر من حاجتها إليه . . . ستسير معه جنباً  
إلى جنب ، بل ستسبقه في السير . . . ستكون هي المسيطرة  
على نفسها . . . المتحكمة في مصيرها . . . وإنما لن تجلس قط في  
انتظار « العروس » . . . بل لن تحاول أن تشعر نفسها أنها  
في حاجة إلى رجل . . . ولن تدع مخلوقاً يتحكم في مصيرها .  
بهذا التفكير . . . أخرجت من دهنها ومن قلبها كل  
إحساس بأنوثة .

كانت تكره العجز والامتكانة ، وكانت تشعر  
في نفسها أنها أذكى من كل من حولها . . . فلم لا تسير  
في طريق الاستقلال دون أن يكون لأحد سيطرة عليها . . .  
كقلب . . . أو روح . . . أو جسد ؟  
ولقد نجحت في خطتها ولاشك . . . إن طبيعتها الهادئة ،  
وتفكيرها الرزين ، وتربيتها الطيبة . . . وعاطفتها المستكنة  
في هدوء بلغ حد البرود . . . كل ذلك قد ساعدها في ميلها ،  
وجعل منها نموذجاً لطالبة علم .  
ولم تحاول « سامية » أن تتبع طريق الوقار والجد  
والتحفظ ، والمبالغة في الاحتشام والانطواء ، فقد كان هذا  
لا يلائم طبيعتها ولا ذكائها ، وكانت تعرف أن هذا طريق  
كبت ووجوم لا يلبث أن يؤدي بها إلى الضيق بحياتها  
والتبرم بدراستها .

وكانت مخلوقة ، مرحة ، ضاحكة ، وكان مظهرها المرح  
لا ينبئ عن هذا التفوق الذي تحصل عليه ، ولذا فقد كانت دائماً  
موضوع دهش مدرّساتها اللاتي كن يتهمنها دائماً بأنها لعبة .  
وعندما حصلت على البكالوريا ، أنبأت أمها أنها تريد  
أن تم دراستها في الجامعة ، فرجبت أمها بطلبها ، إذ كانت  
دائمة الترحيب بكل مطلب لها فهي شديدة الحب لها والثقة بها .  
وفي الجامعة وجدت مشقة كبيرة في الاستمرار على  
طريقتها في معاملة الناس ، فقد كان من العسير عليها المحافظة  
على سمعتها الطيبة مع مرحها وعدم تكلفها .

كانت المسألة تختلف كل الاختلاف عن مدرستها الثانوية  
التي لم يكن بها سوى البنات ، والتي لم يكن هناك موضع  
لسوء تأويل مرحها وبساطتها وضحكها وحبها لزميلاتها .  
لقد بدأت تقاسي في الجامعة من الفتية ما لم تتعوّده  
كانت كل ضحكة استهتاراً ، وكل ابتسامة .. غمزة ، وكل كلمة  
رقيقة وقوعاً في هوى

قاست طبيعتها في أول الأمر . . ولكنها لم تلبث  
أن تفرض عليهم شخصيتها كما هي ، ولم يلبث الكل أن فهموها  
على حقيقتها ، وعندما فشل كل قتي في أن يجعل منها حبيبة  
خاصة ، أحبوا بالإجماع حباً يملؤه الاحترام والتقدير  
وجعلوا منها صديقتهم جميعاً .

كانت مخلوقة جذابة مسيطرة .. لم تحاول قط أن  
تستعمل في سيطرتها سلاح المرأة .. فقد كانت تعلم أنه قد  
يكون مرهفاً حاداً ، ولكنه قصير الحد ، سطحى الإصابة ،  
محدود الأثر .. أما سلاح الذكاء وفضانة الذهن ، وطيب  
الخلق ، وحسن المعاملة ، فقد كان أوسع أثراً وأبعد مدى .  
وكانت تكره أن يمتدح أحد مظهرها ، ولم تحاول قط  
أن تفحص بعين الإعجاب وجهها أو تتبين قوامها .. فقد  
كانت لا تجد في هذه الميزات السطحية ما يستحق الفخر ،  
وكانت دائمة الصدف لكل هجوم عاطفي .. شديدة التباعد عن  
كل إرهاب للحس وإثارة للشاعر .

وانتهت الدراسة الجامعية ، وحصلت على دبلوم الآداب  
بتفوق .. ولم يكن سنها يزيد على الاثني والعشرين عاماً .  
وسألتها أمها وهي تقبلها وتضمها إليها :  
— ماذا تنوين بعد هذا ؟  
— الدكتوراه .

وهزت أمها رأسها في عجب وتساءلت :  
— وما آخر هذا .. إنك تجهدين نفسك ، وأنت لست  
في حاجة إلى كل هذه الشهادات .. إن مصيرك إلى الزواج  
كصير أي فتاة ، ولن تكون الدكتوراه التي ستتعين نفسك  
في الحصول عليها ، بذات أثر كبير عند ما تقعين في بيتك .

— لن أقبع في بيت... سأواصل الدراسة حتى النهاية .  
إني لن أتزوج ، ولن أفكر في الزواج .  
وضحكت أمها وربتت على كتفها وقالت لها كأنها غدت  
طفلة غريبة :

— بل ستزوجين يا حلوة .. وستسنين كل هذه  
الخرافات التي تدرسينها ولن تحتاجي إلا إلى مهارتك في تربية  
أولادك والسهر على راحتهم وترويض زوجك على ما فيه  
سعادتكما ، ولا أظن الدكتوراه ستمنحك خبرة كبيرة في  
هذه المسائل .

— لا تخشى عليّ .. ستسمعين عني في الغد .. سأجعلك  
أماً لأول وزيرة في مصر . إن لي أهدافاً كبيرة .. سأحرر  
المرأة وأعطيها حقوقها .  
وهزّت الأم رأسها في يأس . وقالت لها :  
— يالك من فتاة حمقاء !.. ألا تعلمين أن حق المرأة في  
بيتها .. بين زوجها وأولادها !

— إن هذا هو الذي يفسد كل شيء . إن حق المرأة في  
الحياة والمجتمع كحق الرجل سواء بسواء .  
— ما علينا .. أنت وما تشائين .. قومي للعشاء .  
واستقر رأيا أخيراً على الطريقة التي تحصل بها على  
الدكتوراه .

كان عليها أن تدخل معهد الصحافة ، فتدرس به ثلاث  
سنوات .. فإذا ما حصلت على الماجستير أمكنها أن تقدم  
رسالتها للحصول على الدكتوراه .  
وكان سبب اختيارها لمعهد الصحافة ، . هو ميلها إلى  
للكتابة واعتقادها أن طريق الصحافة هو خير وسيلة لتحقيق  
غرضها وبلوغها أهدافها التي تسعى إليها في تحرير المرأة .  
وكان عليها أن تؤدي امتحان الدخول . وفي عصر اليوم  
المحدد كانت تجلس في المدرج المتسع لمئات الطلاب  
والطالبات ، وكان المدرج يطن بأحاديثهم كأنه خلية النحل  
وقد أخذوا يتحدثون قبل بدء الامتحان .  
واستطاعت أن تميز الكثيرين والكثيرات من زملائها  
وزميلاتها في الكلية ، وأخذت توزع التحيات والابتسامات  
والضحكات هنا وهناك ، وكان بين الممتحنين كثيرون من  
خريجي الكليات الأخرى ممن لم ترهم من قبل .  
وبدأ المراقبون يتوافدون الواحد بعد الآخر ، ثم  
أخذوا في توزيع أوراق الإجابة ، وبعد برهة قصيرة أقبل  
أحد الأساتذة يحمل مظروفاً به ورق الأسئلة ، ووزعت  
الأسئلة ، وساد السكون إلا من بضعة أسئلة تتصاعد من هنا  
وهناك .. ما لثت حتى خفتت وانهمك الكل في الإجابة  
ولم تكن قد استعدت للامتحان استعداداً خاصاً ، فقد

كان الامتحان غير محدود الأبواب وكان لا يستلزم إلامعلومات  
عامة .. كان امتحاناً في العربية والإنجليزية والترجمة .

ولم تكن تقييم وزناً لامتحان العربية .. فقد كانت تعتبر  
نفسها في العربية أستاذة .. كانت كاتبة جيدة ، وكثيراً  
ما نشرت لها الصحف الكثير من المقالات .

ولم تكن أيضاً تأبه للترجمة ، لأنها كانت تعرف أنها  
ترجمة من الإنجليزية إلى العربية ، ولو كانت العكس ..  
لأقضت مضجعها .

أما الذي كانت تكرهه وتحشاه فهو امتحان الإنجليزية  
لقد كانت على قوتها في كل المواد .. تكاد لا تحصل في  
الإنجليزية من الدرجات إلا عن الكفاف ، على ما يكاد  
يجعلها تمر ، وكانت تقول مازحة .. إنها تقصد مقاطعة  
الإنجليز وإعلانهم بكرها لهم ورغبتها في جلائهم .  
وكان أول امتحان هو الإنجليزية .

وجلست تقرأ الورقة مرة وثانية ، وهي تسلي بقضم  
أظافرها .. عادة مخزية في مثل سنها .. إذ كانت لا تترك  
لأظافرها فرصة النمو والظلاء ، ولكنها لم تكن تستطيع  
التخلص منها .

كان الامتحان لا يزيد عن كتابة موضوع إنشائي ..  
وكانت مطمئنة إلى أنها ستعرف كيف تدرش .. وإن

عجزها في الانجليزية لن يمنعها عن ملء بضعة صفحات  
بالكلام « الفارغ »

ولكنها فوجئت في رأس الموضوع الأول ، بكلمة  
لا تعرف لها معنى .. كلمة لم تسمع بها من قبل .  
وتركت الموضوع الأول . حمداً لله . إن لديها فرصة  
للاختيار .

وهبطت بنظرها إلى الموضوع الثاني .. إنه يبدو سهلاً !!  
ولكن سحماً له .. ما معنى هذه الكلمة ؟ . إنها لم تسمع بها  
أيضاً من قبل .

وتملكها ارتباك شديد .. ماذا يقصدون بهذا ؟ وماذا  
تستطيع أن تكتب وهي لا تفهم ماذا يطلبون منها ؟  
وتلفتت حولها في قلق فلم تجد أحداً تعرفه عن يحيطون بها ،  
ويجها ! أهكذا يجذها الامتحان هذا الخذلان ؟ أترسب  
في امتحان الدخول وهي التي أنبات أمها بثقة وسداجة أنها  
قد نوت الحصول على الدكتوراه ؟ . أتقف كلمة في سبيل  
مستقبلها ، وتحريرها للمرأة ؟  
لو تعرف نساء مصر أن مصيرهن معلق بهذه الكلمة ،  
لأحضرن طا قواميس الأرض .

ولكنها لن تخذل . لن تئس .. إنها ستسأل جارها ..  
إنه يبدو سمياً « كالحلوف » وقد أكب على ورقته ، وأخذ

يزفر ، وينفخ ، ويمسح العرق المتصبب من وجهه ، كأنه في  
عراك مع ورق الإجابة . ترى من أية كلية هو ؟ إنه لا يبدو  
متخرجاً في كليات .. إن به شهاً كبيراً من بقال رومي قريب  
من دارهم . كيف سمحوا له بدخول الامتحان ؟ ولكن  
ما لها هي ولهذا . إن عليها أن تسأله فقد يجيبها .

وتلفتت نحوه ، ثم همست متسائلة عن معنى الكلمة .  
ولم يبد عليه أنه سمعها .. فعادت تهمس مرة أخرى .  
وأخيراً تلفت إليها في ضيق ، ونفخ بأنفه نفخة حارة .. ثم  
عاود الانكباب على الورق .

وأحست بالحيلة ، وعادت تقرأ ورقة الأسئلة ، ثم  
هزت رأسها في يأس .

وتلفتت نحو المراقبين ، وقد تناثروا في أنحاء المدرج .  
إنها تعرف أحدهم ، معيداً في اللغة العربية . ترى هل يعرف  
معنى الكلمة ؟ لا تظن ، وبالسخافة !! ما فائدة أن يحضروا  
مدرس العربية في امتحان الانجليزية !

وهي تعرف البعض الآخر بمجرد النظر .. سبق لها أن  
رأتهم في أنحاء الكلية ، ولكنها لا تعرفهم معرفة شخصية ،  
ولا شك أنهم لن ييخولوا بالإجابة  
ولكن من هذا ؟ .

إنه فتى صغير ، يتحدث مع أحدهم ، لا شك أنه طالب .

ولكن ماذا أوقفه في زمرة المراقبين؟ ولماذا لا يجلس  
للامتحان؟ قد يكون طالباً من الخارج، يسأل عن أى  
شياء؟ ولكن ماله يتحدث هكذا بدون كلفة، ويتكلم  
بيده على المنضدة؟ قلة أدب، إنه طالب وقع.. إنها تكره  
الطلاب الوقحين، على أية حال هذا ليس وقته الآن.. المهم  
أن تجد من يذكر لها معنى الكلمة.

ووجدت الفتى قد غادر موقفه أمام المراقب، ثم أخذ  
يتجول في المدرج.. منتهى قلة الأدب. إن شكله لا بأس  
به.. فهو أنيق إلى حد ما.. ولكن هذا لا يعطيه الحق  
في التجول في مدرج الامتحان. إنه يقترب منها.. يقترب..  
يقترب.. لقد وصل بجوارها.

ورفعت رأسها تحديق فيه بدهش.. وأصابه من تحديقها  
شيء من الارتباك. وتحسس كرافته وياقته، ليطمئن على  
أن ليس به شيء مشير.. ثم لم يتمالك أن هز رأسه وسألها  
مستنكراً:

— فيه حاجة؟

وقاحة.. ماله وماها.. وسألته بنفس الاستنكار:

— ماذا تفعل هنا؟

وعلت وجهه الدهشة وأجابها ببساطة:

— أراقب.

— تراقب؟ تراقب من؟

— الممتحنين .. أنت وأمثالك؟

— أنت مراقب؟

— أجل! أفي ذلك ما يزعجك؟

— أبدأ .. أبدأ .. فقد ظننتك طالباً .

وبدا كأن الحديث قد أزعج « الحلوف » المنهمك في  
الكتابة بجوارها . فقد التفت إليها في غيظ وقال مسكناً  
إياها وعلى وجهه علامات الحنق :

— هـش .

وأومات برأسها مهدئة ، وقالت له :

— حاضر .. لقد سكت .

وأكبت على الورق في صمت .. فسألها الفتى ( كانت

تأبى أن تسميه في ذهنها إلا كذلك ) المراقب :

— ما بالك لا تكتبين؟

— سأكتب .

— ولكن معنى نصف ساعة أو أكثر وأنت لم تكتبي

شيئاً!

— وما أستطيع أن أكتب ، وأنا لا أعرف ماذا

يريدون مني أن أكتب؟

— ماذا تقصدين؟

— لست أفهم رأس الموضوع .  
— اكتبني عن الآخر  
— ولا الآخر .  
— كيف ؟

وعاد « الحلوف » ينظر إليها مغتاظاً ويزجرها بقوله :  
— هش .

ولكنها صاحت به ثائرة :  
— هش انت .. بلاوى .. حد عمك حاجه ؟

ثم أردفت قائلة للمراقب :  
— يوجد كلمة لا أعرف لها معنى .

— ما هي ؟  
— أظنك ستعرفها ؟

— ربما .. فإني مدرس انجليزية  
— أنت . مدرس انجليزية ؟

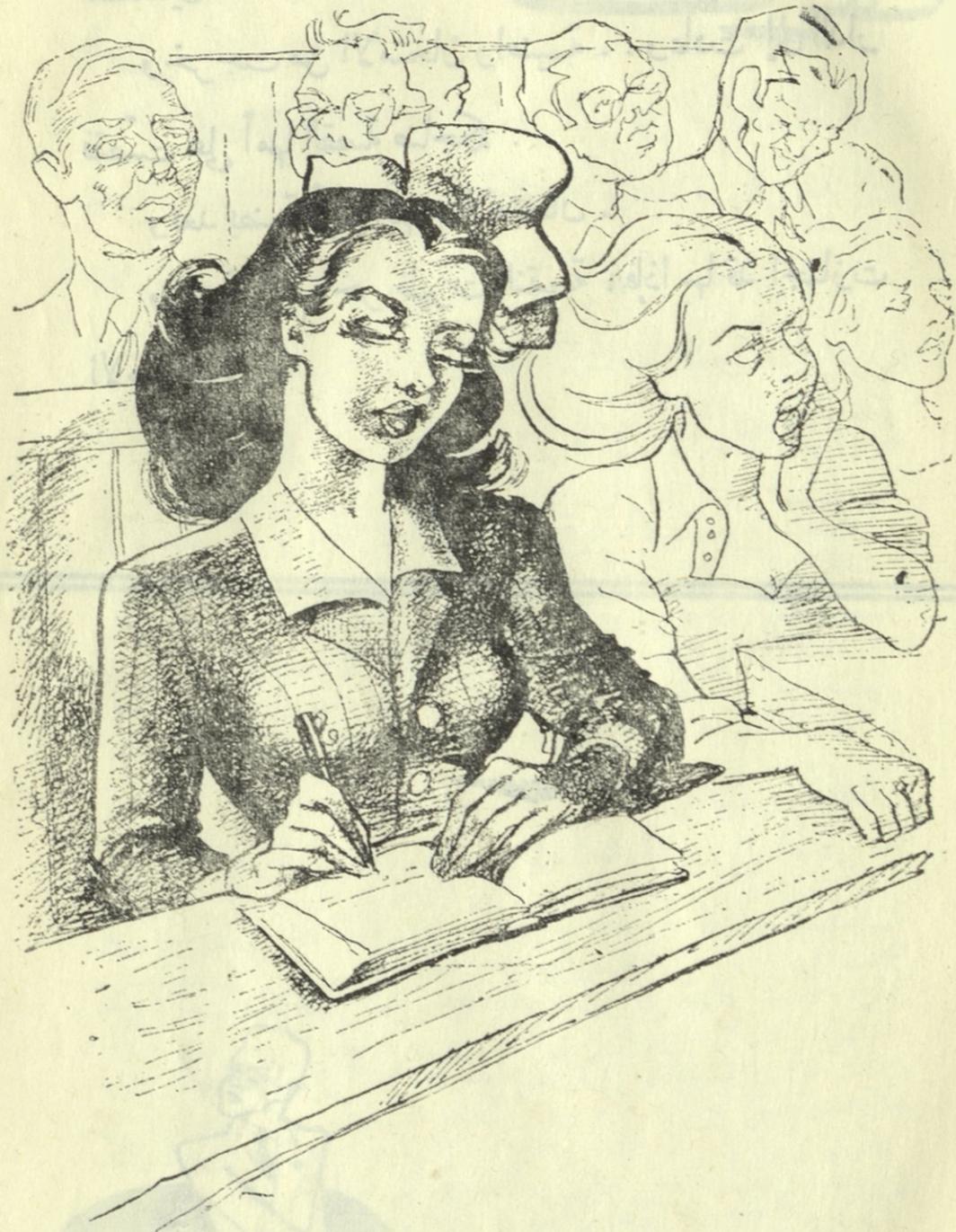
— أجل !  
ودفعت الورق أمامه ، وأشارت بقلبها إلى الكلمتين

واضعة خطأ تحت كل منهما .  
وأجابها المراقب ببساطة :

— هذه تعني كذا ، وتلك تعني كذا .. أظنك تستطيعين

رأه ربحه ختال ، زینقالمانه مقله امانه ، زجا قولتدا

زینختلدا .



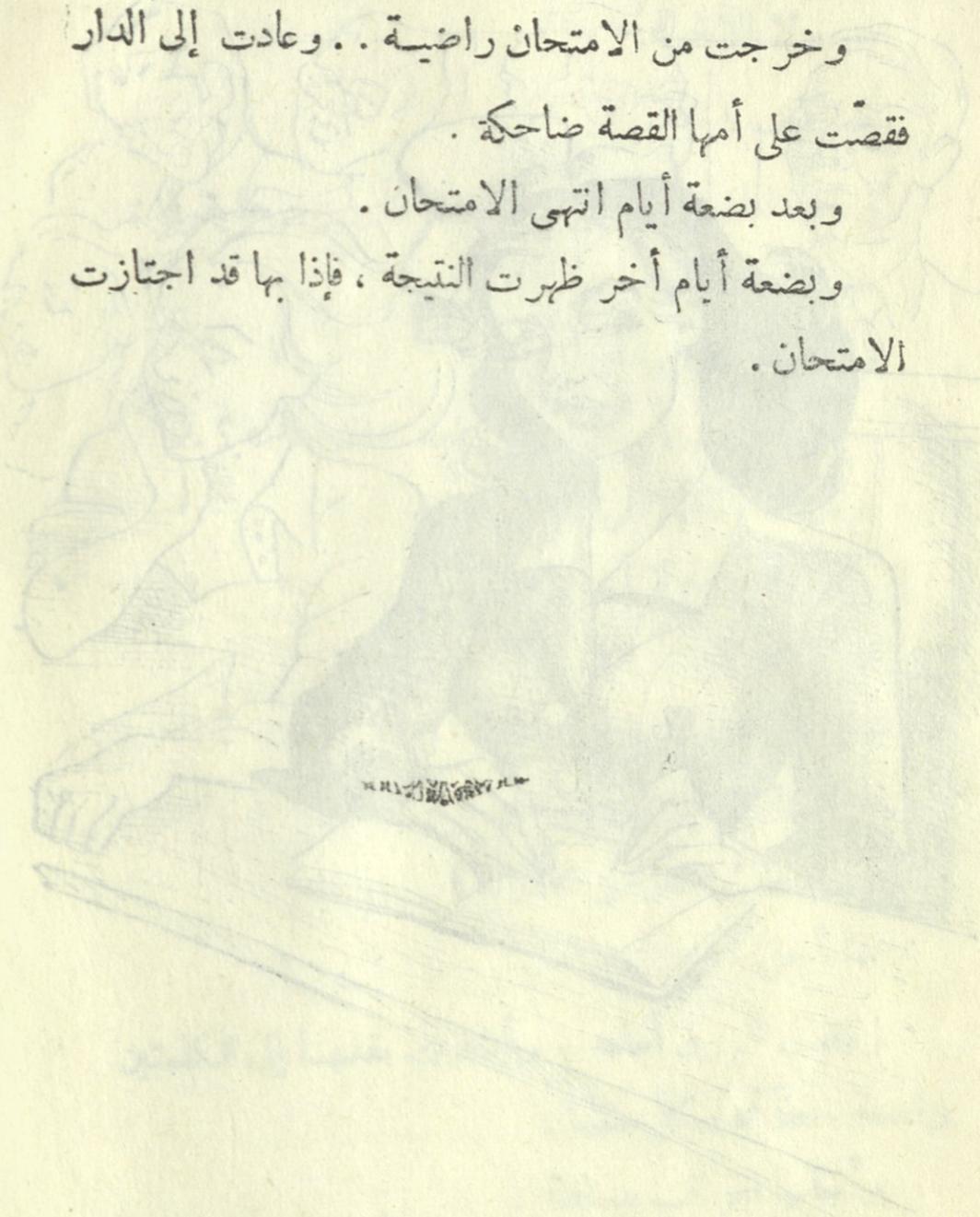
الكتابة الآن ، بدل الحلقة في المراقبين ، والتشويش على  
المتحنيين .

وخرجت من الامتحان راضية . . وعادت إلى الدار  
فقصت على أمها القصة ضاحكة .

وبعد بضعة أيام انتهى الامتحان .

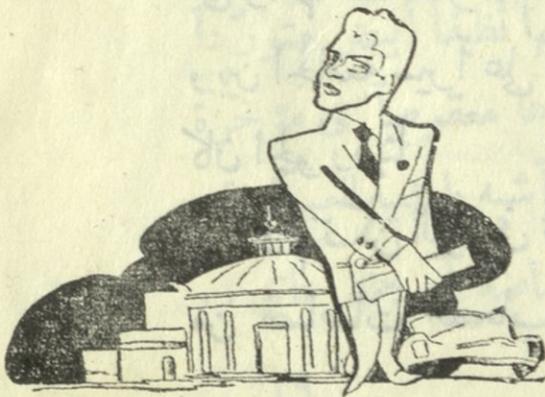
وبضعة أيام آخر ظهرت النتيجة ، فإذا بها قد اجتازت

الامتحان .

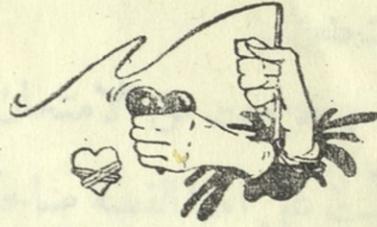


# هنرييت

٢



وفي أكتوبر حل موعد  
الدراسة ، وكانت قد حصلت  
من قبل على جدول الدراسة



ومواعيدها .. كانت الدراسة تبدأ يومياً من الرابعة إلى  
الثامنة ، وكانت العلوم في نظرها ( لطيفة ) ولا شيء يبدو  
معقداً ، أو عسيراً .. ومعظم الأساتذة الذين سيقومون  
بالتدريس لها هم الذين درسوا لها في الكلية : أستاذ العربية ،  
والإنجليزية ، والترجمة .. أما بقية العلوم كالقانون  
والمذاهب الاجتماعية ، فإن الذين سيقومون بتدريسها  
أساتذة معروفون سبق أن سمعت بهم ، وكذلك ما يختص  
بالصحافة .

وكانت تقطن في « الدقي » في أحد الشوارع المتفرعة  
من ميدان « عبد المنعم » في « فيلا » صغيرة كانت تسكنها  
أمها منذ طفولتها ، وقد تعودت أن تقطع المسافة بينها  
وبين الجامعة سيراً على الأقدام ، إلا إذا كانت في عجلة ، أو  
كان الجو رديئاً

ولم تكن اليوم في عجلة ، وكان الجو خريفاً صحواً إلا  
من قصاصات السحاب المتناثرة في السماء ، المتلاحقة على

وجه الشمس ، وكانت تشعر بنشاط وسعادة ، لأنها مقبلة  
على مرحلة جديدة من الدراسة ، الدراسة العليا التي ستهيئها  
للدكتوراه ، وستجعل منها ، الدكتورة سامية ، رئيسة  
الحزب النسائي ، ومحركة المرأة ، ووزيرة الشؤون الاجتماعية  
وربما ( لو اختشى الحظ على دمه وتساهل معها ) تكون  
رئيسة وزراء .

ولم تكن تحمل حقيبتها ، التي تعودت أن تحملها دائماً  
وهي ذاهبة إلى الجامعة ، فهي لا تعرف ماذا سيطلبون منها  
من كتب . . كل ما كانت تحمله هي كراسة بيضاء ، كتبت  
الجدول في صفحة منها .

وكانت ترتدي ثيابها التقليدية التي لا تحاول تغييرها  
وهي « التايير » أبيض في الصيف ، ورمادي في الخريف ،  
وكلية أو بنية في الشتاء .

كانت ترى أن هذا هو الزي النموذجي للدراسة ، وأنه  
يجب أن يوحد بين جميع الطلبة والطالبات ، على أن يستبدل  
بالجيب بنظون للطلبة ، وكان وجهها نظيفاً أبيض متورداً  
بلا مساحيق ولا طلاء . . وشعرها معقوصاً في مؤخرة  
رأسها ، وكانت تسير بخطوة منتظمة أشبه بالمشية العسكرية .  
ولم تكن بها في الواقع أنوثة فيساضة أو جمال فاتن . .

لم تكن ناعسة الطرف ، ولا دعجاء ، ولا حوراء ، ولا كان  
بها ما يبهر أو يثير أو يبعث على الاشتها ، ولكنها كانت  
ما نسميه « لطيفة » . لم يكن فيها إغراء يجذب عن بعد ،  
ولكن عند ما يجالسها المرء ويتمعن فيها ، ويسمع حديثها ،  
يخس بجاذبيتها ، ويحبها ، ولا يصيبه منها ملل ولا سامة ،  
ويود أن يطيل الجلوس إليها ورؤيتها مرة ثانية وثالثة .

كانت ساذجة في كل شيء . . . ساذجة حتى في تركيب  
جسدها ووجهها . . . فهي أميل إلى النحافة ، لا بروز كبيرة  
في صدرها وورديها ، ولكنها مع ذلك لم تكن ممسوحة  
جرءاء . . . بل ملفوفة في شيء من الضمور « مكسمة » ،  
رشيقة في غير امتلاء . . . أما وجهها فكان منتظم التقاطيع ،  
دقيق الملامح ، بفمها بعض الاتساع ، ولكنه اتساع  
مستجب ، يفرج عن أسنان منتظمة بيض ، وينتهي بفرجتين  
لطيفتين .

ووصلت إلى الجامعة واتجهت يمينا إلى مبنى الكلية ،  
وأقبل عليها فرأى المهد ، وكان يعرفها جيدا وحياها  
بقوله :

— مبروك يا ست سامية . . عقي للناجستير والدكتوراه  
إن شاء الله . . أظن الدراسة ستكون في المدرج « ج » أول  
مدرج على يدك اليمنى .

— ألم يحضر أحد من الطلبة بعد؟  
— أظن واحداً قد حضر ، ودخل المدرج . . .  
والدكتور « زكي » حضر . . . وهو منتظر في مكتب  
الأساتذة .

وانجهدت إلى المدرج ودلفت إلى داخله ، فوجدت به  
الطالب الوحيد الذي حضر . . . ولم يكن غريباً عليها . . . كان  
« الحلوف » المتأفف من حديثها في الامتحان .  
عجيب أن ينبج . . . إن عليها أن تحمل رفقته ثلاثة  
أعوام !

وأومأت إليه برأسها بتحية خفيفة ، فصاح مرحباً :  
— أهلاً وسهلاً . . . نهارك سعيد مبارك .

واتخذت مكانها في أول مقعد في الصف الأول . . .  
وأخذت تتسلى بقراءة مجلة كانت تحملها مع الكراصة  
البيضاء .

وبدأ صاحبها يجاذبها أطراف الحديث . قال بصوت  
أجش وهو يحفف عرقه بمنديل في يده :  
— حضرتك خريجة الآداب ؟

— أجل !

— أي قسم ؟

— الفلسفة .

— فلسفة؟ وأى صلة بين الفلسفة والصحافة . . ماذا

دفع بك إلى هذا المعهد؟

— كلما دراسة، وكل دراسة تنفع .

— طبعاً!

— وأنت متخرج في أى كلية؟

— من الطب البيطرى .

ولم تستطع أن تكتم صحتها، ولم تستطع كذلك أن تكتم النكسة التي انطلقت إلى شفيتها . . وكان ذلك من شر عيوبها، وسألته ضاحكاً:

— طبيب . . والا . . مريض؟

وهزّ « الحلوف » رأسه . . إنه لم يفهمها . هذا ستر من

الله . وإلا ماذا كان مصيرها . لو فهمها؟!

وواصلت هي حديثها بسرعة حتى لا تعطيه فرصة لإعادة التفكير فيها . . خشية أن يكشف ما فيها من إهانة . . قالت بلهجة حادة:

— الصلة كبيرة بين الطب البيطرى والصحافة . أقوى

بكثير من صلة الفلسفة بالصحافة . الواقع إنك ستستفيد كثيراً من دخول المعهد

وأشمار برأسه مؤمناً على قولها .

وبدأ الطلبة يتوافدون . وانتظروا في أماكنهم بعد

بضع تحيات فيما بينهم ، وكانت تعرف منهم البعض ممن  
شاركوها دراستها في الكلية ومن بينهم فتاة تدعى  
« زينب زكي » خجولة صامته ، لا تنبس بأكثر من بضع  
كلمات في الساعة .

- ودقت ساعة الجامعة الرابعة مؤذنة ببدء الحصة ،  
ولم تكد تنتهي دقائقها حتى أقبل الأستاذ .

كانت قد سمعت عنه من قبل ، وكان له ما يقرب من  
عشرة مؤلفات ، وكانت يجدها فرصة طيبة لأن تعرفه  
وتسمع محاضراته ، ولكنه لم يكد « يهل » من الباب حتى  
تذكرت المثل « تسمع بالمعيدي خير من أن تراه » .

دخل الأستاذ المعيدى . . ويده « منشة » ، وباليد  
الأخرى كتابان ، وعلى عينيه منظار « دو بلكس » سميك ،  
ووجهه أبيض منتفخ ، وجسده قصير بدين أكرش ورأسه  
أبيض لامع من غير سوء إلا يضع شعرات مرفوعة من  
جانب الرأس في تشبهه فرق وملقاة على « قرّاعة » الرأس  
في محاولة لحجب الصلع ، وقد التصقت بلحم الرأس والتوت  
أطرافها في شبه علامة استفهام .

ولم يكن شكله أو تكوين جسده بمثير عجبها أو بخافض  
من قدره في نظرها ، إذ لم تكن تقيم للشكل وزناً كبيراً .  
وكانت ترى أن هذا الشكل هو المفروض أن يكون

عليه الأساتذة والعلماء والكتبة والعرضحالية والحلاقون  
وغيرهم من عباد الله المشتغلين بالرءوس . . رءوسهم . .  
أو رءوس الغير . . لم يكن هذا بالعجيب في أستاذ القانون  
ولكن العجب كان في إفراطه في الأناقة بطريقته الخاصة  
التي تثير الضحك .

كان يرتدى حلة كحلية ، وحذاء أصفر شديهاً ، بالبلغ  
الفاسي ، وصديراً أصفر من الصوف ورباط رقبة أصفر  
بنقط حمر .

كان به شبه كبير من « القرد أبو صديري » لا يكاد  
يفترق عنه إلا بوردة حمراء في « عزوة الجاكتة » ، وبأن  
« القرد » ليس بأستاذ وليس له عشرة كتب .

ولا شك أن الأستاذ كان يمكن أن يكون معتدلاً . .  
لولا « الطقم » الأصفر الفاقع الذي شذبه عن الناس ،  
ولا شك أيضاً أن عنده مرآة رأى فيها نفسه ، ولا شك أن  
عنده بعض التمييز ليرى أنه يبدو مخلوقاً مضحكاً ، ومع ذلك  
فقد ارتداه .

وجلس على مقعده ، وكما ارتدى اللبس الذي لم يكن  
يجب أن يرتديه . . جلس الجلسة التي لم يكن يجب أن يجلسها .  
لقد وضع ساقاً على ساق ، وساقاه قصيرتان ، وبطنه مدلاة  
والأمر يحتاج إلى جهد ، والجلسة غير مريحة ، ومع ذلك

فعلها ، وكشف - بتشهير ساق البنطلون - عن ساق  
بيضاء جرداء .. كأنها قطعة من العجين .

ولكن ما لها ولكل هذا ، لعنة الله على عينيها الناقدتين ،  
وعقلها الساخر .. بكل شيء .. أليس من الخير أن تقتظر  
إلى وجه الرجل وتركز ذهنها في حديثه بدل هذا التنقيب  
في شكله ورسمه؟! ثم .. إنه أستاذ .. رجل علم ..  
ومفروض فيه أن يكون على شيء من الشذوذ .

وأخيراً عند ما نجحت في تركيز ذهنها في حديثه ..  
كانت قد مضت نصف الحصّة ، وبدأت تلتقط بضعة ألفاظ  
عامة عن حرية الرأي ، والتشريع ، والقانون .

وبدأ الأستاذ الإملاء ، وانهمكت في الكتابة ، فلم يكن  
لديها فرصة سانحة في معاودة فحص بقية الطلبة .

وانتهت الحصّة ، وانتهت التي بعدها ، وغادرت الجامعة  
عائدة إلى البيت .

كان الظلام قد حل ، وكانت قد أحست بشيء من التعب ،  
فسارت متجّمة إلى محطة الأوتوبس ، ولكنها ما كادت  
تتحرك بضع خطوات حتى سمعت صوتاً يصيح :

- إني ذاهب إلى ميدان الإسماعيلية ، من يريد أن  
أوصله فليتنفضل .

ونظرت خلفها فوجدت أحدهم الإملاء يقف أمام سيارة

نخمة داعياً زملاءه لتوصيلهم .

وبنتهى البساطة عادت إلى السيارة وقالت له :

— تسمح بتوصيلي في طريقك إلى ميدان عبد المنعم ؟

— بكل سرور .

وجلست بجواره وجلس طالب آخر في المقعد الخلفي ،

ولم يجب الدعوة غيرهما من الزملاء .

وأمام البيت هبطت من السيارة وحيته شاكرة ودلفت

إلى الداخل .

ومضت أربعة أيام ، وفي كل يوم عندما تنتهى الدراسة

كان يدعوها للركوب فتلبى دعوته ببساطتها المعهودة

وعرفت منه أنه يعمل بالمحاماة ، وكان يبدو إنساناً

رقيقاً مهذباً ، حسن المظهر ، عريق الأصل ، طيب المنبت .

وكانت تجده إنساناً محتملاً . . يمكن احتماله خلال بضع

الدقائق عندما تترك بجواره ليوصلها إلى بيتها ، ولم تكن

حمقاء حتى لا تدرك أن ركوبها بجواره سيثير لفظ الزملاء

ولكنها لم تكن تخشى اللفظ ولا تحاول تجنبه ، بل كانت تقدم

على ما لا تجد فيه خطأ ولا جرماً ، وتترك اللفظ يثار ،

وتستمر في مظهرها المرح الساذج وحقيقتها الجسادة

المستقيمة . . حتى تصمت الألسنة خجلاً أو بأساً ، وحتى

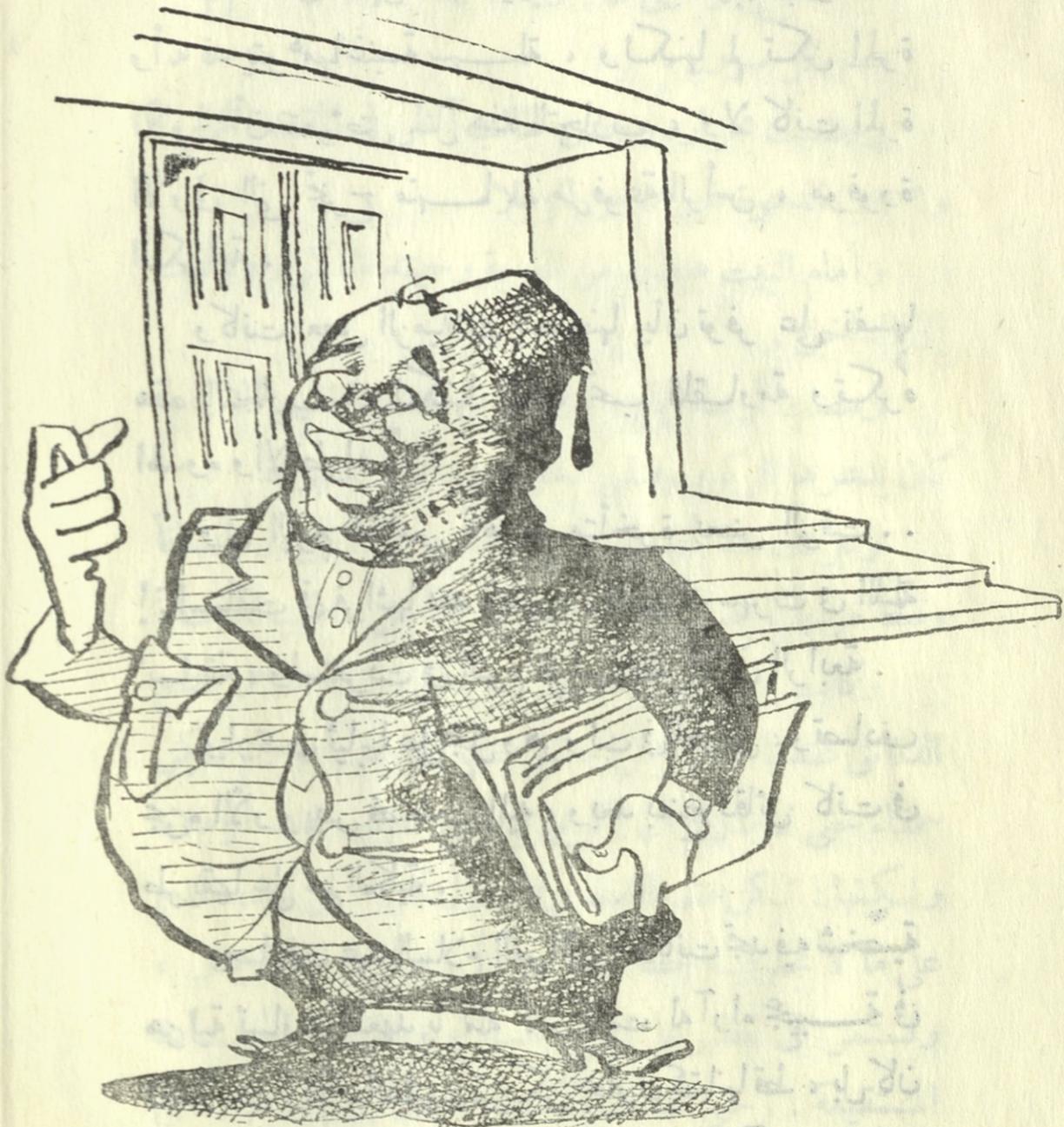
يهبط الغبار من حولها ، وتبدو محبوباً بشخصيتها المحترمة

وخلقها القويم .  
ولم تكن تجهل أنها تثير مطامعه بركوبها بجواره ،  
وأنه قد يتوهمها غنيمة سهلة ، ولكنها لم تكن المرة  
الأولى أن تتعرض لمثل هذه التجارب ، ولا كانت المرة  
الأولى التي تخرج منها . . مرفوعة الرأس ، موفورة  
الكرامة .

وكانت بعض الزميلات ينصحنها بأن توفر على نفسها  
هذه التجارب ، ولكنها كانت تحب المقاومة وتكره  
الهدوء والانطواء .

وفي اليوم الخامس ذهبت متأخرة بعض الوقت . .  
إذ استلقت في فراشها بعد الظهر ، وكانت قد سهرت في الليلة  
السابقة ، واستغرقت في النوم فلم تستيقظ إلا في الرابعة .  
وارتدت ثيابها على عجل وهرولت في الطريق ، وتصادف  
بجىء الأوتوبيس فصعدت إليه ، وبعد بضع دقائق كانت في  
طريقها على سلم الكلية .

وصادفت عبد السلام الفراش ، وكانت تجد فيه شخصية  
هزلية تساوى المعهد بأكمله . . كانت له آراء عجيبية في  
المدرسين والأساتذة ، ولم يكن يحاول كتمانها قط ، بل كان  
يصر عليها بمنتهى البساطة . ولم تكن هذه الآراء بالطبع  
أو على الأقل معظمها . . بما تنشرح له نفوس الأساتذة .



كان عبد السلام سمين الجسد أسمر البشرة ، دائم احمرار  
العينين ، غير حليق ولا ملتح . . بل يتناثر الشعر الرمادي  
الخليط بين الأسود والأبيض على ذقنه ورقبته وصفحة  
وجهه ، وهو دائماً — أعنى شعر ذقنه — بنفس الطول . .  
ولست تدري كيف يبقى على حاله . . إن كان يحلقه فلا بد أن  
يقصر في أي يوم . . وإذا كان لا يحلقه فلا بد أن يطول في  
اليوم الآخر ، ولكنه يبدو كأنما يحلقه ولا يحلقه ، وهو  
يرتدى حلة صفراء من حبل جنود الجيش المصري ، ولكن  
يبدو أن الجيش المصري لا يعترف بحجم عبد السلام ، فالسترة  
لا يكاد يزرر منها إلا زراران العلوي والسفلي . . أما الباقية  
فهي مفتوحة حتى تعطى لبطنه الفرصة للتحرر والانطلاق  
فهو يبدو كأنه قتيل متحرك ذو كرش مفتوح . . أو بطن  
مبقور . . لا سيما وأن البنطلون قد اشترك مع الجاكيتة في  
تهيئة فرصة التحرر هذه . . فلم تنطبق أزراره العلوية وبقى  
مفتوحاً من أعلى لا يستبقيه في مكانه من بطن عبد السلام  
إلا « دكة لباس » ربط بها .  
أما الحذاء فقد بدا كأنه من الممتلكات السابقة لأستاذ  
القانون . . إذ به أثر لصفرة حائلة وبه نفس الكعب العالي  
الذي تعود أن يلبسه الأستاذ .  
وأقبل عليها عبد السلام مرحباً وهي تهوول مسرعة نحو

المدرّج فقال لها :

— على مهلك يا ست سامية ..

— عندنا درس انجليزي . المستر « لى » يكره التأخير .

— إن المستر « لى » لم يأت .

— لم يأت بعد ؟

— ولا قبل ، ولن يأتى .. إنه لم يحضر من أجازته من

بلده ، وقد عينوا بدله مدرّساً جديداً .. جدع صغير ،

لا يملأ العين ، لقد هزلت ، منذ بضع سنين كان الأستاذ ...

ولم تسمع « سامية » بقية حديثه عن الأساتذة منذ بضع

سنين ، بل طرقت الباب ودخلت ، وفي أذنها يطن قول

عبد السلام « لقد هزلت » .

حقاً .. لقد هزلت .. إنه هو بعينه ، الفتى التى قد ظنته

طالباً .. إنه سيقوم بالتدريس لها ، هذه منتهى المهزلة ..

ولكن لا بأس .. إنها لن تزيد عن حصّة أو حصتين ،

يحضر بعدها المدرّس الأصلى .

ونظر إليها المدرّس الفتى ، وأشار لها فى شيء من

العبوس والتجهم :

— تفضلى .

ماله يعبس هكذا .. كأنما يظن نفسه مدرّساً حقاً ..

ولكنه لا شك يعتريه مركب النقص .. إنه بالطبع سيبالغ

في الجدد .. حتى يبدو محترماً .. لا بأس عليه ، ستعرف كيف  
تزيل هيئته وعبوسه .

وكان قد وقف أمام المنضدة ، ووضع أمامه كتاباً مغلقاً  
وأخذ يتحدث بالإنجليزية الملتوية :

— سنعيد ما قلنا من أجل الآنسة .. كنا نقول إن المنهج  
المقرر هذا العام سيشمل عصر النهضة ، ثم تطور الفكر في  
أوروبا في خلال القرنين الثامن عشر والتاسع عشر ،  
وسنقدم لهذا بالطبع بشيء عن الحضارة الإغريقية ثم دراسة  
موجزة لعهد الاقطاع أو مانسميه العصور المظلمة لأوروبا ،  
وسأملى عليكم الآن المراجع التي يمكن الرجوع إليها .

ثم أخذ يملأ عناوين بضعة كتب إنجليزية .  
وكتبت هي حوالي عشرة عناوين ، ثم رفعت رأسها في  
دهشة متسائلة :

— سنقرأ كل هذه الكتب ؟

— هذا هو المفروض .

— وغير المفروض ؟

— ألا تقرئها ترسي ، ولا أظنك ستجدين دائماً من

يذكر لك معاني الكلمات في كل امتحان !

إذا فهو يذكرها . يذكرها كمخلوقة غبية بالطبع

لا بأس ! ستريه كيف يحترمها . إنه مخلوق مغرور ، صعب

المراس ، ولكنها ستعرف كيف تروضة .  
وعاود الأستاذ حديثه قائلاً في تودة وثقة كبار  
الأساتذة :

— إن طريقي في الدراسة هي التركيز في الجوهر ،  
وهذه هي الطريقة التي أنصح باتباعها ، إذا قرأ أحدكم كتاباً  
أو موضوعاً ، فيجب أولاً أن يعرف الهدف الذي يرمى  
إليه الموضوع .. ثم يتخسس بذهنه صلب الموضوع ..  
أو الأركان التي يرتكز عليها .. إن كل موضوع يرتكز  
على بضع نقط يمكن تلخيصها في بضع كلمات .. أما طريقة  
العلاج أو الحشو فهي تأتي بعد ذلك في الأهمية .. لأنك  
لو علمت النقط الأساسية ، لاستطعت بشيء من المراس في  
اللغة أن تملأ الموضوع .. على أية حال أنا أحب التركيز  
وأكره الإسهاب ، وأفضل لأى منكم أن يكتب في الامتحان  
صفحة واحدة صواباً من أن يكتب أربع صفحات خطأ .  
وهزت رأسها في شيء من الدهش وتمتت قائلة :

— طبعاً هذا بدهى معروف .. مفهوم تماماً .. ولكن

الذي نود التأكد منه مسألة أخرى ..

— ما هي ؟

— إن صفحة صواب خير بالطبع من ثلاث صفحات

خطأ .. ولكن عندها ما لا يعرف الإنسان الصواب ( وهو )

الأمر الذي غالباً ما يحدث) فأى شيء تفضل .. صفحة خطأ  
أم ثلاثاً خطأ؟

وحاول المدرّس أن يكسو نفسه حلة من الوقار وأن  
يكنم ضحكة توشك أن تفلت من شفّيته ، ولاحظت هي ذلك  
ولم تستطع أن تمنع نفسها من أن تقول له بسذاجة :  
— اضحك ما شئت .. فالضحك ليس ممنوعاً على  
الأساتذة .. قد يحرم الأساتذة الضحك على الطلبة ؛ ولكن  
الطلبة لا يحرمونه على الأساتذة .  
وضحك الطلبة .. وضحك المدرّس .

هذه الفتاة .. دمها خفيف ، ولكن يجب ألا يتساهل  
معها أكثر من ذلك ، إذ تبدو أنها من نوع لعوب .. يجب  
قبحها حتى لا تبادى .

وبعد أن تمالك نفسه أجابها في تودة :

— صفحة من الخطأ تستوى مع ثلاث صفحات ، لأنى  
لن أقرأ سوى بضعة أسطر .. ثم أشطب الباقي .  
— إذا من الأفضل كتابة بضعة الأسطر التي ستقرأها  
ولا داعى للباقي حتى توفر عليك مشقة الشطب .

بهذا بدأت المعرفة بينهما ، هو يراها فتاة لعوباً ، قبيحة  
طويلة اللسان ، قليلة الأدب .. وهي تراه فتى دفعه الحظ إلى  
أن يسبقها في الدراسة بسنة أو سنتين فأضحى مكانه أستاذاً

لها، بدل أن يجلس كتلميذ بجوارها أو بدلا من أن تكون  
هي أستاذة له.

هذه هي عقبة أخرى من العقبات .. ستزيلها من طريق  
المرأة .. يجب أن تتخذ المرأة مكاتها في الجامعة كأستاذة  
وكعيدة.

صبراً .. صبراً .. أيها الرجال .. ستريكم الدكتورة  
« سامية » مركزكم وقيمتكم.

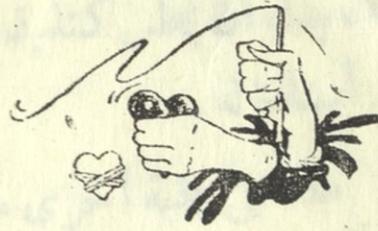


# غيبته

٦



انتهى الدرس ، وكان  
الأستاذ يتحدث بطلاقة  
وثقة ، ولكنها مع ذلك



أصرت على احتقاره ، وإن كانت لم تستطع أن تمنع عينيها  
من استراق النظر إلى وجهه وقوامه وثيابه .

إن وجهه جذاب ، ولكن ذلك لا يعينها في شيء ، ولن  
تشفع له وجاهته ، فهي لا بد أن تزيل غروره .

وغادر المدرج دون أن يلقي إليها بنظرة . .  
لقد أشار بتحية عامة للطلبة جميعاً ، تماماً كما يفعل كبار  
الأساتذة .

وأبصرته وهو يجلس في سيارة صغيرة ثم يغادر الجامعة  
وجلست هي بجوار صاحبها الذي تعود أن يوصلها إلى بيتها  
وتحركت بهما السيارة .

وفي الطريق سألها ببساطة :

— أتذهبن إلى السينما؟

ابتدأت المحادثات ، وابتدأت السخافات ، هذه هي أول

بشائر الهجوم العاطفي الصياني !

والتفتت إليه في دهش وقالت :

— وهل هناك مخلوق متمدين لا يذهب إلى السينما؟

— أعني تذهبين وحدك؟

— ولم؟

— أتصد أن نذهب معاً لكي نتسلى برفقة بعضنا .

— إني أذهب إلى السينما لمشاهدة السينما ، بحيث لا يكون لدى وقت للتسلية برفقة أحد ، وهذا لا يعني أنني أكره أن أذهب إلى السينما معك . . فأنا أجلس أحياناً بجوار رجال ، إذ لا أستطيع أن أحجز صفاً من السينما ليكون خالياً لي ، ولا أستطيع أن أجلس في (لوج) بمفردي . . وسواء عندي أن أجلس بجوار غريب أو بجوارك ، فلا أظنك ستضايقني كثيراً . . ولكن ليس هناك ما يدعو لأن نذهب معاً عن قصد . . اذهب أنت إلى السينما وسأذهب أنا إلى السينما ، فإذا تصادف أن كانت السينما واحدة وتصادف كذلك أن كان مقعدانا متجاورين جلسنا معاً . . ولكني لا أرى هناك ما يدعو أن نكلف نفسي مشقة تحديد المواعيد وارتباط كل منا بموعد الآخر . ليس بيتنا ما يحتم علينا هذه المشقة . أليس كذلك؟ اللهم إلا إذا اعتبرت جميلك في توصيلي إلى البيت بسيارتك ، يعطيك حقاً على ، ويحتم عليّ ردّه .

وكانت قد وصلت إلى بيتها ، وأحس صاحبنا أنها قد لقنته درساً هادئاً ، ولم يملك إلا أن يقول لها متمتماً :

— إني آسف .

— لا داعي للأسف .. كان لابد من شيء كهذا لكي

تفهمني على حقيقتي .

وفي اليوم التالي عند انتهاء الدراسة وجدته يسير

بجوارها متردداً ثم يهمس بقوله :

— هل أستطيع أن أوصلك كما تعودت ؟

وهتفت بصراحتها وسذاجتها :

— طبعاً .. إذا لم أكن قد أغضبتك بقولي أمس ؟

— لا .. لا .. إني أرجو ألا أكون أنا أغضبتك !

— أبدأ .. لا غضب مطلقاً ، نستطيع أن نعتبر المسألة

انتهت في وقتها .

وجلست بجواره في السيارة كعادتها ، وأوصلها حتى

البيت دون أن ينبس أحدهما ببنت شفة

ومرت بضعة أيام .. وفي يوم الأربعاء . أحست

وهي ترتدي ثيابها للذهاب إلى الجامعة ، بشيء من الحبور

والرضا .. لقد كانت منسرحة الصدر في معظم أوقاتها ،

ولكنها أحست بمزيد من الإنسراح وهي ترتدي ثيابها .

كان انسراحاً أكثر مما يستلزمه ذهابها إلى الجامعة ،

كان انسراح الذهاب إلى حفلة لطيفة ، أو الذهاب إلى السينما

لتشاهد رواية جيدة . كان اليوم موعد الدرس الإنجليزي

وسيسرّها أن ترى الأستاذ المغرور ، وتقدم إليه بعض  
ما عندها من المشاكسات والسخريات .  
إنها بالطبع ليست معجبة به ، ولو أن به بعض  
ما يستحق الإعجاب . . . ولكنها فقط ، تجده موضع تسلية .  
وجلست في المدرّج تنتظر هي وبقية الطلبة . . . وكانت  
تسأل زميلها ، الحلوف البيطري :  
— ما آخر أنباء مرضاك ؟  
— بخير والحمد لله ، يهدونك أزكى السلام .  
ودخل صاحبها ، الأستاذ الفتي ، وهو يتأبط كتابه  
ويكسو وجهه العبوس اللازم ، وبدأ دراسته جاداً .  
استمر في حديثه عن السفسطائيين وأفلاطون ومذهب  
الفرد والدولة ، وهي محذقة فيه ، يشرذ ذهنها تارة ليجول  
جولة في شتى المتناقضات ، ويحضر تارة أخرى ليلتقط  
بعض الرذاذ من المعلومات المتقطعة عن جورجياس  
وبروتاجوراس وأنتيفون وجلوكون ، ولم يحاول هو أن  
يوجه إليها نظرة واحدة رغم تنقل بصره بين الطلبة . كان  
يتجاوزها بنظره كأنها غير كائنة .  
وضايقها ذلك وقويت لديها الرغبة في تحديه ومشاكسته ،  
ولم يكن هناك بد من تركيز ذهنها لكي تعي ما يقول حتى  
تستطيع معارضته ومناقشته .

وأنتت إليه وهو يسترسل في الشرح قائلاً :  
- كان منهد كالكليز هو الرفض التام لعدل القانون  
العرفي والإيمان المتطرف بأن الحق الطبيعي هو للقوة أينما  
وجدت ، لأن القانون جميعه نتاج للعقود التي صاغها الضعفاء  
ليخدعوا بها الأقرباء عن حقهم للعادل الذي تخوّلهم إليه  
قوتهم ، فالقانون يشرع أخلاق الأرقاء وهي ليست أخلاقاً  
حقيقية ، لأن الطبيعة والقانون يتعارضان ، والطبيعة هي  
السنة الحقيقية للحياة الإنسانية ، وعدم المساواة هي قاعدة  
الطبيعة . أما العرف ، فيطالب الناس بالمساواة . والقوة  
في كالكليز هي قوة الجسم والعقل ، ولو نهض السوبرمان  
في قوته فسيلغى سيطرة القطيع وسيجعل قبه عدل الطبيعة  
وهنا وجدت فرصة سانحة للجدل والمعارضة والمشاكسة  
ولكن الإقدام عليها لم يكن بالأمر اليسير ، ولم تكن المشكلة  
في مجرد المعارضة ، فهي طويلة اللسان قوية الحجّة ، ولكنها  
كانت في لغة المعارضة .. لقد كان عليها أن تتحدث  
بالإنجليزية ، فهو - من فرط غروره ، - يرفض أن يقبل  
كلمة واحدة بغير الإنجليزية خلال الدرس ، وهي تعتبر  
إقدامها على المناقشة باللغة الإنجليزية مغامرة في حد ذاتها .  
فهي لا بد أن تحضر في ذهنها مقدماً ماتوى قوله ، وكان هذا  
على صعوبته ، مستطاعاً . أما الذي لم يكن مستطاعاً أبداً ،

فهو الرد على ما يمكن أن يرد عليها به .. رداً سليماً  
وسريعاً وبدون أخطاء .. وإلا أصبحت محل استهزاء  
وسخرية .

ورغم كل هذا فقد دفعها روح العراك والمشاكسة إلى  
مقاطعة بقولها :

— هذا محض خطأ .. فالمساواة هي قاعدة الطبيعة .  
ولقد خلقنا الله .....

وتوقف المدرّس عن حديثه ؛ ونظر إليها في دهش  
وقال لها بهدوء :

— أولاً .. هذه الكلمة لا تنطق كما تنطقينها ، ولكن  
تنطق كذا (ونطقها نطقاً سليماً) ، أعيدى نطقها من فضلك  
مجب عليك أن تتعودى النطق الصحيح .

ولم تجد بداً من أن تكرر الكلمة عدة مرات كأنها  
تليذة في الروضة .

وعاد هو يقول في هدوء :

— وثانياً نحن لا نستعمل هذه الكلمة بالمعنى الذي  
تقصدينه ، ولكننا نستعمل .. كلمة كذا

وأحست بالدم يتصاعد إلى وجهها ، والخجل يملكها  
بعد أن أوقفها موقف الصبية الصغيرة بمنتهى السهولة  
واستمر هو في قوله :

لربك - أو ثالثاً أنا لا أحب أن يقاطعني في حديثي أحد .

وهنا وجدت منفذاً لغضبي فقالك في حدة .

- ولكن مادمت لا أقر رأيك هذا ، فيجب أن أبتدي

رأياً .

- تستطيعين أن تنتظري حتى نهاية المحاضرة ، ثم تبدلي

ما تشائين من الآراء .

- إن ما أريد أن أبتديه كثير ، فأنا أخالف رأيك

على طول الخط . وإن لم أبتد رأيي أولاً فأولاً .

في النهاية ما أريد أن أقوله .

- تستطيعين أن تكسبي نقطة تذكرك بما توذنين إبداءه

ثم إنه ليس هناك ما يبرر أن تزججيني وترجعي نفسك بمخالفتي

في الرأي ، لأنه ليس رأيي أنا . إنه رأي كالكليز ،

وقد أكون أنا نفسي أخالفه في الرأي ، ولكن ذلك لا يمنع

من عرض رأيه وشرحه ، وبعد كل هذا أرجوك

ألا تقاطعيني . . . وإلا اضطررت إلى منعك من حضور

محاضراتي .

قالها في حدة وشدة وإصرار ، ثم واصل الحديث في

موضوع المحاضرة .

واحمر وجهها خجلاً ، ولم تمك سوى الصمت . لقد

كانت تحب الجدل ، ولكن ذلك لم يكن يدفعها إلى أن تبلغ

حد الوقاحة .

كان أقصى ما فعلته هو أن قطبت جبينها وكست وجهها  
سيما التجهم طول الدرس .

هذا الفتى المغرور قد هزمها في المعركة وانتصر عليها  
أعظم انتصار . . لقد هزأ بها وسخر منها وعرف كيف  
يسكتها ، ويوقفها عند حدها . . .

وجلست في السيارة بجوار الأستاذ « أنور » المحامي  
وعلى وجهها علامات الغضب ، وتحركت السيارة في طريقها  
إلى البيت . . ونظر إليها « أنور » فوجد ما زالت مقطبة  
الجبين ، فقال لها في رقة :

— لا تضايق نفسك بما قال . . إنه وقح قليل الأدب ،

جاهل محدث . . ثقيل الدم . . الحمد لله إنه لن يستمر  
في التدريس طول العام ، فلم يلبث حتى يأتي المدرس  
الأصلي ، ويريحنا من ثقله وغطرسته .

هذا ما قاله صاحبنا محاولا الترفيه عن نفسها ، ولكنها  
مع ذلك لم تشعر من قوله بشيء من الترفيه . . بل أحست  
منه بضيق شديد .

والواقع أنها لم تكن في حاجة إلى ترفيه . . إذ لم يكن  
هناك — في قرارة نفسها — ما يحزنها ، ولم يكن عبوسها  
إلا استمراراً لذلك العبوس المصطنع الشكلي الذي كست

وجيها به عند ما نهرها المدرس !..

عجيب أنها لم تكرهه ، ولم تشعر بضيق منه ! وعجيب أن  
كرهت صاحبنا الذي يجلس بجوارها لأنه انهال عليه  
بالسباب ، وتضايقت منه لأنه ذكرها بأنه لن يستمر في  
التدريس لهم حتى نهاية العام .

إن هناك ما يعجبها في هذا المدرس الفتي المغرور .. قد  
يكون غروره ، وقد يكون شكله ، وقد تكون طريقة  
حديثه ، أو ربطة كرافته ، أو تصفيف شعره .. شيء ما  
يحدث لها ذلك الانسراح الذي تحس به وهي مقبلة على درسه ،  
ويسبب لها تلك المتعة الخفية التي تحسها وهي ترقبه خلال  
انهماكه في الدرس .

إنها ترقبه بنفس المتعة ، التي كانت ترقب بها الأراجوز  
في طفولتها . ولكنه ليس في نظرها أراجوزاً . بالطبع ،  
فهو يمتاز عنه بعض الشيء : ملبسه أنيق ، وكبرياؤه أشد .  
وابتسمت لنفسها وهي تصور حاله لو سمع رأيها فيه ،  
وعرف أنه يشبه عندها « الأراجوز » .

وظن « أنور » من ابتسامتها أنه قد نجح في تبديد عبوسها  
بسبب المدرس المأفون ، فأردف يقول ضاحكاً :

— على أية حال .. لقد عرفت كيف تهزئين به ،  
وتسكتينه .

كذاب منافق ، إنه هو الذي عرف كيف يهواؤها  
ويسكنها ، ولكنها مع ذلك لم تملك إلا أن تجاريه في قوله  
فقالت ضاحكة :

— وسأريه إن شاء الله في الدر من القادم ، سأعرفه قيمته  
ومركزه .. من أين حصل على شهادته ؟

— يقولون إنه حصل عليها من كبر دج ، لقد تخرج  
حديثاً ..

— ألهذا ينفخه الغرور ؟

— محدث !

— سأريه من منا الذي سيمنع الآخر من حضور  
المحاضرات .

وكانت السيارة قد وصلت إلى البيت ومستر الظلام قد  
بدأت في التهدل ، وكان بالجو ريح أميل إلى البرودة  
والشدة ، تنفخ في أشجار الكافور التي اصطفت على جانبي  
الطريق ، الذي قام به المنزل .

ومدت يدينا تصافحه وهي تطلق ضحكة مرحة ساخرة ،  
وهمت بمجذب يديها والدخول إلى البيت ، ولكنها أحست  
أبه قد تشبث يديها مستبقياً إياها في كفه .

وأصابتها دهشة خفيفة وارتباك بسيط ، واشتمت

رائحة سخافة جديدة من صاحبها .

ويجه لقد نسي الدرس ، ولكنها ستعطيه درساً جديداً :

ولم تحاول أن تسحب يدها بحركة عنف فاستبقته قليلاً على  
يتركها من تلقاء نفسه ، ولم تجد بداً من التشاغل بأى حديث  
حتى لا يزيد الصمت من حرج الموقف ، وقالت متسائلة :

— ماذا لدينا باكرآ ؟

ولم يجبها ، وبدا كأنه مصر على شيء .

وعادت هي تجيب نفسها :

— أظن ترجمة ؟

ولم يجبها أيضاً ، ولكنها سمعته يهتف باسمها بطريقة

هامسة مرهفة .. هذا الأحق .. مصر على أن يلقى بحماقته ،

ليلقها إذا ولينته ، وأجابته على همسه بهدوء وفتور :

— نعم .

واستمر هو بنفس لهجته الحارة .

— أريد منك مطلباً !

ترى ماذا يريد هزم المرة .. لقد كانت السينا في المرة

السابقة ، أما الآن فلعلها تكون زهرة خلوية . كلهم كذلك

يابون إلا أن يندجوا في أدوار العشق والصبابة ، لا جديد

على وجه الأرض .. أو لا جديد بين جدران الجامعة ، لقد

كانت كل نظرة ترسلها .. أو كل كلمة رقيقة تقولها ، يؤولها  
متلقها على أنها بداية غرام .

وأية غرابة في أمر صاحبنا .. إذا كان الحلوف البيطري ،  
قد بدأ ينسج حولها شبك غرامه .. ألم يعطها بالأمس « قلة » ،  
وسألها أن تحتفظ بها !!

وغيره ، وغيره .. من زملاء والأساتذة ، زميلها  
الصيدلي ، وطبيب الأسنان ، وموظف الإذاعة ، هذا الخليط  
العجيب قد بدأ كله يصوب إليها سهام الغزل والحب  
والتودد .. كل واحد على حدة وبطريقته المضحكة الخاصة .  
كل يريد أن يختص بها نفسه ، وهي لا تصدم ، ولن تصدم ،  
ولكنها - كعادتها - ستجعلهم يحبونها بالجملة كزمية  
وصديقة ، لا كأثى معشوقة .

وبدأ لها أن صاحبنا هذا أكثر جدياً في حب وأشد  
هياماً ، فهو لا ينفك يصوب إليها النظرات الوهلي خلال  
الدرس ، لا يكاد يحول عنها بصره وهو يقف الآن شارداً  
واجماً ، وقد أطبق على يدها ، يأبى إفلاتها ، وهو يقول لها  
في ضوته الصب أن له مطلباً .

وأجابته في لهجة لا تخلو من الاستنكار :

— ما هو؟

وصمت برهة وبدا عليه التردد .  
لعل الأحمق يريد موعد غرام ، أو مقابلة ما .  
فقال له باسمه :

— أفصح وانه ، لا فض فوك . ماذا تريد ؟  
وأخيراً نطق في همس ووجل :  
— أريد أن أقبل يدك .

وكان لا بد لها أن تضحك . . يقبل يدها مرة واحدة ؟  
كانها شيخ معمم مبجل ! ولي من أولياء الله ! . ولكنها  
كتمت ضحكاتها ، فهي لا تريد أن تسخر منه ولا تريد أن  
تشجعه .

وتمالكت نفسها وقالت في هدوء :  
— ولكن ليس هناك أى موجب ولا مبرر لتقبيل  
يدى . إن الزملاء لا يقبلون أيدي بعضهم .  
وأجابها في استعطاف :

— أرجوك .. لا تسخرى . إنك دائماً تأيين إلا بجابتي  
بعقلك لا بعواطفك ، إني أسألك بحسى ، فأجيبني بحسك .  
— وإذا لم يكن لدى حس ؟  
— غير معقول ؟

— ولكنى كذلك ، إني مخلوقة بعقل وبلا حس .  
— ولكن حتى بعقلك .. لا أظنك ترفضين أن تدعيني

أقبل يدك .. إنها ستمنحني متعة كبرى ، ولن تضيرك بشيء .  
لن تضير كرامتك ولن تؤذي مشاعرك .

— إنني لا أخشاها ، ولكني أخشى ما تشجع عليه ..  
أخشى ما يمكن أن يتلوها أو يسأل بعدها .  
— أقسم لك .. أني لن أسألك بعدها شيئاً ، ولن أطمع  
في شيء . إنها أقصى ما أريد .

ولأول مرة أحست الفتاة المرححة .. الطليقة القلب ..  
المتحررة من قيود العاطفة ، المتملكة زمام مشاعرها ،  
المطبعة لعقلها ، الراضخة لسلامة تفكيرها .. لأول مرة  
تجس الفتاة بما يشبه رجفة في القلب .

هذا الخلق الرقيق المهذب .. يعتبر تقبيل يدها هو  
أقصى أمانيه .. قد يكون أحق .. ولكنه صادق مخلص .  
وصمت لحظة ، وتخلصت من جمودها وأجابته بصوت  
رقيق :

— خذها .

وفي سكون أحنى هامته ورفع يدها بمنتهى الرفق كأنه  
يخشى عليها من التفتت وألصق بها شفثيه برهة ، ثم تركها  
تهبط بهدوء وهمس :

— شكراً .

وانطلق بسيارته في الطريق المظلم ، ودخلت دارها وهي

همز رأسها عجباً انقضاء .. وفيما تقفته رحمتك لها .. شديداً  
قاتل الله كل قلب مرهف خفاق .. فإنه يوارد صاحبه  
موارد المذلة والضعف والحاجة جاء .. له لثمة الأمانة ..

قبلة من يدها؟! ما قيمتها حتى يتوسل لطلبها كل هذا  
التوسل؟! اناء .. لثمة لهيبه طال انارة .. ثلاثة أ ..  
يدها؟! .. بين الله راحة لها .. مرشح

وأخذت تقلبه يدها .. ثم انطلقت منها ضحكة ساخرة ..  
وهتفت .. ولما علمت .. فقله لعل .. مرة من قديمتنا  
.. حمقى .. مخايل .. وقانا الله مثل مصيرهم .. قطعاً

دخلت هي الدار ، وانطلق هو بالسيارة .. هي متعجبة  
دهشة ، وهو راض قدير هاني سعيد ..  
يا لها من مخلوقة عجيبة !! هكذا كان يحدث نفسه ،

وهو يحرك عجلة القيادة ببطء بين يديه !  
لقد عرف من قبلها الكثيرات وصاحب الكثيرات ..  
فهو إذا لم يكن محدث غرام .. بل كانت سيارته الفخمة

تسهل له اصطیاد أية فتاة .. وكانت قلوبهن مفتوحة أمامه  
على مصراعيها .. فتفتش له رتمه .. تستفتانه ليلد رتمه  
ولكن هذه الفتاة ، من نوع لم يصادفه من قبل .. أو

على الأضح ، هي ليست من نوع أصلاً .. لأنها فرد بذاتها ،  
لا يشبه لها .. إن لها شخصية عجيبة مسيطرة ، وهي تجبر

من أمامها على أن يضعها في مستوى فوق مستواه . . . وعلى  
احترامها قبل حينها . . .  
إنه لا يشتهيها ولكنه يقدر سها . . . رغم أنه عندما  
أبصرها أول مرة في امتحان الدخول ، لم تثر به أي اهتمام  
نحوها ، ولا وجد بها ما يلفت النظر . . .  
إنها أول مخلوقة تجعله يفكر في الزواج . . . إنه يتمنى  
لو تصح أم أولاده وربة بيته ، ولقد خيل إليه أول الأمر  
أنها تبادل بعض الشعور ، وبدا له من رضائها وركوبها  
سيارته . . . أنها تكن له إحساساً خاصاً ، ولكنه على مر  
الأيام تبين له أنها لا تعتبره أكثر من زميل . . .  
واتجه إلى البيت مباشرة . . . لم يمر على جروبي أو  
سمر أمينس حيث تعود أن يمضي وقته مع بعض الرفاق ، فقد  
كان يحس برغبة في الاختلاء بنفسه . كان يرغب في التمتع  
بطعم القبلة في هدوء . . .  
وصل إلى بيته في جاردن سيتي . . . بيت جميل مطل على  
النيل ، ووضع العربة في ( الجراج ) وانطلق يصعد الدرج  
في خفة ومرح . . .  
والتقى بأمه فطبع على جبينها قبلة ، ثم ذهب إلى حجرته  
وجلس في الشرفة يرقب النيل . . . وعندما حان موعد العشاء  
وجلس هو وأمه وأبوه وأخوته ، سأل أمه ضاحكا : . . .

- متى تتوین أن تفرحی بی؟  
 ونظرت إليه أمه في تشكك وسأله مستفكرة:  
 - تتناور والایه؟  
 - أبداً والله.  
 - لم؟! ماذا حدث في الدنيا؟ أمات يهودی؟  
 - أفی هذا غرایة!! إنی أتکلم جاداً.  
 - متى؟  
 - لا بد للإنسان أن یتزوج ویستقر.. إین الزواج  
 أفضل شیء للبرء!  
 - واللف، والدوران، والجری وراء بنات اللئس؟  
 أتستطیع الكف عنها؟  
 - سأطلقها ثلاثاً.  
 - عجبا! ماذا جرى لك؟ كنت دائماً لا أكاد أذكر  
 سیرة الزواج أمامك حتى تهب فیّ کفنی کفرت.. كنت  
 تقول عن الزواج جنون.  
 - كنت طائشاً.  
 - والآن عقلت؟  
 - جداً.  
 - الحمد لله الذی هدانا لهذا.. إین لیدی عروساً لك..  
 مدهشة

— كنت أريد عرائسك .. سأختار عروسي بنفسى ،  
المجن في القرن العشرين ، لقد مضى عهد الخطابة .  
— اختر من تشاء .

وتدخل أبوه فقسائل ضاحكا :  
— كيف يختار من يشاء ؟ يجب أن يعرضها على أبيه  
أولا .

وقالت الأم فى يأس :  
— لا تتعب نفسك .. إنه يهزل .. ما دامت لديه  
« المدعوقه ، السيارة ، فلن يفكر فى الزواج .  
' ولكنه مع ذلك كان يفكر جدياً ، وكان لا يكاد يخلو  
إلى نفسه حتى يتخيلها بجواره ، تهى وتأمّر فى داره ،  
وتهر وتزجر بفيه ، وتسأله ماذا يريد أن يأكل اليوم ، وأين  
يريد أن يذهب .

إنه لن يسمح لها بإتمام الدراسة ، فليس هناك أحب إليه  
من أن يراها ترتدى فوطة بيضاء وتتحرك فى المطبخ  
أو تتجول فى الحديقة .. إنها توحى إليه دائماً بالقدرة  
والحياة .

آه لو تركت يدها على شفثيه فترة أطول .. لقد كانت  
قاسية معه ، ولكنه يجب قسوتها .  
وفى تلك اللحظة التى ازدحمت فى ذهنه الخواطر

والأسئلة . . . كانت هي - تعني المخلوقة التي كان يفكر فيها -  
قد استلقت في فراشها متمطية متثابة ، وكانت تحدث نفسها  
بمثل قوله .

كانت تقول لنفسها . . . لقد كان قاسياً معي ، ولكني  
أحب قسوته . ولم تكن تقصد صاحبنا الذي شرد ذهنه فيها . .  
بل كانت تقصد مخلوقاً آخر ، هي أبعد ما تكون عن ذهنه  
في تلك اللحظة .

كانت تفكر في الفتى مدرس الإنجليزية . . . الأحمق  
المغرور ، اللطيف المنظر ، وكانت تحس أنها تفكر فيه  
أكثر مما يجب . . . ولكنها مع ذلك لم تحاول أن تنهى  
نفسها عنه .  
إنها لا تنهى نفسها أبداً . . . لأنها واثقة من نفسها  
مطمئنة إليها .

إنها إذا فكرت فيه . . . كان تفكيرها لا يزيد على أنه  
(أراجون) أو كما كانت تفكر في (الأراجون) عند انصرافها  
عقب مشاهدتها له . . . تفكر كيف تحرك ، وكيف تكلم .  
ولم يكن هناك خطورة عليها من تفكيرها في أراجون  
طفولتها ، وكذلك لن يكون هناك خطر عليها من تفكيرها  
في أراجون صباها .

أجل ! إنه لا يزيد على مبعث تسلية .

كان قاسياً في نهره لها ، ولكنها لاشك قسوة مصطنعة .  
لقد هزمها في أول جولة ، ولكن صبراً .. الأيام  
دول ، والحرب سجال .

وهكذا كان صاحبنا ، أنور ، مستلقياً على فراشه يفكر  
فيها كزوجة مثالية ، وكانت هي مستلقية في فراشها تفكر  
في دكال ، كعبة مسلية لطيفة .

ترى فيم كان يفكر دكال ، وقتذاك ؟ وأين كان ؟

كان في داره .. الفيلا الكائنة بمحذاق القبة في أحد  
الشوارع المتفرعة من شارع (الملك) والتي كان يقطنها هو  
وأبوه والحاجة .

ولم يكن يفكر فيها بالطبع ، ولا كان يخطر بباله أن  
يفكر فيها .

إن كل تأثيرها في نفسه لا يتجاوز وقت الدراسة . كان  
يراهم مخلوقة لطيفة ، بوجهها المميز بين عشرات الوجوه ،  
المميز بدقة قسامته ودائم بسمته ، والفرجتان في طرفي  
شفتيه .

كان بودّه لو استطاع إطالة النظر في وجهها ، وبودّه  
أيضاً أن يبادلها مرحها وضحكها ونكاتنا ورغبتها في الجدل  
والمناقشة والمشاكسة ، فهو لم يكن قط مخلوقاً فظاً عبوساً ،  
ولكن لم يكن يستطيع أن يترك نفسه تفعل ما تشاء ، فقد

كانت رغبته في المحافظة على هيئته ووقاره ، تغلب أية رغبة  
أخرى . كان يخشى من هذه الفتاة المرححة أن ينساق معها  
فتذهب وبقاره وتضيع قيمته . فهذا النوع من الطالبات ، يجب  
أن يحذر منه ، فإن أي تشجيع لها سيجعلها تمعن في مزاحها  
ومجونها . ولن يستطيع بعد ذلك السيطرة عليها أو ردعها ،  
ولا شك أنها ستثير حوله القيل والقال ، وهو ما زال في  
مستهل عمله .

وعلى هذا عزم على أن يوقفها عند حدها . وكان صده  
لها ، وزجره إياها عن سابق تفكير ، فهو صدّ مع سبق  
الأصرار ، بل لقد كان يتحين لها الفرصة حتى يوجه إليها  
صدمة توقفها عند حدها .

ولكنه مع ذلك شعر بأسف شديد عندما أبصرها  
مقطبة الجبين عابسة الوجه ، ولكن هذا أفضل حتى ترتدع  
ولكنه أساء إليها ، وأساء إلى نفسه ، فلا شك أنها  
ستحتفظ له في ذهنها بصورة مشوّهة لا تطابق حقيقته ،  
ستصوره فظاً قاسياً جلفاً ، وهو ليس كذلك .

لتصوره كما تشاء ، فهي لا تهتم في شيء ، إنها تلبينة

فحسب . . .

ولكنه مع ذلك يستطيع على مر الزمن أن يضيع هذه  
الصورة المشوّهة . أجل . أجل . إنه سيمحوها من رأسها .

رويداً . . . رويداً .

هذا هو أقصى ما طاف برأسه عنها ، في الدرس ، وبعد  
الدرس ، وهو في طريقه إلى السيارة ، متجهاً إلى داره .  
لم يذكرها بعد ذلك قط ، ولم تخطر على مخيلته فقد كان  
في ذهنه من المشاغل ما هو كفيلاً بطردها شر طردة .  
كان في اللحظة التي تفكر هي فيه وهي مستلقية في فراشها  
قد جلس في ( الصلاة ) على مقعد خيزران أمام أيه الذي  
اضطجع بدوره في كرسي ( فوتيل ) وكان هو في جلسته هذه  
مخني الظهر ، متكئاً برفقه على ركبته ، واضعاً ذقه في راحته ،  
وقد تدلت ذراعه الثانية فوق ساقه الأخرى .

وكان يبدو على الاثنين - الأب والابن - تجمهم  
شديد ، ولم يكن السكون السائد بينهما ينبيء بخير ، بل كان  
يجزم بعاصفة على الأبواب .

وكان الابن أول من تكلم . قال :  
- لقد استقر رأيي على أن أرسل في إحضارها  
ما رأيك ؟

- ما دمت قد كبرت وأصعب رأيك جراً في أن يستقر  
على ما تشاء ، فلماذا تستشيرني ؟ ثم إنك تعرف رأيي تماماً  
في الموضوع ، فما الفائدة من تكرار الكلام فيه ؟  
- لست أعرف سبب إصرارك على رأيك . . . لست

رى له أى مبرر؟

— عجبا . . لا ترى أى مبرر لأبى؟ ولكنك ترى  
المبررات كثيرة لرأيتك أنت ، إنك ترى منتهى الحكمة  
والعقل ، أن ترسل فى إحضار زوجة أجنبية من لندن  
كأن مصر كلها قد عقلت فلم تنجب الزوجة التى تنفع لك ،  
وتملا عينيك . . ماشاء الله !! من تكون؟ نبي ، أو إله؟  
وهذه الإنجليزية التى تنوى إحضارها ستعيش بها فى المجتمع  
المصرى بين أهلك المصريين وأصدقائك المصريين؟ أم ترى  
تنوى أن تعيش بها فى السفارة الإنجليزية ، وفى نادى  
الجزيرة؟ ستجعلها تهضم بسهولة المجتمع المصرى أم ستظل  
أنت متجائزا مثلها؟ هل تعرف أنها ستكون أما طيبة  
لأولادك المصريين المسلمين؟

— لست أوله من تزوج الإنجليزية ، ولن أكون أول  
من ينجب أولادا من الإنجليزية .

— أجل . أجل . أعرف هذا . . إن تكون أولهم ،  
ولا آخرهم ، ولكنك ستكون أحدهم ، أحد هؤلاء  
«الولاياء» الذين أنجبوا أبناء لا يمتون لهم بصلة ولا شبه ،  
ولا كان لهم سلطان على نشأتهم وتربيتهم ، أنا أعرفهم جيدا .  
أعرف واحدا منهم له ابن اسمه براين أو جم . . أو شىء من  
هذا القبيل ، والرجل «المرأة» يقول من باب التفاخر ،

إن ابنه لا يعرف العربية ، وأعرف آخر مسلماً قد أنجب  
ابنة تذهب إلى الكنيسة في كل يوم أحد ، وهي لم تسمع  
باسم محمد . . . إلا كجواب في بينهم . وأعرف آخر يسمع  
بأذنيه احتقار امرأته للمصريين . . فلا يثور ، ولا يمنعها ،  
بل يشاركها فيه ، فإذا سرك أنت أن تكون أحد هؤلاء ،  
فإنني لا يسرني — بعد أن اشتركت في ثورة ١٩١٩ لإخراج  
الإنجليز — أن أكون على آخر الزمن جداً لأحفاد إنجليز ،  
وأن أوى في بيتي امرأة انجليزية . . مهما دار الزمن ، ومهما  
فعلت وقلت ، فلن تنزع من نفسها احتقارها للمصريين .  
— لا داعي لأن تسكنها في بيتك ، فلم أطلب أنا منك  
ذلك ، سأعيش في بيت مستقل .

— عش حيثما تشاء ، ولكنني لن أعرفك ، ولن  
أدخل لك بيتاً . سأقطع كل صلة لي بك ، وأعتبرك في حكم  
الأموات . . فإذا لم يزججك هذا كثيراً . . فأحضرها ،  
وتزوجها .

— لا داعي لهذا العناد والإصرار يا أبي ! أنت تعرف  
قيمتك لدى ، ومزلتك عندي . . وتعرف أنه ليس لدى  
في الدنيا سواك ، وليس لديك في الدنيا سواي ، ولن  
يستطيع أحدنا أن يستغني عن الآخر . وأنت رجل عاقل  
متحرر الذهن ، سليم التفكير ، شديد الرأي ، وما كنت

في وقت من أوقات حياتك بالرجعي الجامد ، بل كنت دائماً تتركني حراً في أن أختار ما يحلو لي ، فلماذا تصر على أن تفرض عليّ مسلكاً معيناً في أمر أنا وحدي الذي يجب أن يبت فيه ، أمر تتوقف عليه حياتي أنا ، وليست حياتك أنت .. إني أكثر الناس فهماً لموقفي ، وتقديراً لمصلحتي وإدراكاً لما يجب أن أفعله !!  
- افعل ما تشاء .

- سأفعل ما أشاء ، ولكن يجب أن تشاء أنت أيضاً قبل أن أفعله ، يجب أن تكون مقتنعاً به تمام الاقتناع وإلا فلن أفعله .. حتى ولو أدى إلى تدمير حياتي وتبديد سعادتي .

- أقتنع بماذا؟ إذا كنت تستطيع إقناعي فاقنعني؟  
اقنعني كيف أقبل أن أكون جداً لإنجليز؟  
- أي إنجليز؟ لا تقل هذا أبداً .. إني سأجعلها هي مصرية ، إنها تحبني وتحترمني ، وتحب المصريين وتحترمهم من أجلي .. إن نشأة الأبناء تتوقف على سيطرة الأب وشخصيته ، فإذا كان رجلاً ضعيفاً قد جرفته شخصية امرأته فأنجبت أولاده حسبما تريد هي لا كما يريد هو ، فليس هذا داعياً لأن تتخذ الأمر قاعدة ، فتجعل كل ابن هو ابن أمه .  
ثم إني أحبها .. ولقد اتفقنا على الزواج وانتهى الأمر :

لقد كانت خير عون لي .. وأنا غريب في بلادها .. إنها  
مرضتني ثلاثة أشهر لم يغمض لها جفن ليلة واحدة؟ إنها لم  
تخذلني قط .. فكيف أخذها الآن؟

- إذا هي مسألة شفقة ، ورد جميل ، ووفاء بوعده؟  
- ليكن هذا أو ليكن غيره ، أي ضرر في ذلك !  
لقد تركتني حراً في أن أختار كل شيء في حياتي ..  
أفلا تركتني حراً في اختيار زوجتي .. على أية حال ، إذا  
كنت .. بعد كل ما قلت لك - لم تقنع ، فإني لن أفعل  
إلا ما يرضيك ، فمشيئتك أولاً ، ويأتي بعد ذلك كل شيء .  
وصمت الأب وأطرق ، ومضت برهة سكون ، وأخيراً  
رفع رأسه ، وقال :

- ليس هناك ما يقنعني بأن أكون جداً لإنجليز ،  
ولكنني مع ذلك لا أملك إلا أن أترك لك الخيار في أن  
تفعل ما تشاء .. إنك لم تعد صغيراً ، والمسألة كما قلت  
حياتك أنت ، وليست حياتي أنا .

ونفض الابن فضم الأب بذراعيه وقبله قائلاً :  
- لا تخش أن يكون أحفادك برين وجيم ، سأنجب لك  
حنفي وزينهم وزكية وسنيه ، وسأجعلهم يحفظون القرآن ..  
هذا عهد بيني وبينك .  
ولم يملك الأب إلا أن يزيل العبوس من وجهه وينفض

مقهرها .. وجلس « كمال » إلى مكتبه يكتب لصاحبه في لندن  
يسألها الاستعداد للبعث .. وإخباره بموعد مجيئها .

\*\*\*

مضى أسبوع على تلك الليلة .. والثلاثة : سامية وأنور  
وكمال .. لم يطرأ عليهم جديد .. « سامية » في حياتها المرححة  
البسيطة بين أمها والزملاء وكراريس المحاضرات والسينما  
في بعض الأحيان .. و « أنور » مندفع في حبه الجديد ..  
وفي تصميم مشروع زواجه وحياته المستقبلية .. و « كمال »  
في دروسه وانتظاره رد صاحبه .

وعندما حل يوم الأربعاء .. يوم المحاضرة الإنجليزية ..  
بدأ الانشراح المعهود يتسلل إلى نفس « سامية » منذ صباح  
اليوم .. بل منذ الليلة السابقة له .. هذا إذا تجاوزنا  
الانشراح الدائم الذي كان يداخلها طول الوقت .

كانت ترتب في ذهنها الأحاديث والمشاعبات والمهاجمات  
ولكن لم تكمد الساعة تبلغ العاشرة حتى أحست بتناقض في  
واسها وسخونة في جسدها .

واستلقت على الفراش ، تتطلب الراحة .. ولكنها  
أزدادت تعباً وشعرت بمرض يثقل عليها ساعة بعد أخرى ،  
فلم يحل موعد ذهابها إلى الجامعة حتى تغلب عليها المرض  
وكانت تستلقي في إنهاك تام .

وأصابها ضيق شديد ، ضيق بالمرض تكثر ، وضيق  
بالمرض كمانع من ذهابها إلى الجامعة والتسليّة بمشاهدة  
« الأراجوز » ، الذي يقوم بتدريس اللغة الإنجليزية . . كان  
نفس الضيق الذي يصيبها عندما تمرض وهي طفلة في يوم عيد  
أو قبيل نزوة لطيفة .

ولم يكن أمامها سوى الاستسلام والرقاد ، والتعرض  
لجزع أمها ، والرضوخ لأوامر الطبيب ونصائحه وأدويته ،  
وكشف الأطعمة التي حرّم عليها تناولها  
وعندما دخل الأستاذ « كمال » إلى المدرج في ذلك اليوم ،  
أحس بشيء من الخيبة . . وهو يبحث عن وجهها المميز  
الصباح الضاحك ، فلا يجدها ، كان يود أن يزيل ما علق  
بذهنها عن فظاظته وغلظته ، وكان يأمل أن يتلطف معها  
حتى يذهب أثر نهره وزجره ، ولكنها بعدم مجيئها قد  
خابت أمله .

لماذا لم تحضر؟ أتراها قد غضبت منه ونوت أن  
تقاطعها فلا تحضر هي محاضراته من تلقاء نفسها؟ أتراها قد  
أسأمتها الإهانة إلى هذا الحد؟ أجل . . لا بد أن يكون هذا  
هو ما حدث .

قالت الله . . كان يجب أن يكون أكثر رفقاً بها فهي لم  
تفعل ما تستحق عليه أن ينهرها بمثل هذه القسوة . . وهي

مخلوقة لطيفة مهذبة . إنه يشعر كأن المدرج ينقصه شيء هام ،  
ينقصه شيء من الرفق والبهاء كانت تضيفهما عليه ، ولا شك  
أن بقية الطلبة يشعرون بذلك ويفتقدون غيابها ، فهم وجوم  
كالبوم ، ولكن ربما لا تكون قد غضبت ، وربما تكون  
آتية في طريقها ، أو تكون تأخرت بعض الوقت .

أجل .. إنها لا شك قادمة في الطريق .  
وبهذا الاقتناع ، استمر يلقى درسه ، وهو ينتظر قدومها  
بين آونة وأخرى ، ولكن الدرس انتهى دون أن يحضر .  
وتمنى لو استطاع السؤال عنها ، ولكن خشى أن يثير  
سؤاله لفظ الطلبة ، وهم — كما يعرف جيداً — سفلة رعاع ،

يجيدون اللفظ والتشكك وإثارة الإشاعات .  
لا .. لا .. يجب ألا يسأل عنها .

ولكن لم ؟ . إنها طالبة ضمن بقية الطلبة والطالبات ،  
وهو أستاذ ، وليس بعجيب أن يسأل أستاذ عن طالبة ،  
عندما تغيب ، على الأقل من باب الذوق وتأدية الواجب ،  
إنه لا شك سائل عن أي طالب عنده إذا ما غاب ، ولكن  
أحقاً سيفعل ذلك ؟ بل .. أحقاً سيكشف غيبة أي طالب  
إذا ما غاب ؟ بل هل يعرف وجوه الطلبة الذين يدرس لهم  
واحداً واحداً !! حتى يميز من غاب ومن حضر ؟!

إنه يمكن بنفسه ويخضع نفسه ، ومع ذلك فيسأل

عنها، ليقولوا ما يقولون فلا بد من الاطمئنان عليها،  
وفي طريقه إلى الباب تمهل قليلاً ثم تساءل بطريقة سريعة  
عابرة: *من قال هذا؟* *من قال هذا؟* *من قال هذا؟*  
— أين؟  
وأشار إلى مكانها الخالي، ولم ينطق باسمها كأنه لا يعرفه،  
ثم حاول تعريفها بقوله في سخرية: *من قال هذا؟*  
— .. صاحبتنا الثرثارة؟

وتطوَّع أحد الطلبة بالرد قائلاً:  
— لم تحضر اليوم.  
— خيراً.. ماذا بها؟  
— لا أعرف.. لقد كانت هنا أمس وأول أمس، ولم  
تغب إلا اليوم.

لغلها غاضبة كما توقع، أو لعل عذراً طارئاً قد منعها.  
لا بأس.. سيرأها في الأسبوع القادم.  
ولم يطل المرض بـ «سامية» فقد كان مجرد انفلونزا، لم  
تلبث حتى أبلت منها في اليوم التالي.  
وواصلت «سامية» كعادتها ذهابها إلى الجامعة في بقية  
الأيام.. حتى حل يوم الأربعاء التالي.  
وكان الطلبة قد أنبأوها بسؤاله عنها ووصفه إياها  
«بالثرثارة».

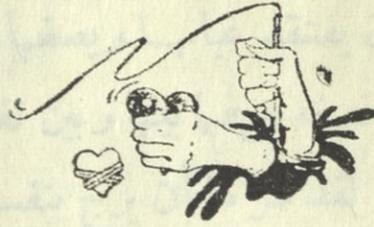
ولقد أظهرت امتعاضها واستياءها ووصفته بأنه . قليل  
الآداب . . ولكنها في باطنها سرّها كثيرا أن يسأل عنها ،  
وأن يفتقد غيابها ويصفها « بالثرثارة ، وماذا في ذلك ؟  
ألا تصفه هي فيما بينها وبين نفسها « بالأراجوز الإنجليزي ، ؟  
لقد سرّها أن يزج بنفسه معها في معركة ، وهي تستطيع  
أن تعتبر وصفها بالثرثارة كتحد منه ، وأن تستند إليه كبداية  
معركة طويلة .

وكانت ترسم في رأسها الخطط وتحضر الأقوال حتى  
أضحت تحفظها عن ظهر قلب . . كانت لا تريد أن تخطيء في  
الإنجليزية ، حتى لا تدع له مجالا للسخرية بها ، وإخراجها  
عن موضوع الحديث .  
أعدت الأقوال وحفظتها . . ومع ذلك لم تقلها . . لأنها  
لم تذهب .

كانت أمها هذه المرة هي السبب . . فلقد استيقظت  
متوعدة المزاج ، وظلت في فراشها طول اليوم . . مرتفعة  
الحرارة مثقلة الأجفان ، ورغم أن « سامية » كانت تتوق  
إلى الذهاب إلى الجامعة في هذا اليوم بالذات . ورغم أن  
بقاءها في الدار كان سيثقل عليها كثيرا ، فقد اضطرت إلى  
البقاء لأن أمها كانت أعز عليها من كل شيء ، ولم يكن هناك  
سبب - أيا كان - يجعلها تترك أمها في مرضها



أقبل وكال ، على الدرس  
وقد أعد في ذهنه ما يمكن  
أن يصلحها به ويزيل كل



ما علق بنفسها منه ، وكان لا يستطيع أن ينكر من نفسه  
ذلك الحنين إلى روثيتها والشوق إلى سماع جدها الإنجليزي  
الركيك .

ولم يحاول أن يكسو وجهه ذلك العبوس المصطنع الذي  
كان يتخذه كلما دخل الفصل ، فقد شغله التفكير فيها .  
عن التفكير في وقاره وهيبته ، ولكن العبوس ما لبث حتى  
علا وجهه .

---

هذه المرة .. كان عبوساً طبيعياً ، منشؤه أنه لم يجد  
الوجه المحبوب لديه مرة أخرى .. ما بالهالم تأت بعد ؟  
أمريضة هي ، أم غضبي ؟  
ولم يستطع أن يكتب السؤال في جوفه طويلاً ، فقد كان  
ضيقه من غيبتها لا يدع له مجالاً للتروي والتأمل .  
وسأل ببساطة :

— ألم تحضرن سامية ؟

وتطوع جارها بالإجابة :

— لقد حضرت طيلة الأسبوع ، ولم تغب إلا اليوم .

إذن فقد ذهب الشك ووضح اليقين . . . إنها غضبي !  
المحقاء الصغيرة !! أتتوى حقاً أن تقاطع محاضراته ؟  
ولكن علام كل هذا ؟ ! إنه لم يفعل ما يغضبها بهذا القدر ؟  
ولكن ألم يهددها بالطرد من محاضراته ؟ ياله من وقح  
محدث ؟ ! كان يجب أن يكون أكثر من هذا أدباً . لو لم تكن  
الفتاة مهذبة لعرفت كيف ترد عليه وتسخر منه كما يسخر  
منها . . .

ولكن ما العمل الآن ؟ إنه على أتم استعداد لأن يعتذر  
لها في صراحة . . . وأمام الطلبة إذا أرادت . ولكن كيف  
يعتذر . . . إذا كانت لا تأتي في يومه ؟ كيف يلقاها ؟ أيحضر  
لها في أي يوم آخر غير يوم محاضراته ؟ ولكن ماذا يقول  
الطلبة ؟ إن هذا هو حقاً مما يستدعي لغظهم وأقاولهم . . .  
سيقولون إنه أتى خصيصاً لمقابلتها . . . وهو المفروض فيه  
أن يكون أستاذاً محترماً ؛ لا . . . لا . . . إنه لن يفعل هذا . . .  
لعنة الله عليها . . . مخلوقة متعبة .

ولكن هناك طريقة أسهل ، قد تكون ناجحة وتردع  
الفتاة . . . إنه يستطيع أن يلجأ إلى تهديدها ، وأن يطلب من  
الطلبة تحذيرها من التخلف وإلا فقد يخفض نسبة الحضور  
التي يجب أن تحصل عليها واضطر إلى حرمانها من الامتحان .  
أجل . . . أجل . . . هذه هي خير وسيلة !

ولكن من يدرية أن الفتاة العنيدة لن ترك رأسها  
وتتحداه فلا تحضر . . . وهي لن تعدم الوسيلة في الدخول  
إلى الامتحان كما يفعل معظم الطلاب .  
على أية حال يجب أن يفعل شيئاً .  
وأخيراً استقر رأيه على حل وسط . . . وقال للطلبة  
ببساطة :

— إذا حضرت في الغد فأنبئوها ألا تغيب عن الدرس  
القادم . . . وإلا فلن تستطيع اللحاق بنا بعد ذلك .  
هذا قول معقول جداً ، لن يثير لفت الطلبة ، ولن يثير  
تحديها .

وفي اليوم التالي أنبأوها بقوله . . . وتملكها منه غبطة  
شديدة ؛ وإن كانت تعرف أنها لم تكن في حاجة إليه . . .  
فقد كانت عازمة على الحضور في الحصة القادمة مهما حدث .  
ومضى الأسبوع . . . و« أنور » مستمر في توصيلها كل  
يوم كعادته ؛ ولم يكن يحاول أن يزججها بشيء من مظاهر  
حبه . . . ولم يضايقه هذا . . . فقد كان قانعاً برؤيتها كل يوم في  
المعهد . . . وتوصيلها إلى بيتها ، قريراً بأماله فيها ، مطمئناً إلى  
مستقبله معها .

وفي يوم الأربعاء التالي . . . كانت قد أعدت نفسها مرة  
أخرى للمعركة . ولكن استعدادها هذه المرة قد طرأ عليه

شيء جديد ، لم يكن مجرد استعداد ذهني .. بل استعداد  
شكلي ..

كان سلاحها دائماً هو عقلها ولسانها ، فما حاولت قط  
- كما سبق القول - أن تستعمل سلاح المرأة الطبيعي في أي  
هجوم لها ، فقد كانت تزدرية كسلاح ، وكانت ترى نفسها  
أسمى وأعقل من أن تستعمله .

ولكنها اليوم أطالت الوقوف أمام المرأة ، وأخذت  
تدور حول نفسها وترفع رأسها وتدير عنقها يمنة ويسرة .  
« مش بطالة » !!

ولو فككت هذه العقصة في شعرها وتركته ينسدل على  
كتفها لبنت أحسن كثيراً .. أجل .. هكذا .

ووجهها « في جملته » لا بأس به ، وعندما تضحك  
يكون شكلها أفضل ، فالغمازتان تضفيان عليها نوعاً  
من الفتنة .

وضحكت في المرأة ، ثم عادت فعبست ، وعادت  
فضحكت مرة أخرى .

ما هذا البله الذي صارت إليه ؟ . يجب أن نتحشم ،  
فهى فتاة عاقلة .. تدرس دراسة عليا ، وتتوى الحصول على  
الدكتوراه ، وستصبح في يوم ما شيئاً هاماً في هذا البلد  
الذي ليس به أي شيء هام .

ولكن ما دخل هذا في أن ترى شكلها . . . ليس

هناك من يراها . . . وهي

تستطيع أن تفعل في

خلوتها ما تشاء .

إن جسدها لا بأس

به . إن الثياب لا تبديه

كما يجب ، إنه بلا ثياب

أفضل كثيراً . . . فالثياب

لا تظهر جيداً بروز

انديتها واستدارة ردفها

ولكن لم تريد أن

تظهر هذه الأشياء التي

لم تحس بها من قبل ؟

إذا كانت الثياب

لا تظهرها ، فلتسر

بلا ثياب ، وماذا في ذلك ، ألم تبجن ؟! إن هذا هو ما ينقصها

بعد كل ما فعلت .

لعنة الله عليها . . . إن في نفسها كثيراً من التفاهة المستترة ،

إن الناس مخدوعون فيها كثيراً ، يجب أن تعقل وأن تحتمس .

ولكن بعض الأحمر الخفيف جداً ، الذي يكاد لا يظهر ،



لو وضع علي خديها ، لجعلها تبدو أكثر بهاء وأكمل رونقاً .  
وما من داع هناك لهذا التايير ، الذي يديها «ككيرة  
المرشدات» إنها تبدو أكثر امتلاء وفتنة في الفستان  
الحريري الأزرق ذي النقط البيض .

لكن لم كل هذا؟

أمن أجل «الأراجوز»؟

لا... لا...!!

ونفت بشدة عن نفسها هذا الجواب ، إنه مجرد تغيير ،  
لا أكثر ولا أقل .

ومن يكون هو . . . حتى تلبس من أجله ثوباً مخصوصاً؟  
وانتهت من ارتدائه ثيابها ، وأنباتها آخر نظرة لها  
في المرأة . . . أنها جميلة ، بل جميلة جداً .

وأكدت لها أمها حديث المرأة بقولها وهي منصرفه  
أنحو الباب :

— ما هذا الجمال والأناقة . . . أذاهبة إلى حفلة؟

ولم تعرف كيف تجيب ، ولكنها اضطرت إلى الكذب  
فقالت موافقة باختصار :

— أجل !

— أي حفلة؟

— حفلة شاي لتكريم الأساتذة .

وغادرت البيت متجهة إلى الجامعة .  
وعندما اجتازت بهو الكلية في طريقها إلى المدرج  
صادفت في طريقها « عبد السلام » الفراش فحياها قائلاً :  
— أستاذ الإنجليزى سأل عليك . فقلت له لم تحضر بعد !  
— وأين هو ؟

— جالس في حجرة الأساتذة .  
وأحست بدافع خفي شيرير يدفعها إلى أن تذهب لمقابلته  
في حجرة الأساتذة . . . لم يسأل عنها ؟ لا شك أنه يريد لها  
في مسألة عاجلة !

واتجهت رأساً إلى حجرة الأساتذة وهي تعلم تماماً أنه  
ليس بينها وبينه أمور مستعجلة ، ولا غير مستعجلة . . . وأنها  
تستطيع أن تنتظر في حجرة الدراسة لتلقاه مع بقية الطلبة ،  
ولكنها مع ذلك لم تشأ أن تترك فرصة لقائه على حدة فقلت  
منها . . . إنها تستطيع أن تكون أكثر حرية في الاقتصاص  
منه .

« ثرثرة ! » ستره أنها حقاً « ثرثرة » . . . وستره كيف  
يهددها بالطرد من حصته . . . حقيقة إن له جميلاً سابقاً عليها  
وأنه لولاه لما دخلت المعهد ، ولكن ذلك لا يرغمها على  
قبول وقاحتها ، والسخرية منها .

وبفرحة المقدمة على مشاهدة « الأراجوز » اجتازت

باب غرفة الأساتذة ، فوجدته قد جلس وحيدا على أحد  
المسكاتب وقد أخذ يقلب كتاباً بين يديه فقالت باسمه :

— نهارك سعيد يا أستاذ .

— اهلا وسهلا . . نهارك سعيد .

كان وجهه بادي البشاشة ، خالياً من تلك العبوسة التي  
تعوّدت أن تكسوه خلال الدراسة ، لقد سبب دخولها  
المفاجيء عليه فرحة شديدة لم يستطع أن يخفيها ، بل لم يأبه  
لأن يخفيها . . ولا سيما وأنهما وحدهما .

وسألته في لهجة جادة :

— بلغني أنك سألت عنى ؟

— أجل !

— من أجل ؟

وحاول أن يكسو وجهه مظهر الجد وأجاب بقوله :

— من أجل مصلحتك ، إني أخشى إن استمررت في

التغيب أن تكون النتيجة رسوبك في نهاية السنة .

— لم أعرف الرسوب في حياتي .

— لا يمنع ذلك من أن تعرفه الآن . . فلا بد أن

يعرف الإنسان كل شيء . حتى الفشل .

أهذا كل ما تريدني لأجله ؟

وعلت وجهه ابتسامة ، وزالت عنه مظاهر الجد وهو

يقول ضاحكا:

— ولقد أوحشتني غيابتك ، وخشيت أن أكون قد  
أسأتك في المرة الأخيرة وأردت الاعتذار إليك .

— شكراً .. المسألة بسيطة لا تستحق الاعتذار ولقد  
كنت أنوى ردّها إليك ، ولكن ما دمت قد اعتذرت ..  
فكفي الله المؤمنين القتال .

— الحمد لله على أنها « جت سليمة » .

ومضت برهة صمت .. أحس كلاهما بشيء من الارتباك  
ولكنه ما لبث حتى سألها :

— أتجدين أية صعوبة في دراسة ما أخذناه حتى الآن ؟

— لا صعوبة ولا سهولة ، لأنني لا أعرف ماذا أخذنا

— ولكن يجب أن تقرئي أولا فأولا .

— لا أستطيع .. إنني أنتظر حتى آخر العام .. وأخذها

كلها جرعة واحدة ، كما نفعل تماماً بالدواء المر .

— إلى هذا الحد ؟

— وأكثر . إنني لا أكره شيئا في حياتي كاللغة الإنجليزية

ولي فيها ماض غير مشرف .

أضحك من قولها وأجابها :

— ولكن يبدو أن لك مستقبلا مجيدا ؟

— بعد هذا العمر ؟

— ولم لا؟

— إني أقول .. يا الله حسن الحتام .. لا أمل لي في

إتقان هذه اللغة اللعينة .

— ولكنني أستطيع أن أجعلك فيها قوية جداً .

— وكيف؟

— بالقراءة .. اقرئي كثيراً .

— أقرأ كثيراً؟ ولو كنت أستطيع أن أقرأ كثيراً ،

أعتبر نفسي ضعيفة في الإنجليزية .. إني لا أستطيع أن أقرأ

لا كثيراً ولا قليلاً .. ليس أثقل عليّ من قراءة الإنجليزية ..

إني أقرأ كثيراً جداً .. ولكن بالعربية .. لغة بلادي ..

أما بالإنجليزية فإني أكاد لا أقرأ إلا الدروس .

— شيئاً فشيئاً ، يجب أن تبتدئي بالقراءة في موضوعات

سهلة لطيفة مشوقة .

— مثل؟

— هذا الكتاب الذي في يدي مثلاً ، إنه مجموعة قصائد

الشاعر كيتس .. آية في البداعة .. لن تمليه قط .

— شاعر انجليزي؟ أنا أقرأ شعر انجليزي؟ إنك حسن

الظن بي !

— ولم لا تقرئينه؟

— لأنني لا أفهمه .

— إني أستطيع تفهيمك وشرح ما يبهم عليك .  
— ومن أين لي بأستاذ مثلك أستعين به في كل قراءة .  
الأساتذة ليسوا يمثل هذا الرخص وهذه الوفرة ، إذا كانت  
كل تلميذة تستطيع أن تحصل على أستاذ يبقى تحت تصرفها  
ليشرح لها كل سطر ، لما بقي في مصر جاهل ولا جاهلة .  
— أنت غلباوية . . قلت إني على استعداد لمعاونتك في  
القراءة ، وأنا أعني ما أقول . على أية حال خذي الكتاب  
وحاولي أن تقرئي . . وفي المحاضرة القادمة أنبئيني عما  
أستطعت قراءته .

ودقت ساعة الجامعة مؤذنة بالرابعة ، فنهضت من مكانه  
وهو يعطيها الكتاب فأخذته وهي تقول :

— شكراً . . سأحاول قراءة أكبر قدر ممكن منه . .  
وسأستعين بالقاموس .

— أظننا قد اصطلحنا ؟

— طبعاً .

— لم يبق في نفسك شيء مني ؟

— شيء واحد . .

— ما هو ؟

— لم أنبئك بعد برأيي في كالكليز .

— دعينا منه . . إنه سخافة دراسية . . هذه أشياء لا بد

من قولها .. لأنها في البرنامج .. لا تضايق ذهنك بها كثيراً .  
ودخلا معاً مدرج الدراسة .. وجلست هي في مقعدها  
وجلس هو على منضدته وبدأ الدرس .

وفي خلال الأسبوع التالي لم يكن لها من عمل سوى  
القراءة في كتاب « الشعر » .

حقيقة أنها كانت ضعيفة في الإنجليزية ، ولكنها كانت  
قوية الإرادة .. شديدة الجلد .. وكانت تعتبر المسألة واجباً  
لا تسلية ، فقد أرادت أن تكون كفوفاً للنقاش معه وألا  
يعاملها كمجرد تلميذة

وانتقت قصيدة قصيرة سهلة .. وانكبت على حفظها .  
وفي يوم الأربعاء ذهبت مبكرة عن موعد الدراسة  
ما يقرب من نصف الساعة .. وسألت عنه عبد السلام ..  
فأنبأها بوجوده في المكتب .

لقد التقى الاثنان في خططهما ، لقد قدم هو مبكراً بأمل  
أن تكون هي قد جاءت مبكرة ، وقدفت هي معطلة بنفس  
الأمل .

وقصدت توأ إلى حجرة الأساتذة .. وطرقت الباب  
طرقاً خفيفاً .. ثم دلفت إلى الداخل قائلة :

— نهارك سعيد يا أستاذ .

— نهارك سعيد يا ساية .

كانت المرة الأولى التي يناديها بغير «يا آنسة» وأحيت  
منه نطقه باسمها .. أو أحيت اسمها حين نطق به .

وتمت يدها إليه بالكتاب وهي تقول :

— شكراً .. كتاب لطيف .. لم أجد صعوبة في قراءته ،

على عكس ما كنت أظن .

— ألم أقل لك ؟ .. ماذا أعجبك به ؟

وكان هذا السؤال الذي أعدت نفسها تماماً للإجابة عليه

وأخذت تسرد عليه بضعة عناوين ، وفي النهاية قالت :

— أما القصيدة التي هزت مشاعري فهي قصيدة « عيد

الميلاد » ، لقد قرأتها مرتين فحفظتها عن ظهر قلب .

ثم اندفعت تتلوها .

فلما اقتتت قال بإعجاب :

— مذهشة ! لماذا تدعين إذاً كرهك للانجليزية ؟

— الظاهر إنى شاعرة دون أن أدري .. أو شاعرة ..

دون أن أشعر .. لقد أحببت الشعر كثيراً .

— وعلى ذلك لست في حاجة لمساعدتي ؟

— بل في أشد الحاجة إليها .. إن هناك قصائد كثيرة

لم أفهمها .

— نقرؤها معاً إذاً !

— متى ؟

— في أي وقت تريدن .

— وأين ؟

— حيث تشائين .. إني تحت أمرك .

هكذا مرة واحدة ؟ هذا العبوس المغرور المتكبر قد

أضخى تحت أمرها . وبدون كثير تفكير قالت متسائلة :

— بعد انتهاء الدرس ؟

— ليكن .

— أين ؟

— يوجد كازينو هاديء على النيل .. نستطيع القراءة به

في أتم هدوء .

— كما تشاء .

وغادرت الحجرة متجهة إلى مدرّج الدراسة .

طائشة .. حمقاء ؟! لقد أحست لأول مرة في حياتها أنها

قد اندفعت في خطأ .

ما هذا الذي فعلته ؟ أي شعر هذا الذي ستقرؤه معه في

كازينو على النيل ؟ كازينو هاديء ، أشبه بملجأ للعشاق .

أيينهما من العشق ما يستدعي هذا الحرج والاندفاع ،

وتعريض السمعة للأقاويل والشبهات ؟

إن حجتها دائماً في كل ما أقدمت عليه ، هي أنها سليمة

القصد .. وبسلامة قصدها كانت تدحض كل إشاعة سوء

تلحقها . إنها كانت تقدم بشجاعة على كل ما وحي به نفسها .  
لم تكن تأبه كثيراً بأقوال الناس ، ما دام غرضاً صائباً ..  
وكان الناس يحترمونها دائماً في النهاية ، ويندمون على ما قد  
ظنوه بها من سوء .

ولكن الآن .. هل تستطيع أن تحتج على هذا العمل  
الأخرق الذي توشك أن تقدم عليه .. بحسن القصد ، أو  
بصواب الغرض ؟

لا .. لا .. يجب ألا تخدع نفسها .. يجب أن تكون  
صريحة في هذا الأمر .. على الأقل مع نفسها .

إن هذا الشخص بالذات قد نال من نفسها اهتماماً خاصاً  
واتخذ مركزاً ممتازاً .. إنها تشعر من التفكير فيه بسرور ..  
وسواء ادعت أنه كالأراجوز ، أو غير الأراجوز .. فهي  
تحب لقاءه والتفكير فيه . ومن العبث أن تنكر هذا ..  
وهي بلا شك لا يهمها كثيراً .. الشعر الإنجليزي ..

ولو قال لها قائل : اجلسي في كازينو على النيل واقري كتاب  
شعر انجليزي لضحكت ملء شديها ، واتهمته بالجنون .

أما الآن فهي تقدم على هذا العمل ببساطة وبرغبة ..  
لأنه سيزيد على الشعر الإنجليزي والكازينو على الشاطئ ،  
شيء جديد ، هذا الشيء هو .. هو .. فوجوده إذا جعل  
ما كان الإقدام عليه يسمى جنوناً .. قد أضحى عملاً طبيعياً

لا غبار عليه .

إذا فهو قد أضى نقطة التحول في تصرفاتها وفي تفكيرها  
وهي لا تستطيع أن تنزعها من نفسها ، ولا تستطيع أن توقف  
تلك المشاعر الداخلة في باطنها ، التي يثيرها فيها . . مشاعر  
السعادة والمتعة . هذه أشياء أصابتها برغمها ، وستبقى برغمها  
أرادت أم لم ترد .

ولكن ذلك لا يمنع من أنها تستطيع بشيء من الإرادة  
السيطرة على أعمالها الظاهرة ، والحد من ذلك الاندفاع ،  
والحرية التي كانت تسمح بها تصرفاتها من قبل ، عند ما كان  
باطنها خالياً . . لا يشوبه شعور معين . . ولا يتجه لناحية  
بالذات .

أجل ! يجب عليها من الآن أن تتصرف بحذر .  
عند ما كانت خالية بريئة ، كان لها أن تفعل كل ما تشاء .  
أما الآن وهي تشعر في داخلها أنها مذنبه ، وغير خالية .  
فيجب أن تتروى ، وأن تحسب حساباً لأقوال الناس ،  
وإشاعاتهم ، لأنهم هذه المرة سيجدون أساساً يستندون إليه .  
كل ذلك دار بذهنها وهي تجلس أثناء المحاضرة .

وكان تفكيرها إذ ذاك منطقياً سليماً . . انتهى بها إلى  
وجوب الاعتذار عن موعد اليوم . . لا اعتذاراً نهائياً ،

ولكن تأجيله إلى «فرصة» موأينة تكون فيها الأمور أكثر  
تديراً .

ولم يحل ذهنه هو أيضاً من نفس التفكير . . لقد اقتنع  
بأنه يميل إلى الفتاة ، وأنه يسعد بلقائها والحديث معها . .  
ولكنه اقتنع أيضاً بأن من الخلق والوقاحة أن يخرج وإياها  
من الجامعة أمام الطلبة في سيارته ، وأن يجلسا معاً في كازينو . .  
أقل ما يقال فيه إنه ليس مكاناً لدراسة شعر ، ولا للقاء أستاذ  
بطالبة !

وهكذا ما كاد ينتهي الدرس ، حتى تبعته وهو في طريقه  
إلى حجرة الأساتذة وقالت له :

— أظن من الخير أن نؤجل موعد اليوم يا أستاذ . .  
لأنى تذكرت أن لدى عملاً هاماً .

— حسن . . نستطيع أن نؤجله إلى أى وقت تشائين .  
أى موعد يناسبك ؟

— فى الغد . . فى مثل هذا الوقت سأنتظر عند محطة  
الجيزة . . ولا أرى داعياً للجلوس فى هذا الكازينو . .  
فأنت تعلم أقوال الناس .

— أجل ! أجل ! سنتفق غداً على أى مكان ترغبين .  
وركبت السيارة مع أنور إلى البيت فى هذا اليوم كعادتها  
وهى شاردة واجمة . . وعند ما ذهب إلى الفراش لتستسلم

للنعاس أصابها الأرق طويلا قبل أن يغمض لها جفن .  
كانت قلقة . إنها تعودت التحرر والانطلاق .. تعودت  
أن تذهب مع هذا وذاك حيث تشاء .. ولكن لم تشعر بمثل  
هذا القلق الذي تشعر به الآن ، إن بها قلق المقدم على مغامرة  
المقبل على أمر خطر .

وفي اليوم التالي اعتذرت لأنور عقب الدراسة وأنياته  
أنها لن تذهب إلى البيت .. لأنها على موعد مع إحدى  
الصاحبات في بيت قريب وستسير إليه على أقدامها .  
وألحَّ «أنور» في توصيلها حيث تشاء ، ولكنها  
أصرت على الاعتذار شاكرة له جميله .

وبعد لحظات كانت تقف في قلق ، وإحساس بالوزر ،  
في ميدان الجيزة .. ولم تنتظر إلا قليلا ، حتى أقبل عليها  
«كمال» بسيارته واتجها في طريق الهرم .

وران صمت طويل .. صمت بالإحساس بالخطأ .. ولم  
يحاول أحد منهما بينه وبين نفسه أن يتعلل بالشعر ، فقد  
كان كل منهما يعرف أنه لم يكن أكثر من معبر للقاء . وأن  
كلا منهما يجب الجلوس بجوار الآخر ، ويرغب في رؤيته ،  
وسماع حديثه .. هذا هو ما يريد كل منهما .. فلا داعي بعد  
ذلك للتعلل بالشعر ، والارتكاز على القصائد .

ومع ذلك فلم يجرؤ على المصارحة بمشاعره ولا سببها هو ،

فقد كان يحس بفداحة ذنبه ، وعظيم جرمه .  
كانت الأفكار تصطبغ في رأسه ، فلا تترك له فرصة  
للإحساس بمتعة وجودها إلى جواره ، والخلوة معاً في مكان  
ناء بعيد .

ما قصده من كل هذا ؟ إنه يحب الفتاة ويقدرها ويحترمها  
وكان خليقاً به ، والأمر كذلك ، ألا يندفع في خلق علاقة  
بينهما تتجاوز علاقة المدرّس بالطالب . كان خليقاً به  
ألا يجلسها الآن بجواره حيث يتجهان وحيدين في طريق خال  
بلا قصد معين أو بقصد مضحك ، هو قراءة كتاب من الشعر .  
ماذا يريد منها ؟ !

لو انه إنسان غير مقيد ، لقالها بملء فيه : الزواج .  
أجل ! إنها لا شك تستطيع أن تسعد أى مخلوق  
متزوج . . إنها مخلوقة نموذجية .  
ولقد أحس منذ رأى وجهها وسط عشرات الوجود  
أن لها موضعاً خاصاً في نفسه ، وأنها يمكن أن تكون ذات  
شأن في حياته .

كل ذلك مقبول وحسن لو أنه حر يستطيع زواجها .  
أجل . ليس هناك ما يمنعه من الاندفاع نحوها والانسحاق  
في حبها ، ولقائها والخروج معها ، لو أنه يستطيع أن يختم  
كل هذا بخاتمة جدية .

أما أن ينساق معها لمجرد إرضاء النفس ، فهذا هو العبث  
والحمق ، وإثارة اللغظ والأقاريل وتشويه السمعة ، سمعته  
وسمعتها .

إنه يعتبر نفسه في حكم المتزوج ، ففي خلال أيام يصل  
إليه رد خطابه ، الذي ستحدد فيه زوجته القادمة موعد  
بجئها .

“ لقد كان أبوه على حق في كل ما قال .

أجل . ليس هناك وجه للمقارنة على الإطلاق بين  
الفتاة الإنجليزية القادمة ، والمصرية الجالسة بجواره .

ما ضرَّ القدر لو ساقها إليه قبل ذلك بقليل ! ما ضرَّه  
لو جعله يحس بقيمتها في قلبه قبل أن يرسل ذلك الخطاب  
الذي حدّد به مصيره وقيد به نفسه ؟

أهو يجب الإنجليزية حقاً ؟ أم أن المسألة لا تعدو  
— كما قال أبوه — مجرد شفقة ووفاء بوعد ؟

أى وعد !! إنه لم يعدها بزواج ، ولكنه عاهد نفسه  
على أن يرسل في طلبها بمجرد المجيء إلى مصر . . إنه مجرد  
عهد بينه وبين نفسه .

تباً له من مغرور أحمق !

ولكن ما فائدة كل هذا الآن . إن خير ما يفعله هو  
أن يكون رجلاً ، فلا يحاول أن يزج بالفتاة في علاقة

لا فائدة له منها . . . يجب ألا يورطها أو يتورط معها .  
إلى هذا انتهى به تفكيره اليأس ، ألا يزلق معها  
وأن يبعد نفسه عنها ، وأن يتحاشاها قدر ما يستطيع .  
ولكنها لم تكن في تفكيرها كذلك ، لم تكن قط  
يائسة ، على النقيض إنها كانت تحس - رغم قلقها من الجلوس  
بجواره - بالأمل العريض ينساب أمامها . . . أملا يفتح  
آفاقاً متسعة لم تتفتح من قبل . . . كانت تشعر أن هذا المخلوق  
العزیز عليها الجالس بجوارها ، يمكن أن يصبح ملكاً لها  
في يوم ما . . . ويمكن أن تصبح ملكاً له ، وأن يضمهما  
بيت واحد ويربطهما أولاد مشتركون . . . أجل . يمكن أن  
يكون كلاهما مخلوقاً واحداً .

هذا شيء جميل . . . ممتع . . . أمتع كثيراً من الدراسة  
والدكتوراه ؛ ورئاسة الحزب النسائي ؛ والوزارة ؛ ورئاسة  
الوزارة . . . إن كل هذه تبدو سخافات ومهارات أو زبداً  
ذاهباً جفاء .

أما هذا الاندماج الذي باتت تتلمف عليه . فهو الثابت  
الباقى ، هو الربح الحقيقي الذي يمكن أن تحصل عليه من الحياة .  
لقد كانت تعيب على المرأة جلوسها على قارعة الحياة ،  
وهد يدها لعابر سبيل يتولى أمرها وتشاركه حياته وربحه  
ومصيره .

كانت تكره ذلك .. وتعييه على النساء .. ومع هذا  
فلشد ما يسعدنا أن يجلس الآن لتمديدها إلى ذلك الجالس  
بجوارها لكي يتناولها ويضمها إليه .. ويمتلكها ويشرك  
مصيرها في مصيره .

لقد كانت تكره تبعية المرأة للرجل . ومع ذلك فلشد  
ما باتت - وهي تجلس بجواره مرهفة الحس - تتلف  
على هذه التبعية .

إن المرأة إذا أحبت .. فهي تفضل مسح خذاء زوجها  
على رئاسة الوزارة .

حمداً لله .. أن خلق بعض النساء بحيث لا يمكن أن  
يندجن في حب ، حتى يستطعن المناداة بحق المرأة وحريتها .  
كانت تشعر .. وهي تجلس بجواره .. أنها لأول مرة .  
قد باتت أثنى . وكانت تتوق إلى الالتصاق به والارتقاء بين  
أحضانها .

هكذا كانت مشاعرها ، وذلك كان تفكيرها . ومع  
ذلك فقد كانت لا تملك إلا الجلوس في قلق وشروء  
وخوف واضطراب .

وأخيراً وقفت العربية .. وسألها في رقة :

- أفضلين البقاء في العربية .. أم الجلوس في هذا  
المقهى ؟ .

— الجلوس في العربية أفضل .

وببساطة .. أخرج كتاب الشعر .. وفتحه وبدأ  
في القراءة والشرح .

ما هذه الغباوة ؟ من قال له إنها تريد أن تسمع شعراً ؟  
إنها تريد أن تسمع حديثه هو عن نفسه وعن آماله وعن  
حياته .

ومع ذلك فقد استمر في القراءة والشرح .. كان عازماً  
على المقاومة . وعلى الوقوف عند هذا الحد ، حد الأستاذ  
والتلميذة .

ولم تملك هي إلا الإنصات بذهن شارد تائه .

وأخيراً نظر إلى الساعة ثم قال :

— أظن هذا يكفي اليوم ، ومن الخير أن نعود الآن ؟

— أجل . يكفي هذا اليوم .

وأدار العربية ثم عاد من حيث أتى .

وتملكها أثناء عودتهما خليط من الإحساس بالخيبة

والفشل .

أحقاً يظنها في حاجة إلى تعلم الشعر الإنجليزي ؟ أكل

ما يشعر به نحوها هو مجرد رغبته في تعليمها ؟

تأله من أحق مافون .

ولكنها مع ذلك لم تملك سوى الشعور بالارتياح

والغبطة من مجرد جلوسها بجواره ، هذا خير من لا شيء .  
وعند ما وصلت العربية إلى ميدان عبد المنعم طلبت منه  
الوقوف أول الشارع ولم تتركه يوصلها حتى باب البيت كما كان  
يفعل أنور ، لسبب واحد هو أنها تشعر أنها مذنبه .  
وودعها ، دون أن يحدد موعداً آخر للقاء .

لشد ما خذلها وخيب أملها ، لو لا بقية من كبرياءه ،  
لسألته هي اللقاء . . ما علته ، هذا الأحق المغرور ، لم لم  
يسألها لقاء آخر !

ودخلت البيت واجمة وهي بحسب كم يوم تبقى حتى تراه  
في الدرس مرة أخرى . . ستة أيام . . مدة طويلة جداً . .  
ما ضره لو وعدّها بقاء غداً ، وبعد غد . . هكذا أضحى  
تفكيرها طائشاً مندفعاً .

أما هو فقد عاد إلى بيته محزوناً مكتئباً ، وأخذ  
يستعرض أقوال أبيه وهو يحاول منعه من الإقدام على  
الزواج بالانجليزية .

كان كله كلاماً معقولاً . كيف عميت بصيرته عن إدراكه .  
ولكن ماذا يفعل الآن ؟ لقد قضى الأمر ، وانتهى كل شيء .  
ر قبل أن يدخل حجرته أقبلت عليه الحاجة ، وهي  
الدادة ، التي قامت بتربيته طول عمرة والتي كانت له بمثابة  
أم بعد وفاة أمه التي لم يبصر لها وجهاً .

ومدت «الحاجة» يدها بخطابٍ لمح عليه طابع بريد لندن  
ورفعت المرأة يديها إلى السماء وهي تقول في استسلام:

— منك لله .

كانت هي الأخرى ، غير راضية عن الإنجليزية ،  
وقد حاولت من قبل نصحه عبثاً .

انتهى الأمر ولا فائدة من التراجع . . . إنها قد تكون  
قادمة في طريقها . . . ومن الجنون أن يحاول إعادتها  
وخذلانها .

وقتح الخطاب ليعرف تاريخ وصولها ، ولكنه لم يكده  
يقراً بضعة أسطر حتى رفع حاجبيه في دهش !!

ما هذا !! إنها تأسف جداً ، وتقول له إن خطبتها من  
أحد أقاربها قد تمت ، وأنها ستزوج بعد بضعة أيام ،  
وتقول إنها مستذكرة دائماً وتتمنى له مستقبلاً هنيئاً وحياة  
سعيدة .

بديع !

هذا الخطاب تمتحق عليه «الحاجة» قبلة . . . وناداهها  
بصوت مرتفع :

— يا حاجة !

وأقبلت الحاجة بخطى متساقطة وأجابته في ملل :

— نعم . . . الأمله ، قادمة في الطريق ؟ نعلق الأعلام

ونفرش الرمل؟

- « الأمل ، ليست قادمة ، ولن تأتي أبداً . مارأيك؟ »

- لن تأتي؟!!

- أجل! لقد تزوجت ، والحمد لله .

- الحمد لله .. أمغتط أنت لزوجها؟ .. كنت أظنك

تنتظر قدمها يفارغ الصبر .

- كان ذلك فيما مضى

- والآن؟

- تبدل الأمر .. لقد كنت أنتظر قدمها ككارثة

- يا ساتر يا رب ، وما الذي بدلك؟

- تعالى أقبلك أولاً . أنت امرأة طيبة ، وكلك بركة .

وضحك الحاجة وضمته إليها وقبلته ، ثم تساءلت في تخابث:

- قل لي ماذا أصابك؟

- لا شيء .

- غير ممكن! لا بد أن هناك شيئاً!

- هناك أشياء .. سأزوج قريباً

- من؟ « خواجهه ، أخرى؟ »

- لا .. لا .. أبداً .. اطشني .. مصرية بنت مصرية ،

ستعجبك كثيراً .

- مادامت مصرية .. فستعجبني حتى ولو كانت شحاذة .

- ولكن أين أبي؟
- في الخارج لم يأت بعد.
- عند ما يأتي أنبئني ، فإني أريد التحدث معه .
- ولم يكذب ينتهي من حديثه ، حتى سمع وقع أقدام آبيه  
المتشاقلة تصعد الدرج .
- وجلس الأب على المقعد الذي تعود أن يجلس عليه ،  
وجلس الابن قبالة ، ومضت فترة صمت تمالك الأب فيها  
أنفاسه ، ثم قال لابنه كسؤال عابر :
- كيف الحال ؟
- الحمد لله .
- وكيف التدريس والطلبة ؟
- على ما يرام .
- وجرى بينهما الحديث في شتى الشؤون .. شؤون السياسة  
الجو والحرب والغلاء . وأخيراً قال : كمال :
- لدي نيا قد يهيك بعض الشيء .
- ما هو ؟
- نيا معافاتك من الأحفاد الإنجليز .
- ثم انطلق ضاحكاً . وتساءل الأب مكرراً قوله في عجب :
- أحفاد إيه ؟
- إنجليز . ألم يكن هذا ما يقض مضجعتك ؟ ألم يسوك

بعد أن اشتركت في ثورة ١٩١٩ أن تكون جداً لأحفاد  
إنجليز؟!!

— أجل! يسئني بالطبع.

— لقد عافيتك من هذا.

— كيف؟

— لقد أرسلت إلى ردها تقول إنها ستزوج من

أحد أقاربها.

ونظر إليه الأب متعجباً من طريقة إلقائه الخبر ببساطة

ثم تساءل:

— وأنت.. ألم تصدم؟

— لا.. كله يهون. لقد كانت معارضتك في محلها.

والحمد لله الذي أنتج العواقب سليمة.

— الحمد لله.

وعاد وكمال، إلى غرفته، وهو يحس بسعادة عجيبة.

لنته يستطيع أن يذهب إليها الآن ليسرد لها كل ما حدث

وينبئها أنه قد بات حراً، وأنه يستطيع الزواج منها.

ولكن كيف يذهب، وهو لا يعرف بيتها.. إن عليه

الانتظار ستة أيام طويلة أخرى.. ولكن لم الانتظار؟

إن المسألة أهم من أن ينتظر عليها، وليس هناك ما يبرق

تردده ونخشيتته وخوفه من أقوال النياس.. إن عليه أن

يذهب في الغد إلى الجامعة ، ويطلب منها لقاء قريباً ، ينبها  
فيه بكل ما عنده .

أجل ! سيذهب إليها في الغد .

وفي اليوم التالي قصد إلى الجامعة . . . وعند ما التقى  
بعبد السلام ادعى أنه قد ترك كتاباً في المكتب ، ثم سأله  
بطريقة عابرة :

— ألم تحضر الأنسة سامية ؟

— لم تحضر بعد .

وأخفى « عبد السلام » ابتسامته وهمس لنفسه :

— والله وقعت .

ولم يكف « كمال » يحتفي في المنبر المفضي إلى حجرة  
الأساتذة حتى ظهرت « سامية » بعد آتة من الباب .

وهرول إليها « عبد السلام » وقال لها في تخابث :

— يا ست « سامية » . الأستاذ « كمال » ، سأل عليك .

— متى ؟

— الآن .

— أقد حضر ؟

— أجل !

— ولكن ليس عنده دروس اليوم ؟

— الظاهر أن عنده ما هو أهم من الدروس . . . لقد

نسى كتاباً هاماً ،  
وانجهدت « سامية » في لطفة ظاهرة إلى حجرة المدرسين ،  
وحيا كلا منهما الآخر في كثير من ارتباك وخشية . وقال  
« كمال » في لهجة وجلة مقتضية :  
— هل أستطيع أن أراك اليوم في موعد الأمس  
ومكانه ؟

— أجل !

— سأنتظرك إذا . لا تتأخرى .  
وهمم بالانصراف متصنعاً العجلة . . ولكن « سامية »  
استوقفته متسائلة في لهجة لا تخلو من السخرية :

— أأحضر معي كتاب الشعر ؟  
ولم يملك إلا أن يضحك على تخايبها وأجاب في صوت  
ذى مغزى :  
— لا داعى ، سيكون لدينا حديث أهم من الشعر .

وفي نهاية الدراسة اعتذرت « لأنور » مرة أخرى عن  
مراقبتها له ، وانجهدت إلى ميدان الجيزة .  
وأحس « أنور » بكثير من خيبة وضيق ، وحدث نفسه  
قائلاً إنه لا بد أن يفعل شيئاً إيجابياً . . لقد قرر أنها خير  
من تصلح له كزوجة ، فماذا ينتظر إذا ! لم لا يبت في الأمر  
وينبئ أسرته بعزمه ويتقدم خطبتها رسمياً . إنها لا شك قد

سأقت بهذا التردد منه ، وهي مخلوقة جادة تكره العبث ،  
فيجب أن يريها أنه جاد هو أيضاً .

ووصلت ، سامية ، إلى ميدان الجزيرة فوجدت العربة  
تنتظرها ، قدلفت إلى داخلها . وانطلقت العربة عائدة في  
عكس طريق الهرم .

فتساءلت في دهش :

— إلى أين؟

— إلى المعادي ، هناك كازينو على النيل .

— قد يكون هذا ملجأ للعشاق؟

— لا ضير علينا منه .

— إنه ليس مكاناً للدراسة ولا لشرح الشعر!

— لن ندرس ولن نشرح شعراً .

— وليس من المستحسن أن يرى فيه أستاذاً وتلميذته!

— نكون أستاذاً وتلميذته . .

ماذا حدث له اليوم؟ أين تحفظه ، وتعقله ، ورزاقته؟

ماذا كان به في الأمس ، وماذا أصابه اليوم؟ وأي حديث

هام ينوي أن يفضي به إليها ، وفي هذا المكان البعيد؟

لا بد أن يكون في الأمر شيء . .

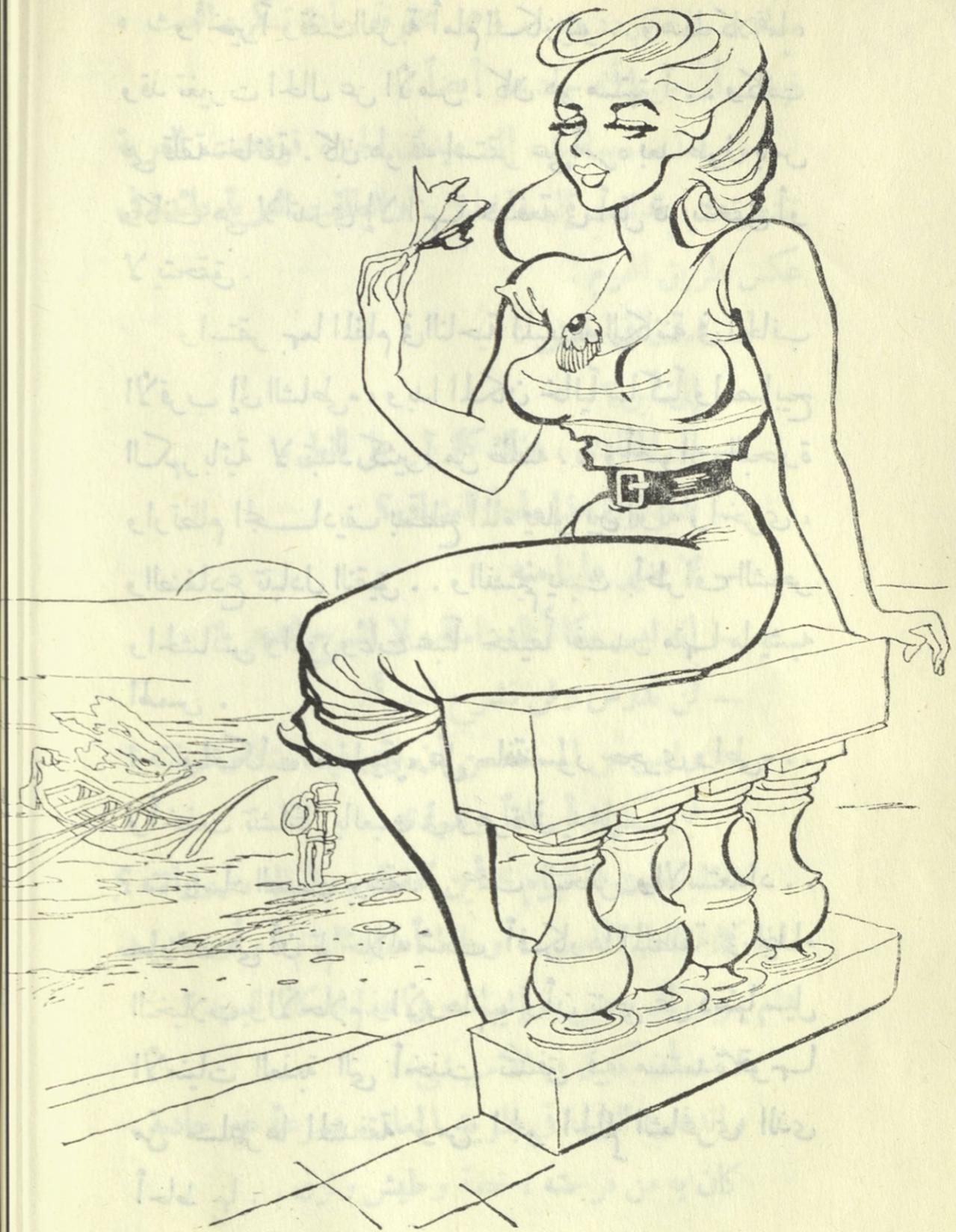
واندفعت العربة في طريق المعادي بسرعة غير عادية .

كان به من فرحته ، خفة وطيش ونزق .

وأخيراً وقفت العربية أمام الكازينو .. وهبط كلاهما ،  
وقد تغيرت الحال عن الأمر . كان هو مستهتراً .. وكانت  
هي قلقة خائفة . كان هو قد استقر على أمره بعد طول يأس  
وكانت هي لا تدري إلا أنها مندفعة في أمل قد يتحقق أو  
لا يتحقق .

واستقر بهما المقام في الناحية المنعزلة الكائنة في الجانب  
الأقرب إلى الشاطئ ، وبدا المكان خالياً ساكناً والمصايح  
الكمربائية لا تبدد كثيراً من ظلمته .. وأصوات البحارة  
وارتطام المجاديف بسطح الماء يعلو بين آونة وأخرى ،  
والضفادع تتبادل النقيق .. والنسيم يعبث بأطراف الشجر  
والحشائش والمزروعات عبثاً خفيفاً فيصدر منها ما يشبه  
الهمس .

وانكأت « سامية » على حافة سور حجري واطمأنت ..  
وأخذت تتشاغل بالعبث في زهرة في يدها .  
وساد الصمت برهة .. صمت التحفز والاستعداد ..  
حاولت هي أن تلم خلاله شعث أفكارها المنطلقة في يدها  
التخيلات والأحلام والأوهام ، وأن تنحى عن ذهنها سيل  
الأمنيات العذبة التي أخذت تتدفق فيه مستمدة قوتها  
من مشاعرها المتدفقة ومن الجوّ الخالم الشاعرى الذى  
أحاط بها .



وحاول هو أن يركز تفكيره لكي يصل إلى هدفه من أقرب طريق .

ونظر إليها نظرات لم تحف ما به من وجد وصبابة .  
وقال لها في لهجة دائبة :

— لدىّ كلام كثير .

— عن كاليكليز ؟

— لعنة الله عليه ، ولو أنه هو الذي كان السبب الأول

في ارتباطنا

— عمن تريد أن تحدثني إذا ؟

— حديث طويل ، لا أدري من أين أبدؤه . . . ولكن

قبل أن أسترسل فيه أسألك سؤالاً واحداً . . . على إجابته يتوقف كل ما أنوى قوله ، بل عليه يتوقف إذا كنت أقول كل ما عندي أو لا أقول شيئاً أبداً .

— سل ما تشاء !

وصمت برهة ، بدا خلالها كأنه يستجمع شجاعته . . ثم

سألها في همس ووجل :

— إذا سألتك أن تزوجيني . . فهل تقبلين ؟

ولا شك أن سؤاله كان مفاجأة شديدة .

إن هذا هو أقصى ما تمناه ، وأجمل ما كانت تتلطف على

سماعه منه .

ولكنها لم تتوقع أنه يقوله بمثل هذه السرعة والسهولة  
كانت تتوقع أن تسبقه مقدمات ، ومقابلات واستفسارات  
واختبارات .. قد تجتازها وقد لا تجتازها .

أما أن يكون هذا هو أول سؤال يسأله إياها . فهذا  
ما كان ليخطر لها على بال .

وكان يحدق في وجهها قلقاً ، والأفكار تدور في ذهنها .  
وأخيراً سأها مستفهماً :

— لم تجيبي بعد ؟

ورفعت عينيها إلى عينيهِ .. وأطلقت تهيدة حارة ..  
وأجابت :

— طبعاً أقبل .. إن هذا هو أقصى ما أتمناه .

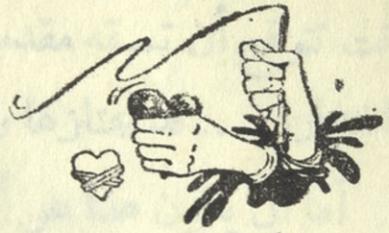
ومد يده فجذب يدها .. ووضعها على شفتيه في سكون  
قائلاً :

— الحمد لله .





وأحست هي من قوله أنه  
قد بدأ من النهاية ، وأنه أفضى  
بطلبه وبرضائه عن موافقتها



بكل ما يكمنه من مشاعر ، وأنه لخص بكلماته المعدودات  
ما كان يمكن أن يفضى إليها به من أقوال في ساعات عن  
شجون الحب ، وأحاديث الغرام .

ولكنها مع ذلك تود لو أن تسمع تلك الأحاديث  
والأقوال . لقد عاشت حياتها الماضية بعيدة عن كل ما يثير  
مشاعرها ويوجب أحاسيسها ، وكانت طريقته هذه - طريقة  
طلب الزواج مباشرة - خائفة بأن تكون أنسب الطرق لها .  
ولكنها مع فرط إحساسها بالسعادة ، تحس بحاجة شديدة  
إلى المناجاة والغزل .

وبدأ مناجاته لها ، فأنبأها كيف وقعت من نفسه وهي  
حائرة في الامتحان وكيف كان يتجنب النظر إليها في الدرس  
وبودده لو لم يفعل شيء غير النظر إليها . وقص عليها كيف  
أوشك أن يتزوج من صاحبة الإنجليزية ، وكيف كان يمانع  
والده في ذلك .

وجرى بينهما الحديث شيقاً ممتعاً ، رغم أنه لا يعدو  
أن يكون ترديداً لأشياء لا يحفلها واحد منهما .

وحدثته هي عن نفسها فأنبأته أنها تعيش مع أمها . . .  
واسترسلت تقول :

— إنها سيدة لطيفة رقيقة ، ولست أشك في أنك  
ستحبها كثيراً ، كما أحببتها أنا دائماً ، ولست أشك كذلك  
في أنها ستحبك كما أحببتني . . . إنى متلهفة على أن يرى كل  
منكما الآخر فأتيا أعز مخلوقين لدى في الحياة .

وصمت برهة كأنها تتذكر أمراً ، ثم قالت في فرح :  
— أظني أحمل لها صورة في حقيقتي ، صورة لكنتينا  
قديمة عندما كنت طفلة !

— لا بد أنك كنت عفريته صغيرة ، دعيني أراها .  
وفتحت الحقيبة وبحثت فيها برهة وما لبثت أن أخرجت  
بضع صور وبدأت تعطيه إياها واحدة واحدة وهي تقول :  
— هذه صورتنا معاً ، وهذه صورتى مع بعض  
الصديقات في المدرسة الثانوية ، وهذه صورتى بعد البكالوريا  
وهذه صورتى في الجامعة .

— لطيفة جداً ، سأخذ هذه الصورة ، وهذه الصورة  
أيضاً ، حتى أرينهما للحاجة ، فستسر. منهما كثيراً ، لقد كانت  
سعيدة بالأمس ، وأنبأتنى أنها تفضل أن أتزوج شاهدة مصرية  
وبى شوق إلى أن أريها صورة المتشرّدة التي ستزوجها .  
وأخذ صورتها وهي في الجامعة ، وصورتها وهي طفلة

- بجوار أمها ، ووضعها في جيبه وهو يقول :
- كان يجب أن تتركى ضفائر ك مسترسلة كما هي ، فإن شعرك جميل جداً .
- فتاة في الجامعة بصفائر؟! دكتورة بصفائر؟ إنك تنسى مركزى؟
- لن يكون لك مركز إلا في البيت .
- أتقول حقاً؟
- طبعاً .
- ألن تتركى أتمم دراستى؟
- لا.. لا.. سيكون لديك دراسة أهم ، سأكون أنا والأولاد موضع دراستك .
- والدكتوراه؟
- سأحصل عليها أنا نيابة عنك . . إن زوجة الدكتور دكتورة بلا شك .
- والحزب النسائى؟
- تنازلى عن رئاسته .
- ورئاسة الوزارة؟!
- مرة واحدة؟! هذه مسألة فيها نظر . إذا دعيت لتأليف الوزارة فأنيبني عنك .
- واندفعاً في الضحك ، وقد غمرتهما السعادة والهناء

ونظرت إلى ساعتها ثم رفعت حاجبها في دهشة وهتفت :  
— الساعة التاسعة ، لا بد أن أعود وإلا قلت أمي عليّ .  
وقاما متجهين إلى العربة ، وقد تأبط كل منهما ذراع  
الآخر بلا وجل ولا خشية ، وانطلقت بهما العربة إلى  
القاهرة ، وفي هذه المرة لم تجد ما يمنع من أن يوصلها حتى  
باب البيت ، وقبل أن يفترقا اتفقا على اللقاء في الغد .

وسار هو بعربته ملوحاً لها في الظلمة بيده . ودلفت إلى  
الداخل ، فأبصرت أمها تنتظر في الشرفة ، ولم تكذبصرها  
حتى هتفت بها :

— سامية ! لم هذا التأخير ؟ كان يجب أن تخبريني أنك  
ستأخرين حتى توفرى عليّ هذا القلق وتلك الوسوس .  
وصعدت الفتاة الدرج ، وأقبلت على أمها فاحتضنتها  
وقبلتها قائلة في مرح :

— إني لم أعد صغيرة يا أماه ، عما قريب قد يصبح لي  
أولاد ، وسأكون عليهم في لطفة مثلك .  
ووقع قولها في مسامع أمها موقعا غريباً ، فما تعودت  
منها التحدث بتلك اللهجة ، بل كانت لا تكاد أمها تحدثها  
عن الزواج حتى تصدّها قائلة :

— دعينا من هذا الآن .. إن أمامي مستقبلا حافلا ،  
وأعمالا جليلة .

وكانت أمها تعجب من برودها دائماً ، و تراها على كثير  
من الشذوذ ، ولكن لم تكن تملك إلا أن تحمد الله على هذا .  
أما الآن وهي تخبرها أنها قد يصبح لها أولاد مثلها ،  
فقد بدا قولها عجيباً . . حقيقة إنها تمزح . ولكنها لم تتعود  
أن تمزح بمثل هذه الطريقة .

ولم تملك الأم إلا أن تقول ببساطة وإخلاص :

— ربنا يسمع منك .

— لقد سمع وانتهى الأمر .

— ماذا تقولين ؟

— إن الأولاد في الطريق .

— أولاد في الطريق ؟ ! بلا زواج ؟ أولاد بالدراسة

العليا ، أم بالدكتوراه ؟

— كيف بلا زواج ؟ إني لست مريم .

— إذا فعلام انتظار الأولاد ، وأنت معرضة عن

الزواج ، لا تطيقين حتى مجرد ذكره أمامك ؟

— من قال هذا ؟ لقد عدلت عن رأيي أخيراً .

— عجيب !

— وعلام العجب ! إن الإنسان يظل على رأي ، حتى

يظراً ما يغيره .

— وهل طراً هذا الذي غيره ؟

- أجل ! طارىء عجيب !
- سامية ! أرجوك أن تفصحي إذا كنت جادة حقاً  
في قولك ؟
- أفصح عن أى شيء ؟ موجز القول أنى خطبت .
- خطبت ! . هكذا دون أن أعرف . . ودون أن  
أبدي رأبي ، كأنى لست أمك ؟
- هذا الذى أفعله الآن ! إنى أنبئك ، وأخذ رأبك  
ما رأيك يا أماء ؛
- رأبي ؟ ! فى أى شيء ؟
- فى خطبتى .
- وكيف أبدي رأبي ، وأنا لم أر الخطيب ، ولم أعرف  
اسمه ، ولا مركزه ولا عائلته ؟ !
- لقد رأيته أنا ، وعرفت أنا كل شيء عنه . دعى كل  
هذا لى . . فأنا أدري منك به . . أنبئنى ما رأيك ؟
- سامية . . أرجوك . اقعدى ، وكفى مزاحاً وهيافة ،  
أنبئنى إذا كنت قد خطبت حقاً . . من هو ؟
- أستاذ الإنجليزية الذى يدرس لنا فى المعهد .
- أستاذ الإنجليزية ؟
- أجل . . أية غرابة فى ذلك ؟
- مصرى ؟ !

- مصرى ، ومن « حوش آدم »
- لا تهزلى يا سامية . . إني أسألك جادة .
- جادة !! كيف ؟ تسألينى مصرى وتقولين جادة ؟
- أتظنين أبى سأقدم على زواج إنجليزى ، أو أن الإنجليزى قد جن حتى يتقدم لخطبتى .
- أستاذ الإنجليزى المصرى الذى يدرس لك فى المعهد ؟
- أجل !
- وكيف يكون هذا ؟ .. كيف تتزوجين من أستاذ فى سن أريك ؟
- فى سن أبى ؟ من قال هذا ؟!
- أستاذ فى الجامعة لن تكون سنه إلا ضعف سنك !
- ليس أستاذاً بمعنى الكلمة ، إنه معيد . . يدرس لنا بدل الأستاذ الغائب ، تستطيعين أن تسميه مساعد أستاذ . .
- أو صى أستاذ . . وهو صغير جداً ، يكاد يقاربنى فى العمر حتى أنى ظننته فى أول الأمر طالباً ، وسألته لماذا يتجول فى مدرج الامتحان .
- وماذا دعاه إلى خطبتك ؟
- حماقته .
- وماذا دعاك إلى قبوله ؟
- حماقة أشد .

- سامية! كوني صريحة في قولك .. كوني جادة مرة واحدة ، في مسألة هامة كهذه ؟
- صراحة .. لقد أحببته .
- أنت أحببت ؟
- ولم لا ؟!
- كنت أظن أن قلب مثلك لا يفتح لأحد !
- وكنت أظن ذلك ، حتى طرقة صاحبنا .. فانفتح على غير إرادة مني .. لم يكن معه مفتاح ، بل كانت معه « طففاشة » ، أشبه بطففاشة لصوص الخزائن .. ومع ذلك فلم يكن به من حاجة إلى استعمالها ، فقد فتح به باب القلب على مصراعيه بمجرد أن سمع وقع أقدامه
- أنت تقولين هذا ؟
- ولم لا يا أماه ؟ إني بشر !
- ومثلك العليا ؟ وخططك الهائلة ؟ ومشروعائك الكبرى ؟ والدكتوراه ؟ والحزب النسائي ؟ وحقوق المرأة ؟ والبرلمان والوزارة ؟
- كل هذه ما عادت تساوي قلامة ظفر . لقد أمرني أن أكف عن الدراسة ، فليت صاغرة .
- هكذا وبمثل تلك السرعة ؟ رغم أني عندما سألتك الكف عنها ، رفضت بإباء ؟

— لقد هيا هو دراسات أخرى وواجبات أعظم .

— وما هي؟

— دراسة طبائعه وعاداته ، ورعاية بيته وأولاده .

— ما شاء الله . . إذا لقد انتهى الأمر بينكما ، ولم يعد

لى مجال لإبداء الرأى؟

— ولكنك أبديت رأيك .

— كيف؟

— إن رأى هو رأيك . . فأنا أفكر بذهنك ، وأرى

بعينيك . إنى واثقة أن ما أراه حقاً ستريه حقاً ، وما أراه

باطلاً ستريه باطلاً . . أنا وأنت مخلوق واحد ، وأقسم لك

لو رأيت لأحبته كما أحبته أنا ولو ائقتنى على الزواج منه .

وضممتها الأم بين ذراعها . . وقد اغرورقت عينها

بالدموع . . دموع الفرح ، وقالت فى حنان زائد :

— أنا أعلم ذلك . . أعلم أنك أوفر الناس عقلاً

وأكثرهم روية . . إنى أئق بك أكثر مما أئق بنفسى . .

وأدعو الله أن يسدد خطاك ويمجيبك عثرات الحياة . إن كل

أمنىتى هى أن أراك قريرة هائلة

واستسلمت « سامية » برهة لأحضان أمها ، ثم ما لبثت

أن رفعت رأسها متسائلة :

— متى تودين أن تريه؟

— خير البر عاجله .

— سألقاه في الغد . وأعلم منه ما ينوي أن يفعله .

\* \* \*

وكان « كمال » قد وصل في تلك اللحظة إلى البيت ووضع  
العربة في « الجراج » واتجه إلى الداخل عابراً الحديقة وهو  
يصفر في جذل ومرح . . وصعد الدرج في بضع قفزات . .  
واتجه إلى حجرته ، وكان أول ما فعل هو أن أخرج الصورتين  
وأخذ يعيد مشاهدتهما . . وهو يتسم في جوارر واغتباط .  
سيقدم الصورتين للحاجة . . سيربها الصورة الأولى  
أولا التي تظهر فيها « سامية » وهي طفلة بضفاؤها وبجوار  
أمها . سيقول لها إن هذه هي خطبته ، وستصيها الحيرة  
بالطبع وستور عليه . . إذ لن يخطر لها ببال أنه قد خطب  
الطفلة ، بل ستظن أنه خطب امرأة متزوجة ، ولها أولاد .  
وسيضحك عليها كثيراً . . كما تعود أن يضحك دائماً . .  
سيربها بعد ذلك الصور الثانية ، ويطلب رأيها ، ثم صاح :

— يا حاجة . . يا حاجة .

وأقبلت الحاجة في خطواتها المتثاقلة وهي تقول :

— العشاء جاهز .

— دعينا الآن من العشاء . . عندي لك خبر هام .

— خير إن شاء الله ؟

- لقد خطبت .
- خطبت؟! —
- أجل! خطبت .
- هكذا، بسرعة؟
- وماذا في ذلك؟
- كان عليك أن تنتظر على الأقل حتى تنتهي مدة الحداد على الخطوبة السابقة .
- إني أتكلم جاداً يا حاجة، حقيقة لقد خطبت .
- خطبت من؟
- فتاة عجيبة .. أحببتها جداً .
- متى أحببتها؟ بين يوم وليلة؟
- لا .. لا .. لقد ابتداء الأمر بيننا منذ مدة طويلة .
- لعلك تكون عرفت كيف تلتقي هذه المرة؟
- اطمئني .. هذه المرة ستعجبك جداً .
- على أي حال .. وأياً كانت .. فهي لا شك خير من الإنجليزية التي كنت تنوى ابتلاءنا بها .
- خير بكثير .. بكثير جداً .. إن معي صورتها .
- أرنها .
- ومد يده ببساطة بالصورة الأولى .. ووقف يرقب الانفعالات التي ستبدو على وجهها وهو يحاول إخفاء ضحكته .

إنها تحمق في الصورة في دهش .. ما زالت تحمق . إن  
حدقتها تتسعان وشفقتها تتحركان .

إنها لم تنبس بينت شفة .. إنها في ذهول تام .  
المرأة الساذجة .. لا شك أنها قد ظنته سيتزوج الأم .  
أو من يدري ربما قد ظنته ، سيتزوج الطفلة .. وهي طفلة .  
ولكن ما لها مستمرة في الحملقة .. وما للداعي لهذا الذعر  
كأنها قد أبصرت شبحاً مخيفاً .. لماذا لا تسأله ؟ لماذا لا تبدي  
استنكارها وغضبها ؟

وأخيراً لم يطل ذلك الصمت المروع .. وخشى على  
المرأة أن يصيبها شيء فقد بدا ووجهها في شحوب شديد .  
وقال لها متسائلاً : مارأيك يا حاجة ؟ أتعجبك ؟  
ولم تجب المرأة .. ولكنها انهارت على أحد المقاعد ..  
انهارت انهاراً تاماً وسقطت الصورة من يدها . وسألت في  
صوت خافت :

— ما هذه ؟!

— ما الذي أصابك .. إنها صورتها .

— صورة من ؟

— خطيبتى !

— من أعطاك إياها ؟ وكيف حصلت عليها ؟

— ما بالك تتحدثين كأنك رأيت صورة شبح .. لقد



حصلت عليها منها .. آية غرابة في ذلك؟! إني لم أسرقها  
طبعاً ، فلا تخافى .

— منها هي ؟ . أقد رأيتها؟

— طبعاً .. أقول لك خطبتها .. فتسأليني عما إذا كنت  
قد رأيتها؛

وأخنت جسدها إلى الأمام ونسألت في حدة :

— خطبت من ؟ من هي تلك التي خطبتها ؟ إنك تمزح ؟  
إنك تهذى !

لا بد أنها ظنته قد خطب الأم ، ولكن أيدعو ذلك إلى  
كل هذا الارتياح ؟ . لعنة الله عليها من امرأة مخبولة ، لا بد  
أن يطمئنها وإلا أغشى عليها .  
وأخيراً قال لها ضاحكاً :

— أيتها المجنونة لقد خطبت الابنة - الطفلة الصغيرة -  
إنها صورتها منذ بضع سنين .  
وصاحت المرأة في فزع :

— خطبت من ؟ أنت مجنون ؟ إنك لا تعرف من  
تكون هذه ؟ ومن أين لك أن تعرف ؟ بل من يصدق أن  
مثل هذا الأمر كان يمكن حدوثه ؟ من يخطر بباله أن من بين  
هذه الملايين من الفتيات التي تزخر بها الأرض .. لا يقع  
اختيارك إلا على هذه المخلوقة ، على ابنتها بالذات .

ونظر إليها في حنق ودهش .. ماذا تعنى هذه الخبولة ،  
وصاح بها متسائلاً :

— ابنة من ؟

وعضت العجوز على نواجذها .. ثم أطلقت قولها كما  
تطلق القذيفة .. قالت فى يأس شديد :

— ابنة ، أمك .

وصاح كال :

— ابنة من ؟

— أمك .. أمك أنت .

— إنك لا شك قد جننت ؟

— أنت الذى جننت .

— ولكنك تعلمين أن أمى ماتت .

— ماتت أو لم تمت .. هذه هى أمك .. بعينها ولحمها

ودمها .. إني أعرفها تماماً .

— يا حاجة لا تكونى مجنونة ، لاتهدى بما لاتعين . أنت

تعرفين تماماً ، أن أمى ميتة .. تعرفين أنى ولدت فلم أجدها ..

إنها ماتت وهى تضعنى .. هكذا عرفت طول حياتى الماضية .

هكذا قال أبى وهكذا قلت أنت . إني لم أعرفلى أمأ سواك .

ولم تزد المرأة على قولها فى يأس وإصرار :

— هذه هى أمك ، بعد كل هذه الأعوام الطويلة التى

مضت أعرفا من بين ألف امرأة .. إنها أمك . أمك .  
 — لن أصدقك . إنك في غير وعيك . إنك لا تفهمين  
 ما تقولين ، سأسأل أبي حتى أجعلك تكفين عن هذا الهديان .  
 — لا تسأله شيئاً ، ولا تره الصورة .. إنس كل شيء .  
 إقطع كل علاقة لك بها ، إنك ستقدم بزواجها على جرم  
 لن تغفره بنفسك طول حياتك ، ابتعد عنها ، لا تقربها .  
 — أقطع كل علاقة لي بها من أجل تصوراتك الخرقاء ؟  
 اذهبي إلى فراشك الآن ، استريحى ، فأنت لاشك متعبة ،  
 وسأستفسر منها فى الغد عن كل هذا الهراء الذى تقولين .  
 وتحاملت الحاجة على نفسها ، وعادت إلى حجرتها .  
 واستمر هو يغدو ويروح فى غرفته قلقاً يحدث نفسه :  
 — أمى ؟ كيف ؟ ولِمَ لم يخبرونى أن لى أم على قيد  
 الحياة ؟ كل هذه المدة الطويلة انصرفت من عمرى وأنا  
 أعرف أنى يتيم الأم .. أيعقل ذلك وهى ما زالت على قيد  
 الحياة ؟ لا . لا . يجب ألا أشغل رأسى بمثل هذه السخافة ..  
 لن أسأل أبى مثل هذه الأسئلة المضحكة . هذه أشياء لا تحدث  
 إلا فى الروايات .. أشياء يضعها المؤلفون لتسلية قرائهم ،  
 أما أنا فما أظننى بحياتى الطبيعية العادية .. أيمكن أن يجعل  
 منى القدر بطلاً لمثل هذه الأسطورة الغريبة !  
 أمى الميتة تعود إلى الحياة لتصبح من دون نساء

الأرض .. أم الفتاة التي اخترتها لكي تكون لي زوجة ؟  
لا . لا . هذا لا يعقل ، ولا مبرر له ، ولا علة ولا سبب .  
واستلقي في فراشه والأفكار والأسئلة تصطبغ في رأسه .  
يجب عليه أن ينتظر إلى الغد ، وينبئها بهذيان الحاجة .  
ستضحك كثيراً .. وستنبئ أمها لتتخذ منها نكتة لطيفة .  
أجل ! أجل ! إنها مجرد فكاهة لا أكثر ولا أقل .

\* \* \*

وفي اليوم التالي كانت العربية تعدو بهما في طريق الهرم .  
وأخيراً توقفت قرب ميناء هاوس .. وبدأت هي الحديث  
فأنبأته كيف تلقت أمها الخبر .. وكيف بدا عليها السرور .  
وعندما انتهت من حديثها شرد به الذهن برهة ثم قال :  
— لقد وقع بالأمس حادث عجيب .. حادث مضحك ،  
أعتبره نكتة الموسم .

— قصه ! لقد مضت عليّ برهة لم أسمع نكتة جديدة .  
— لقد أريت صورتك أنت وأمك للحاجة . فما كادت

تخيلها حتى قالت .....

ولم يتم حديثه .. حتى قاطعته بقولها :

— قالت عليّ قبيحة ؟

— ياريت !

— متشردة ؟ مجنونة ؟ قل . قل . إني سأحتمل أي إهانة منها .

— لم تقل عنك شيئاً .. بل إنها لم تلتفت إليك البتة .  
— قالت إذاً عن أمي . سأعرف كيف أقتص منها ..  
ماذا قالت ؟

— قالت إنها أمي أنا .

— أمك أنت ؟

واندفعت « سامية » تقهقه بشدة وأجابت :

— كويسه .. كويسه خالص .. نكتة لا بأس بها .

— ولكنها لم تقلها على سبيل النكتة !

— ربما تكون أمي شبه أمك . يخلق من الشبه أربعين .

— إنها لم تقل أنها تشبهها . بل قالت إنها هي . هي لا محالة .

— ولكنني أظن أن أمك ( عليها رحمة الله ) توفيت ..

وأمي ( مدّ الله في عمرها ) حية . فما رأيها في ذلك ؟

— لقد أصابها ارتياح شديد .. كادت الصورة تصرعها

وأصرت على أنها هي بعينها أمي . وأنها تعرفها من بين

ملايين النساء .

— على أية حال .. المسألة ليست بعيدة .. سأسأل أمي

عما إذا كانت ولدتك قبلي .. أما الآن فدعنا من هذه المحبولة

التي حيرتك ولنتحدث فيما هو أهم . وفي الغد سأحمل رأي أمي

فيك وفي الحاجة « بتاعتك » ولا أظنه سيكون رأياً يسرك !

وجرى بينهما الحديث مرهفاً لذيذاً . ونسبياً كل شيء

عن قول الحاجة . بل لقد استحمق هو نفسه . كيف قبل أن  
يسمع قولها . وكيف ترك نفسه يفكر فيه . ويقلق من أجله !  
وأخيراً افترقا ، بعد أن اتفقا على اللقاء في اليوم التالي .  
وأنبأها أنه سيخبر أباه بعزمه على خطوبتها حتى يقوما  
بالإجراءات الرسمية الشكلية .

وعادت هي إلى البيت فوجدت أمها جالسة في الشرفة  
تتسظرها كعادتها وسألتها الأم ضاحكة :  
— كيف حال خطيبك ؟

— بخير .. يسلم عليك كثيراً .. وسيزورك في القريب  
لعمل الإجراءات الرسمية كما يقول .

ثم أردفت تقول في لهجة مزاح :  
— لقد اتضح أن لنا به صلة قرابة .  
— صلة قرابة ؟

— أجل قرابة ! أى شيء في ذلك ؟  
— أتمزحين ؟

— بل أقول الجد !  
— قرابة من أى نوع ؟

— نوع عابر .. بعيد .. إنه ابنك  
وانطلقت تقهقه .. وهي تردف قائلة :

— بسيطة .. إنه ليس أكثر من أخى .. الحمد لله . إنه

لم يكن أقرب من ذلك ، لم يكن أنا مثلاً .

وقالت الأم ضاحكة :

— ألا تكفين عن المزاح ؟ حياتك مزاح في مزاح ؟

— وما ذنبي أنا في ذلك .. والحاجة تؤكد قولها ..

وتقسم عليه .

— الحاجة ؟ من هي الحاجة ؟

— التي قامت على تربيته بعد وفاة أمه ، لقد قال لي إنها

لم تكمد ترى صورتك حتى شحب وجهها وبدا كأنها قد أبصرت

شبحاً ، وأنها لم تتمالك نفسها وتهاوت على المقعد ، وقالت إن

هذه صورة أمه بلحمها ودمها وأنها تعرفها بين ملايين النساء

— ولكن ألم تقولي أن أمه ماتت ؟

— هكذا قالوا له .. إنه لا يذكرها ولا يذكر موتها .

— وماذا قالت له الحاجة ؟

— قالت ماتت ، أو لم تمت .. إن هذه هي صورة أمك

فأوقف خطبتك ، واقطع كل علاقة لك بها .. لقد قال لي إنه

لم يرها في مثل تلك الحالة من الارتباع والذعر حتى أنه ليجزم

أن المرأة قد أصابها شيء ، فما كان بها ليس أمراً طبيعياً .

ونظرت الفتاة إلى أمها فإذا بها قد وضعت رأسها في

كفها وأخذت تضغط بأصعها على وجنتيها ، وقد أغمضت

عينها وشحب وجهها ، وبدت كأنها تقاسي الماء أو كأنها

توشك أن تروح في غيبوبة .. وهتفت «سامية، صائحة لها:

— أماه؟! ماذا بك؟ ما بالك؟

وأجابت الأم بصوت خافت وكأنها تتساقط إلى هوة

عميقة: — ماذا قلت اسمه؟

— كمال.

— كمال ماذا؟

— كمال عبد الرحيم.

وعادت أمها تعتصر رأسها في ألم شديد وتهمس لنفسها:

— لا .. لا .. لا يمكن أن يكون ذلك صحيحاً.

وتملك «سامية، ذهول شديد، وأخذت ترقب أمها

في فزع وسألتها في صوت يشبه النجيب:

— ما بالك؟. ماذا حدث؟. ماذا تقولين؟. أجيبي

يا أماه!؟ لا تتركيني هكذا حائرة .. قولي شيئاً؟

ولم تجب الأم، ومضت برهة، وهي دافئة رأسها بين

راحتيها .. كأنما تقاوم الماء عنيفاً، وأخيراً نهضت متثاقلة

وقالت لسامية: — تعالى.

وتبعها «سامية» في صمت، وقد اصطخبت في ذهنها

الأفكار حتى أضحت لا تسكاد تعي مما حولها شيئاً .. ماذا

تقول؟ وماذا تعمل؟

ودخلت أمها حجرة نومها، وفتحت أحد أدراج

الدولاب، ثم أخرجت صندوقاً مغلقاً وضع ضمن الصناديق  
المغلقة التي كانت تضع أمها فيها حلها والأوراق الهامة .  
كعقود البيع والإيجار . حجج العقارات .  
ووضعت الأم الصندوق على المنضدة . ثم أخرجت  
مفتاحاً صغيراً وضع داخل أحد صناديق الحلى ، وفتحت  
الصندوق ، ثم أخرجت رزمة أوراق مطوية بدا عليها القدم ،  
ثم مدت بها يدها إلى ابنتها ، وقالت فى صوت منخفض :  
— خذى هذه . . اقرئها . . كان يجب أن تقرئها من  
قبل . . كان يجب أن أقول لك كل شىء . . ولكن ظننت أن  
الحياة يمكن أن تطوى ما مضى ، ولم أظن أن الأقدار ستعود  
مرة أخرى إلى نبش رفات الماضى . . خذنها . . اقرئها .  
وأمسكت « سامية » بالأوراق فى ذهول ، وكانت أمها  
فى حالة إعياء شديد ، فحاولت أن ترقد ، وتجلس بجوارها  
ولكنها قالت لها :  
— إنى بخير ، سأجلس فى الشرفة ، واذهبى أنت لقراءتها .  
وسارت « سامية » إلى حجرتها ، وهى تطبق بأصابعها  
على تلك الأوراق .  
ماذا بها !؟ ماذا يمكن أن تحتوى عليه من الأسرار ؟ .  
وكيف سينتهى بها الأمر ؟  
أيمكن أن يكون النبأ صحيحاً ؟ أم يمكن أن يخيب القدر

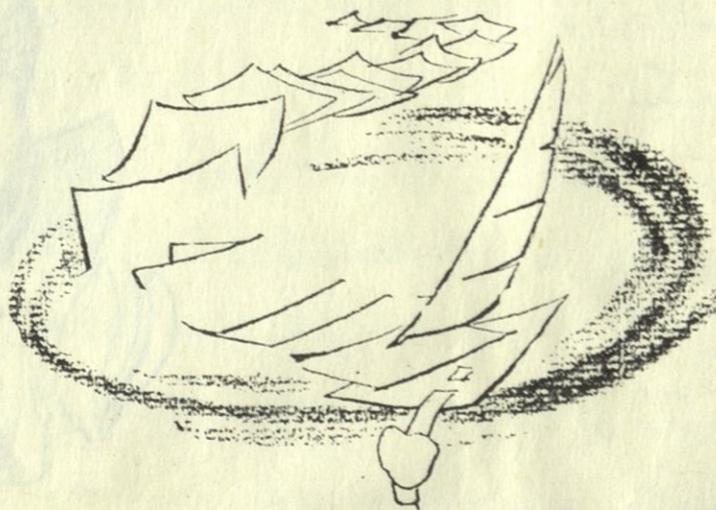
لها أول أمل في حياتها مثل هذه الوسيلة المفجعة . .  
الوسيلة المفاجئة التي لا تحدث إلا في القصص؟ أي يمكن أن  
يكون قد حرك قلبها ليلهبه بذلك السوط الموجه الأليم  
لقد كانت كل حياتها طبيعية سهلة . . لا غرابة فيها ، ولا  
مشاعر ، ولا انفعالات . . أي يمكن أن يدفع فيها القدر بزوبعة  
عاتية . . بعد طول سكونية وهدوء؟

لا . . لا . . حرام عليه . . إنها لم تحاول أن تطلب لنفسها  
شيئاً . . لقد كانت دائماً قانعة بكل شيء مجنبه نفسها شر  
وغائب النفس . . أي عقل بعد ذلك أن يهبها متطوعاً . . هذا  
الأمل الحلو . . ثم يسلبها إياه بهذا العنف والانفعال؟  
إنه قطعاً ليس ابنها . . ولكن ما بالها قد أصابها هذا  
الغيبان والانهيار . . وما بالها أعطتها هذه الأوراق؟  
إن في الأمر سرّاً ، ولكن مهما كان هذا السر ، فهو  
قطعاً ليس أخاها .

أجل ! ليس أخاها . . لا يمكن أن يكون أخاها .  
ويحبها ، ويحبه ، وويح الأقدار العابثة . . إنها تحبه بكل  
جراحة في نفسها ، تحبه كما تحب المرأة الرجل ، لا كما تحب  
الأخت أخاها .  
وأخيراً استقرت في فراشها وبدأت القراءة في انهماك  
شديد .

الجزء الثاني

# القصة الأخيرة





# صواعق في نفس

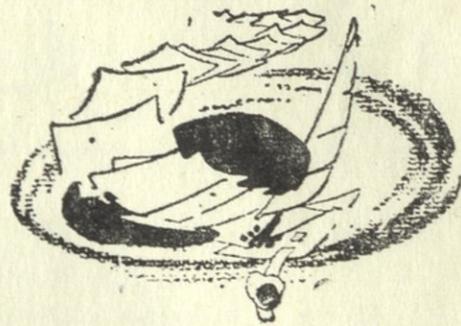


فقطاه البصيرة في القفا  
سعد القراء والخط لا  
بغيره لا يظفر به بين لقا  
وبالكتاب والاربعه لا  
في البصر والكتب في  
٦



سفرة حياطة

وأخيراً . . . أجلس  
لأكتب قصتك . . . أو كما  
اتفقنا على تسميتها « القصة  
الأخيرة » .



أجلس يا أختاه وبني إحساس الخارج من معركة . . .  
الملقى في استرخاء ، وخمود . . . الممدد الأطراف ، المتتابع  
الأنفاس . . . يطلق الزفرة تلو الأخرى . يستروح بها من  
طول عناء ، وصخب ، وضجة ، وحركة

أجلس في الفراش وبني إحساس راكب زورق أحلام  
جميلة ، تهادى به لحظات ، ثم عصفت به الريح فجأة فخطمته على  
صم الصخور وألقته من نعمائه إلى فلاة قفرة موحشة ، لا إنس  
فيها ولا جن ، ولا هاد ، ولا عاد ، ولا عدو ، ولا حبيب .  
أجلس في بيداء واسعة قد خلت من كل شيء وصمتت  
عن كل صوت . . . كل ما حولي مغرق في الهدوء والسكينة .  
ومع ذلك فما زالت تطن في رأسي أصوات موهومة من  
العاصفة وضجيجها ، والزورق وحطامه . . . تطن في رأسي  
كأنها آتية من مكان عميق بعيد الغور .

وأطلق النفس حاراً طويلاً ، وأحاول عبثاً أن أسكت  
ذلك الطنين الموهوم ، ثم أتلفت حولي فأحد القفر شديداً

والوحشة جائمة ، والفراغ واسعاً بلا بسمة تبتل ، ولا قطرة  
تعل ، ولا ورقة تظل .

ويبلغ بي اليأس مبلغه . . حتى تتحسس يدي في الربى  
المقفرة شيئاً تعرفوني منه هزّة ، فإذا بذاهب الأمل قد عاد  
ودارس الرجاء قد تجدد .

وسط الفراغ الخاذل . . والوحدة المفضية . . تتلبس  
يدي خلا لم يخذل ورفيقاً لم يهجر .

في هذا الصمت الخيم والسكون السائد ، وأنا مضطجع  
في الفراش مكدود مرهق ، هائم الروح ، ضال النفس ،  
أحس أني قد وجدت أخيراً مستقراً وملجأ .

وسط السكون والوحدة ، حيث لا صديق ولا حبيب  
ولا ماء ولا غذاء ، ولا ظل ولا ثمر . . وجدت ورقاً وقلماً  
كانت زادي في اليأساء ، وبارقتي في الظلماء .

حمداً لله . . إن العاصفة لم تمزق الورق ولم تحطم القلم .

حمداً لله أن أبقى لي شيئاً أستعين به على وحشة

الفراغ . . وأبدد به بعض هذه السحب الثقيلة المعتمدة .

وأسكت به آثار العاصفة من أصوات ملحة وطنين متواصل .

حمداً لله . . أن لم يسلبني بعد قدرتي على الكتابة .

وسلوطني في الأحزان ، وعزائي في الملمات .

حمداً لله الذي وهب لي الداء ، وأبقر علي الدواء .

ولكن .. أترين كتابتي عنك حقاً .. دواء .. أم هي  
أهيج للعلة ، وأيقظ للداء ؟

أترينها حقاً ستسكن طنين العاصفة في أذني ، أم ستزيده  
حدة ؟ سواء عليّ أسكتته أم هيجته .. إني كاتب ، كاتب ،  
فما تبقى لي بعد ما حدث .. سوى الكتابة .. ولن يستطيع  
إنسان كائناً من كان أن يمنعني منها .

ويعلم الله كيف ستقرئين القصة .. أستقرئينها منشورة  
كقصّة أم مرسلّة إليك كرسالة ، أم تراك لن تقرئها أبداً ؟  
وكيف ستقع من نفسك ؟ أتراك ستعتبرينها رائعة ..  
كما قلت عن كتابتي فيما مضى .. أم ترين الروعة قد ذهبت مع  
ذاهب الحب ؟

على كل حال أنا لا أمل كثيراً في أن أستعيد موضعي  
منك .. فكل شيء في حياتنا هذه إلى نهاية ، وإلى زوال .  
أتذكرين ما قلته لك عن الزمن ، وأنه ما خذلتنا  
وأضحكتنا على أنفسنا مثله ؟

إني أتذكر ما قلت بالحرف الواحد :  
« إننا نجلس الآن في نشوة ، هائمين كالفراشة ، ذائبين  
من الوجد والصبابة .. يجد كل منا في عيني صاحبه أقصى  
أمنيته ، ويصعب علينا أن نصدق ، كيف عاش أحدنا ما مضى  
من حياته بلا صاحبه .. وكيف يمكن أن يعيش بدونه .. ثم

نقسم مخلصين أن الزمن لن يستطيع أن يهت صورة أحدنا  
من ذهن صاحبه ، ونقسم ونقسم . ونكتب ونكتب .  
وبعد عشرة أشهر - ولا أقول عشر سنين - رغم ضآلة  
هذه وتلك في عمر الزمن . . . بعد عشرة أشهر فنظر إلى  
ما كتبنا ، ونستعيد ما قلنا ، فإذا بنا قد صرنا سخرية أنفسنا .  
وثرث على يوم كتبت لك هذا ، واهممتني بأني أخشى  
الزمن لأني لا أثق بنفسى .. أما أنت فلا تخشيه لأنك واثقة  
من حبك ، مؤمنة بأنه أبقى على الزمن الباقي من الزمن .  
والآن .. ما رأيك ؟

ألا تجدين أنى كنت كثير التفاؤل حينما قلت « بعد عشرة  
شهور » ؟ .

الآن ، ولما تمض على جنبنا خمسة شهور ، قد أعلنت أنك  
انتهيت منه ، ولم يعد لى أى تأثير فى نفسك .. لا حزن ..  
ولا هناء ، ولا ضيق ولا فرح .

يا للسخرية ! أهكذا سريعاً .. انتهى كل شيء ؟ !  
أينتهى بمثل هذه السهولة والسرعة ، ولما تمض بضعة أيام  
على خطابك الذى قلت فيه :

« إن ما أحس به لك إحساس آخر .. إحساس عميق  
بعيد .. ملؤه الحرارة والإخلاص .. إحساس لن تخبو له  
على السنين بارقة ، وإن يطفأ له على الزمن أوار » .

أينتهى كل شيء ولما يحف بعد مذاذ خطابك الأخير ،  
الذي ختمته بقولك :

« على أية حال لن أكف عن حبك حتى آخر رمق ..  
حتى ولو كففت أنت عن حبك . إني سأحبك إلى النهاية » .  
ولم أكف أنا عن حبك ، ولكنك كففت عنه ، ومتى ؟  
ليس في آخر رمق - أطال الله عمرك وأدام بقاءك - ولا بعد  
عمر طويل .. ولا بعد عام أو عامين أو شهر أو شهرين ..  
بل في اليوم التالي - الذي كتبت فيه تأكيذك هذا - أعلنت  
أنك لم تعودى تحسین نحوى بما كنت تحسین .  
ولم ؟ لأول خصام يحدث بيننا .

ماذا كنت متخيلة أيتها الصغيرة الحمقاء ! أكنت تتخيلين  
وأنت تجزمين بقولك هذا أنه لن يحدث بيننا خصام ؟  
وما قيمة حبك أو ميزته أو قوته .. إذا كنت تضمنين  
دوامه بشرط ألا يحدث فى طريقه خصام ؟  
إن أى حب عادى سطحى يمكن أن يدوم بسهولة ..  
مادام لا تعترضه عقبات الصد والخصام .

ولكن الحب القوى العميق ، هو الذى يتميز بثباته أمام  
تلك الهزات وبتخطيه لكل ما يصادفه من عقبات وعثرات .  
هذا هو الحب حقاً .. أما ما عداه فهو نزوات طيش .  
أفلم يكن ما بك أكثر من نزوة طيش ؟

يا خيبة الأمل ، ويا الضيعة الرجاء !  
ولكن .. علام اللوم ، والعتاب ، والحساب .. وأنت  
بشر ، وأنثى ، وتلك هي طبيعة البشر وديدن الآتى .  
والآن يا أختاه .. بما تبقى لك من أثر حلول في نفسى  
وذكريات جميلة محببة .. دعينا نتجول في ربوع الماضى ..  
دعينا نرجع القهقري كتفاً إلى كتف ، وخذاً إلى خد ..  
كما كنا نفعل فيما مضى .

واعجباً ! . أهكذا سريعاً .. أصبح حاضرنا ماضياً ..  
وحبنا ذكريات ؟

لنبداً من البداية .  
متى أبصرتك أول مرة ؟ .. متى وقعت عليك عيناى  
فالتصقت بهما صورتك ، وأبت أن تغادرهما .. حتى يومنا  
هذا .. بل حتى لحظتنا هذه .. حتى بعد تحوُّك وإعلانك  
القطيعة ؟

رأيتك في حفلة راقصة في أحد المنتديات .. تدورين  
وتلفين وتظهرين وتختفين بين الجمع الراقص ، وكنت أجلس  
لأتسلى بمراقبة بضعة وجوه حسان ، أدخلتك في زمرتها .  
وهكذا حدث أول تمييز لك ، وإدخالك من حيز  
العالم المجهول الواسع إلى حيز المعلوم المعروف المحدود ..  
ورضعك في معرض الجمال الذى يحلولى مراقبته واستعراضه

وأصبحت بذلك معلوماً شكلاً .. ولكنك ما زلت مجهولة  
إسماً، وشخصاً، ولم يكن ذلك ليهمني كثيراً، بل كان يحتمل  
أن أظل هكذا لا أعلم عنك شيئاً .. سوى وجهك الجذاب  
الصغير وتقاطيعك الدقيقة الحلوة، ولكن حدث بعد لحظة  
من تمييزي لك أن نادتك ابنة صديق لنا كانت تجلس معنا  
على منضدتنا باسم عجيب بعض الشيء ..

وضحكنا على الاسم وسألناها:

— أهذا هو اسمها؟

— هذا اسم تعودنا أن نناديها به أنا وبقية الصديقات ..

ولم تسمعها من أول مرة، واشتركنا معها في مناداتك

على سبيل الضحك! .. ولكن ضجة الموسيقى باعدت بين

أصواتنا وأذنيك .. فينسنا من مناداتك ..

وأنبأتني صاحبتي ببعض المعلومات عنك على سبيل

التعريف، وقالت لي ضاحكة:

— إنها فتاة عجيبة .. إنها قد تبدو صغيرة في ظاهرها،

ولكنك إذا ما جالستها وتحدثت معها .. وجدت فيها سحر

امرأة .. إنها تعجبك كثيراً .. إنك نستطيع أن تجعل منها

بطلة قصة ..

وسررتي قولها، فقد صدق على نظرتي المعجبة بك ..

وزاد من لفت نظري إليك .. ولكنني لم أكن أتخيل ..

أننى حقاً .. سأجعل منك بطلّة قصة .  
ورقصت كثيراً فى ذلك اليوم .. وكان معظم رقصك  
مع فتى معين .. وقيل على بهجلى الضحك أنك لا بد عاشقان .  
ولم يضايقنى ذلك كثيراً ، فقد كنت أنظر إليك كمجرد  
شئ مستملح .

ومن ذلك اليوم تعودت مراقبتك ومتابعتك بنظرانى ،  
وكنت فى الواقع أزداد بك إعجاباً يوماً بعد يوم .. حتى  
أصبحت أنت هدى الوحيد فى المراقبة .. وطردت من حين  
مراقبتى سواك من الحسان .

كنت أحرق فى شعرك الأسود اللامع المتهدلة خصلة  
منه على جبينك ، وكنت أمتع البصر بأنفك الدقيق المستوى  
وبعينيك الحلوتين .. الطويلتى الهدب .. وكنت ترتدين ثوباً  
بجماليات .. يكشف عن كتفيك .. وعن ذراعيك .

وبدأ الرفاق حولى .. يعرفون مراقبتى لك ويسخرون  
من إعجابى بك .. قائلين إنك ما زلت صغيرة .. وليس بك  
ما يستدعى كل هذا الإلحاح منى فى تتبعك والإعجاب بك .  
وبدأت المناقشات بيننا عند ما كنا نقارن بين الحسان  
وكنت أصر على أنك أجمل مخلوقة فى حلبة الرقص ..  
وفى الجالسات .

ولم تكونى أنت حينذاك تعرفين فى أكثر عن محرق

فيك بلا حقد بنظراته .. لا أكثر ولا أقل .  
وبدأت أنقل لصاحبتك إعجابي بك ، وأسأله عنك  
إذا ما لقيتها ، ولكن الظروف لم تسمح بأن ألقاك وجهاً  
لوجه أو أتعرف بك .. حتى حدث ذات مرة أن وجدتك  
وحيدة ، وقد جلست تتشاغلين بتقليب صفحات كتاب  
في يدك .

وأنا مخلوق لم أتعود الحديث إلى فتيات لا أعرفهن ..  
بل ما جرؤت مرة واحدة - حتى في صباي - على أن أقدم  
على مغازلة فتاة أو امرأة لا أعرفها ، ولكنني مع ذلك  
لم أخجل من التقدم إليك والجلوس بجوارك .. ثم تحيتك  
وسؤالك عما تقرئين .

ولست أشك في أنك قد دهشت .. إذ لم أكن صيداً  
قافهاً مغامراً حتى أقدم على مثل هذا العمل الصياني ،  
ولكنك لم تملكى سوى الرد عليّ ، وأجبتني في اقتضاب  
وبرود أن ما معك قصة فرنسية .

وتركتني يومذاك ، وكنت قريراً لأنني تحدثت معك ..  
هقد كان ما أحسه لك مجرد إعجاب ورغبة في معرفتك  
والتحدث إليك والجلوس معك .

وبدأت أنت تحسني بي ، وتميزيني ، ولكنك كنت تبدين  
فائرة من الجلوس معي .. حتى حدث بيننا أول تعارف .

كنت أجلس مع صاحب لي عندما رأته ينهض ، ثم يغيب  
لحظة ويعود لينبئني أنك تجلسين على مقربة مناسع صاحبك  
وانها فرصة سانحة للجلوس معك والتعرف بك .

ولم أتوان لحظة بل نهضت متجهاً إلى منضدتكما وسلمت  
على صاحبك ثم عليك ، وجلست وصاحبي معكما .

وتحدثنا سوياً ، ووجدتك تقبلين على الحديث معي  
في رقة ولطف ، ولم يكن بك أثر للنفور الذي تعودت أن  
أجده بك دائماً .

وكنت واثقاً أنك لم تقرئي لي ، وأنتك لن تقرئي لي ..  
لأنني أعرف أنك لا تجيدين العربية ، لا سيما ، وأني رأيت  
في يدك من قبل رواية فرنسية ، وصدق ظني .. بل وأسوأ  
من ذلك وجدتك تسخرين بكتّاب القصر الذين يكتبون  
في المجلات ، وأنا واحد منهم ، وترميمهم بالتفاهة والسطحية  
وحاولت بالطبع أن أدافع عن نفسي ، وقلت لك إنني  
أرجو منك أن تقرئي أحد كتبي .. لو كانت لك القدرة  
على القراءة بالعربية .

ورحبت - مجاملة - بالقراءة لي ، ولم أدع أنا الفرصة  
تفلت .. وسرعان ما أعطيتك أحد الكتب .  
وافترقنا ليلتذاك .. وأنا مليء بالسعادة والمرح .  
لقد أحسست أني حصلت على شيء كثير .. بالجلوس

معك ، وإعطائك كتابي ، وكنت في الواقع تستحقين أن  
أسعد بك .. فقد وجدتك مخلوقة متميزة عقلاً و شخصية  
وإن حديثك حلو كوجهك .. وأكثر من هذا وجدتك  
من نوع عجيب .. نوع لا يبدو جماله خاطفاً برّاقاً ، ولكن  
يزداد إحساس الإنسان بجماله كلما ازداد تمعناً فيه واغترافاً  
منه .. نوع عميق لذيد .. ليس سطحياً ولا سطحياً .

ولم ألقك في اليوم التالي ، وإن كنت تواقفاً إلى ذلك ..  
ولكنني لقيت صاحبتك فأنبأتني أنك قرأت كتابي ، وأنت  
أبلغتها أنك أعجبت به جداً .

وأنا - ككل كاتب - لا يمتعني شيء كإطراء كتابتي  
والمديح في كتبتي من أي مخلوق كان . فما بالك إذا كان المديح  
منك أنت .. المخلوقة الساحرة التي لم أحاول قط التطلع إلى  
جعلها قارئتي لي ، بل معجبة مادحة !

وبدأت أرسل لك الكتاب تلو الكتاب وأتلقى منك  
آيات المديح وجميل الثناء .. دون أن تسنح الفرصة لنا بلقاء  
مدة أسبوعين .

ومع ذلك ، ورغم أننا لم نلتق ، فقد كنت أشعر أن  
وثاقاً من القربى ورباطاً من المودة يشد كل منا بصاحبه  
بشدة وإحكام ، وأن اللقاء الذهبي بيننا - أنا بكتبي ، وأنت  
بآرائك فيها وتعليقك عليها - قد زاد من تعريف كل منا

بالآخر خيراً من ألف لقاء .  
وهكذا بت أشعر من جانبي قبل أن ألقاك أنني قطعت  
في سبيل صداقتك شوطاً كبيراً وأنا عند ما نلتقي لن يكون  
بيننا أثر لكلفة .

وجلست أنتظر في أول لقاء بعد تعارفنا الروحي  
ولقائنا الذهني ، وطال بي الانتظار ، وبني قلق شديد خشية  
ألا تحضري . . فقد أضحي لقاءك متعذراً إلا في أوقات  
متباعدة . وخشيت أن تضيع فرصة السانحة ، والتي لم تكن  
تسبح إلا قليلاً .

وفجأة . . وأنا مغرق في قلبي . . متطلع ببصري ،  
لمحك تمرين بمدخل القاعة التي جلست أنتظر فيها . .  
فتفتحت من موضعي ولحقت بك حيث وجدتك تتجهين إلى  
الشفرة ، وسلمت عليك ، وعاتبتك على التأخير . . ولكنك  
أنبأتني أنك حضرت في الموعد فلم تجديني وأنت العاتبة  
على تأخيري .

وجلسنا سوياً .

وجرى الحديث بيننا حلواً ممتعاً ، وقلت لك إنني كنت  
أمر كثيراً بما واک فأحس بحنين إليك شديد . وقلت لك  
مازحاً إنني ما مررت عليك إلا وهتفت بقول قيس :

وما حب الديار شغلن قلبي  
ولكن حب من سكن الديارا  
وقلت لي أنت إن كتابتي رائعة .. وإنك ما قرأت  
لاحد خيراً مما قرأت لي .  
ولقد سبق أن كال لي الناس المديح ، ولكني ما اعتزرت  
بمديح إنسان كما اعتزرت بمديحك ، وما سررتني من الإطراء  
كقولك إن كتابتي رائعة .  
وتكرر بعد ذلك لقاءنا ، وفي كل لقاء كان حديثنا  
لا يتعدى كتبي وإعجابك بها ، حتى قلت لي ذات مرة :  
— أرجوك .. لا تكف عن الكتابة . إني لا أستطيع  
أن أفكر كيف أعيش بغير القراءة لك .  
ولقد كان حرياً بي أن تبلغ سعادتي منهاها .. فما أظن  
أني كنت آمل قط في أن تقولي لي أنت مثل هذا القول ..  
وفي أن تعتبري كتبي من ضروريات حياتك .  
ولكني .. للعجب العجاب ، لم أطرب .. ولم أفرح !  
لقد بدأ في تلك اللحظة نضال عجيب في نفسي .. بين  
الرجل والكاتب !  
كنت أكره أن أكون لديك مجرد كاتب .  
أنا أعرف أن ذلك كان محض خطأ .. وأنه كان يجب  
أن أخفي الرجل في نفسي .. أعني الرجل العاشق المحب ..

وأنه كان يجدر بي أن أسمو وأرتفع . . وأن أظل أمامك  
العبقري النابغة

ولكني لم أفعل . بل بدأت أنخط في إحساسي لكتبي .  
كنت أحبها وأكرهها . . أحبها لأنك تحبها . . وأكرهها  
لأنك تحبها وحدها .

وإني لأذكر أني أهديت لك أحد كتبي وقد كتبت عليه:  
« أغار من كتابي أن أهديه إليك .

أغار منه أن تعجبني بي لأني كتبتة ، ولا تعجبني به لأني  
كتبتة !

أغار منه أن يقضى العمر بين يديك . . يدفيء أوراقه  
حر أنفاسك ، ويمتع كلماته سحر عينيك !  
أغار منه وأهديه إليك .

وعزائي في إهدائي أنه بعض نفسي . ولو استطعت  
لأهديت إليك كل نفسي . .

ولكني لم أكن أستطيع أن أهدي إليك كل نفسي . .  
لأنني كنت مقيداً . . وكنت زوجاً .

علام إذاً كان كل ما كان . . ولم لم أقنع بالترفع  
والسمو ، وبأن أبقى لديك مجرد كاتب عبقري . . وأن  
أكتفي بأن أهدي إليك - كما قلت في كتابي - بعض  
نفسي . . أما كان ذلك مرضياً غروري ومشاعري ؟

كلا! ...  
كلا... وألف كلا..

ولو استطعت لهانت المسألة.. وانتهى الأمر.. وظللت  
أمنحك وأخذ منك ما أمنح آلاف القراء وأخذ منهم..  
ولما كان بيني وبينك.. بعد كل هذا.. قصة..  
إن الرجل في نفسى تغلب على كل ما عداه!  
ولم لا.. وأنا رجل.. قبل أن أكون كاتباً؟  
وهكذا بت أكره كتبى.. ولا أعبأ كثيراً بحديثك  
غنيا، ورأيتك فيها.

بل بت أكره — كما قلت في إهدائي — أن تعجبي بي  
لأنى كتبته.. وأتمنى أن تعجبي بها لأنى كتبته..  
كنت أود أن تحبها من أجلي، لا أن تحبيني من أجلها!  
كنت أود أن أكون أنا أولاً..

أنا أعلم أنه ما كان يجب أن أفعل ذلك.. وما كان يجب  
أن أنحدر وأجذبك إلى أسفل مع الرجل، بدلا من أن  
أصعد وأجذبك إلى أعلى مع الكاتب.

ولكنى لم أكن حر التصرف.. ولا حر التفكير.

لسبب بسيط.. هو أننى أضحيت عاشقاً.

وعاشق فى عرفى يعنى.. مجنوناً.

وهكذا بدأت أتصرف كمجنون.. فأندفع أنا الكاتب

الكبير العقري النابغة .. الخ .. في هواك .. أنت الصبية  
الصغيرة التي قد يتردد المرء كثيرا قبل أن يضعك في مصاف  
النساء !

لقد بدأت أجذبك معي في طريق بلا هدف .. طريق  
لا أعرف قط .. ولا أحب أن أعرف .. إلى أين ينتهي .  
وذهبت معك لأول مرة إلى السينما .  
وجلسنا متجاورين .

ولا أظنني في حاجة لأن أذكرك بأننا لم نشاهد من الفيلم  
صورة واحدة .. أنت محذقة بنظرك الشارد في الظلمة  
بلا وعي ولا فهم ولا إدراك .. وأنا محذق في جانب وجهك  
العجيب .. العجيب جداً .. الذي بدا رائعاً في الضوء  
الباهت .. بأنفه الدقيق وطرفه الأشم البارز .. وشفتيك  
الرققتين .. والخصلة إياها متهدلة على جبينك .

وكنت تتلفتين إليّ بين آونة وأخرى وقد افترتغرك  
عن ابتسامة حلوة .. ولم يكن لي أمنية وقتذاك قدر أن  
ألمس يدك .. مجرد لمس .. ولكنني لم أكن أجروء .. فما  
كان هناك ما يبرر مسها . فقد كنا ما نزال مجرد كاتب مجيد  
وقارئة معجبة .. فبأي داع أو سبب أمسك يدك ؟

ولم أجد سبيلا إلى ذلك سوى الهبوط إلى الطرق  
الصينانية ، فأقول لك إنني أود أن أقرأ كفك في الظلمة !

ثم أقرن القول بالفعل ، وأمد يدي فأمسك بها راحتك ..  
فتخبط في كفي وتحاول التملص ، كعصفور قد وقع في فخ  
وتقاوم برهة .. ثم تستسلم في النهاية .. وتسترخي أصابعك  
في يدي في رفق ولين .

وأسمع همساتك في الظلام تهتف بي راجية مستعطفة :

— ما كان يجب علينا أن نفعل ذلك !

وكم أشعر الآن أنك كنت على حق ، وأنه ما كان علينا  
أن نفعل ذلك . ولكنني كنت منساقاً بقوة القلب المجنون .  
مندفعاً بشدة الحس المرهف .. فلم أسمع نصحك بأنه ما كان  
علينا أن نفعل ذلك .. ففعلت ذلك ، وأكثر من ذلك .  
أجل .. لقد أمسكت بيدك في شوق ووجد ، وسمعتك  
تهتفين بي مرة أخرى :

— أنا لست بطلة من أبطال قصصك ، فدع يدي .

ولم أدع يدك .. حقاً لم تكوني من أبطال قصصي ،  
ولكنك كنت أكثر من ذلك .. كنت بطلة من أبطال  
واقعي .. المضطرم المستعر .

وحاولت أن أقبل يدك ، ولكنك سحبتها مني برفق ،  
وقلت :

— كفي هذا !

ولم أتضايق .. فقد كنت قريراً بما أخذت .. قريراً

بمجرد لمس يدك .. شاعراً بأنني حقاً يكفيني هذا

يا للعجب ! .. أنا أقنع بهذا !؟

من يصدق !؟ .

أنا أقنع بلسة يد في ظلمة السينما كصيدة العشاق  
ومخايلهم ! أنا الذي لم يكن يقنعني في كثير من الأحيان امرأة  
مستسلمة بجسدها ومفاتها وكل ما تملك من إغراء المرأة ؟  
ولكن .. علام العجب .. وقد كان هو الحادث فعلاً !  
كنت أحب .. وعند ما يجب الإنسان .. لا تنكري  
منه فعلاً أياً كان .. لقد قيل : ليس على الأعمى والمجنون  
حرج .. ولو أنصفوا لقالوا : ليس على الأعمى والمجنون  
والعاشق حرج .

وغادرنا السينما .. دون أن يحدث بيننا أكثر من مسة  
يد .. في الظاهر .. أما في الباطن .. فلا أشك أننا قطعنا  
في طريق العشق مرحلة كبيرة .

أجل ! .. لقد غادرنا أما كنا وبنفسينا إحساس  
العاشقين .. رغم أنه لم تجر على لساننا كلمة حب أو غرام .  
لم نحاول قط أن تفصح عما بداخلنا .. حتى التقينا في  
الشرقة ذلك اللقاء العجيب .

كنت أجلس مع صاحبك والله من الأصدقاء ذات ليلة  
عندما أتيت إليّ وأنبأتني أنك ترغين في أن تسري إليّ حديثاً .

ونهدت معك وذهبتنا إلى الشرفة .. لا يقطع علينا  
خلوتنا سوى همس النسيم واهتزاز الأوراق .  
وبدت على وجهك ليلتذاك سيماء الحزن والإرهاق ..  
وأنت تهمسين بي راجية :  
— إني لن أستطيع لقاءك أو الجلوس معك بعد الآن .  
يجب أن نقطع كل ما بيننا .  
ولم أشعر من قولك على قسوته بأى ألم ، بل أحسيت  
بمنتهى المتعة ، فلقد كانت لهجة صوتك وتعاير وجهك ، نجيبة  
رائعة ، تكاد من الرقة والإرهاق والحنان تصبح شيئاً ذائباً .  
لقد كان في كلماتك منتهى القسوة .. وفي صوتك منتهى  
الرقة ..

وقلت لك متسائلاً :

— ولم لا نلتقي ؟ .

— وما الفائدة ؟ .. ما الفائدة في لقائنا ؟ . ماذا يمكن  
أن يرجوه أحدنا من الآخر ؟ .. ماذا يمكن أن نأمل من  
ذلك الطريق الذي نسير فيه ؟ .. ما الأمل ؟ وما الرجاء ؟  
— لا أمل .. ولا رجاء .. هذا الطريق .. يندفع فيه  
الممرء دائماً بلا تفكير في أمل ولا انتظار لرجاء .. نحن  
نسير فيه كحصاة تلتقي من أعلى تل لا تملك أن تستقر حتى  
تبلغ القاع .. أو حتى توقفها عقبة .. أما أن تتوقف هي

من تلقاء نفسها فذلك هو الشيء المستحيل .  
— ولكنني أستطيع التوقف الآن . أنا ما زلت في ميعه  
الصبا ، ومستهل الحياة . . أنا ما زلت في السادسة عشرة . .  
والمستقبل أمامي متفتح ، فمن الجنون أن أندفع لأقيد نفسي  
مع إنسان مقيد فعلا . . إني الآن أملك أمر نفسي . .  
ولم يصبنى بعد ذلك الشيء الذي يفقدنا السيطرة على نفوسنا  
والذي يجعلنا نندفع كالحصاة الملقاة من أعلى التل بلا تفكير  
لا إرادة .

وكان في صوتك رنة أم . . وكان حديثك ملؤه الحكمة  
والعقل . . حديث امرأة محنكة مجربة . . لافتاة في السادسة  
عشرة ! .

ووجدتك على حق في كل ما تقولين ، وأحسست بمبلغ  
أنانيتي . . ومدى اندفاعي وراء متعة قلبي دون تفكير في  
مصيرك ومصالحتك .

وأطرقت في حزن وياس ، وقلت لك مخلصاً :

— إني على استعداد لكل ما تطلبين . . إن الشيء الذي  
تخشين أن يصيبك فيفقدك سيطرتك على نفسك . قد أصابني  
فعلا . . وأفقدني سيطرتي على نفسي . . ولكنني مع ذلك  
أستطيع أن أكبته من أجلك وأن أحتمل آلامه في سبيلك  
إذا أردت ألا ترى لي وجهاً منذ هذه اللحظة ، فإني فاعل .

وأجبت فزعة :

— لا .. لا .. ليس هذا ما أريد .. إن هذا أسوأ

علاج لحالتنا .. إنه سيحدث في نفسي رد فعل شديد ..

إني أحب أن أراك .. وأحب أن أجلس معك وأسمع

حديثك ، فإذا ما حرمت من ذلك مرة واحدة .. زاد

الحرمان من رغتي فيك ، وكنت كملتى الوقود على اللهب .

— ماذا تريدون إذا ؟

— أن نقلل اللقاء شيئاً فشيئاً .. وأن نوهن العلاقة

قليلاً .. قليلاً .. يجب أن نستعمل الحكمة في إزالة ما بيننا

وكان قولك حكيماً .. آية في الحكمة .. إذا وزناه

كقول .. ولكننا إذا وزناه كواقع .. وإذا بحثنا عن

جذوره في صدورنا . ونقبنا عن أصوله ودوافعه في قلوبنا ،

لضحكنا من أنفسنا وسخرنا أشد السخرية !

هل تعلمين أن الحديث بكل ما فيه ، والجلسة بكل

ما حولها ، كانت من ألد المتعاط التي لقيتها ؟

ولا أظنك تكبرين ذلك بالنسبة لنفسك .

إن هذا الحديث الذي دار بيننا لكي تقطع علاقتنا

ونضع حداً لكل ما بيننا .. لم يكن هذا هو غرضه قط .

أو كان هذا هو غرضه الظاهر .

أما غرضه الحقيقي !

أما له وجوهه ! . . فكان اعترافاً بحب ! .  
كانت الجلسة في ظاهرها مناقشة لتسوية الأمور . .  
ملؤها الحكمة والتدبير والأقوال المترنة .  
أما في باطنها . . فكانت مناجاة . . من أجمل وأمتع  
ماوعت أذني وقلبي من المناجاة .

لقد كانت مثلاً عجيباً على أن العشاق يستطيعون أن  
يطوروا مشاعرهم الحلوة في كل مظهرٍ ويكسوها بكل كساء .  
إن العشاق أقدر الناس على أن يتناجوا بشتى الأحاديث  
ومختلف الألفاظ .

إن العشاق يستطيعون أن يتناجوا حتى بالسباب .  
وافترقنا . . على أن نوهن علاقاتنا ، وقلوبنا تصدح  
وتخفق وترقص ، وتهتف بأن العلاقات قد ازدادت ارتباطاً  
واشتدت وثوقاً .

ولم يكن أدل على ذلك من أن اتفاقنا على أن نقلل من  
اللقاء . . أضحي وكأنه اتفاق على اللقاء .

وباتت رغبتك في تجنب ذلك الشيء . . الذي لم تجسرى  
على أن تسميه باسمه وهو الحب ، ذلك الذي يفقدك السيطرة  
على نفسك ، وكأنها رغبة في التشبث به وفي الإغراق فيه .  
نقد بدأ دور اندفاعك في حي . . لا كحصاة ملقاة من  
تل . . بل ( كجلود صخر حطه السيل من على ) .

وملا تني السعادة ، وغمرني النعيم ، وأنا أحس بأن  
الرجل في نفسي قد انتصر على الكاتب انتصاراً باهراً ..  
وأنه صرعه في ميدان حبك شر صرعة ، وأن الذي أضخيت  
تحيينه ، أو على حد قولك - تعبينه - هو أنا .. أنا ، وليس  
أنا .. الكاتب .

أجل !! لقد أحسست أنك بت تحيين كتي لأنى كاتبها  
بعد ما كنت تحييني لأنى كاتبها . وأنا بتنا في ميدان الهوى :  
رجلا ، وامرأة .. بعد أن كنا كاتباً وقارئة .. أو على  
الأصح : عاشقاً وعاشقة ، بعد أن كنا معجباً به ، ومعجبة .  
ما أعجب الإنسان .. الذي يابى السمو ، ويرفض  
إلا أن يبقى إنساناً كما هو !!

كم ظننت قبل أن أعرفك .. أن أقصى متعة لي هي أن  
أجد ككاتب . فلما عرفتك ومجدت في فكري وكتبي  
وآرائى ، وجدتنى أكره الكتب والفكر والآراء ..  
وأتلّف إلى أن تحييني كإنسان عادى ، ومخلوق بدائى ..  
من مخلوقات الغابة .

ما أشد أنانية الإنسان .. أنانى حتى مع نفسه ، وفكره

ودهنه !!



# غيب مذنب

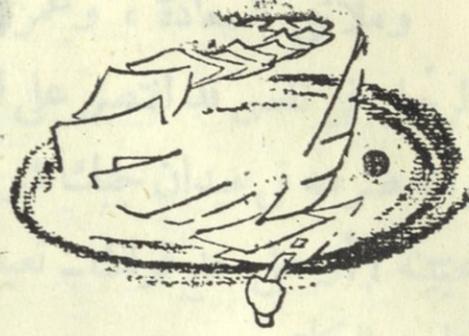


وما عجب وان يكون ذلك في  
ما كنهه الله من اسرار لطيفة  
والله اعلم بما لا تعلمون  
لا يحيطون به من ادب سفا  
سفا كما عرفت وانما السبب في  
كتابك في ذلك القول بل قال  
في غير ذلك في اللغات  
اطمع في شيء لا غيره بل ان  
آولو تدرى اية النقص  
فيها في جزر فوافقت القارح  
في ذلك لا بد من ذلك  
لا بد من ذلك لا بد من ذلك

٧



وهكذا بدأت علاقتنا  
كولهان وولهي .. ومولع  
ومولعة .



ولكن كيف بدأت  
العلاقة تتخذ مظهراً جدياً لها؟ كيف بدأت تبرز وتتجسد؟  
في ذات يوم وصلتني رسالة إعجاب ركيكة لا تختلف  
كثيراً عما يصلني من رسائل القراء والقارئات .  
فأبدو لي أن من الطريف أن أنقلها كما وصلتني بنفس  
الفاظها وحذافيرها

« سيدي العزيز :

أرجو أن تقبل اعتذاري عن أسلوب الضيف وألفاظي  
غير اللاتقة بمكانتك عندي .  
إن رسالتني هذه إحدى ألوف الرسائل التي تتسلها كل  
يوم ، ولا أظنك ستعيرها أية أهمية فإنك ستجدها كغيرها  
مملوءة بعبارات الإعجاب والتقدير لكاتبك الشيقة ، وككل  
قارئه سأؤكد لك أن إعجابي إعجاب يصدر من أعماق قلبي ،  
وألفاظي ليست بتلك الكلمات البراقة التي لا تبغى إلا خداع  
قارئها وإيهامه بأنها صادقة ، مع أنها ليست إلا عبارات زائفة .  
صدقني ياسيدي .. إنني لا أبغى منك شيئاً ، ولكني طالما  
أردت أن أعبر لك عن شعوري نحو كتبك .

لو كنت في مكانك ياسيدي لحسدت كتبك على هذا  
الإعجاب والتقدير، ولتمنيت أن أحظى ببعض منها.. وإني  
متأكد أنه لو أتيت لي معرفتك لأعجبت بك إعجاباً أعمق  
وأصدق من إعجابي بكتبك.. إذ أن الكتب شيء جامد  
لا حياة فيه.

منذ أشهر وأسابيع.. منذ اليوم الذي قرأت فيه أول  
كتاب لك، وأنا أتشوق لرؤية شخصك الجذاب. فهلا تحقق  
لي هذه الأمنية؟.. إني أعلم أن رجائي بعيد المنال، ولكنني  
أطمع في شيء لا قدرة لي أن أعيش بدونه.

آه لو تدرى أيها الشخص العزيز.. كم من ساعات وليال  
قضيتها في تصور قوامك الفارع وابتسامتك الساحرة!

سأنتظرك ياسيدي.. على أحر من الجمر بجوار...  
في تمام الساعة النانية من يوم السبت الموافق.... ولن يمكنني  
الانتظار أكثر من نصف ساعة لأنني سأكون في طريقى إلى  
المنزل من المدرسة، وسأكون مرتدية ثوباً كحلياً.

إن لم تحضر ياسيدي فستخيب آمالي، وسأعيش في عالم  
من نسج خيالي لأتصورك وأعجب بك كما يروق لي.  
وستكون كتبك عزائى الوحيد في الحياة.

المخلصة إلى الأبد (..)

وطويت الخطاب الأحمر المعطر، وابتسمت،  
لقد أيقنت أن الخطاب لا بد أن يكون إما مزحة ما جن  
أو هوس حمقاء.. ولم يشغل بالي كثير أفقد كنت متعوداً  
على قراءة الكثير من أمثال هذه الرسائل.. المرسله من  
الخلصات إلى الأبد.. المعجبات دون أن يبصرني.. بقوامي  
الفارع وابتسامتي الساحرة.. : الذاتى يعتبرن كئيبى عزاءهن  
الوحيد فى هذه الحياة.. واللاتى إن لم يبصرنى فستخيب  
آمالهن وسيعشن فى عالم من نسج الخيال..

وحامت شكوكى حول صاحبك التى كانت السبب فى  
معرفة بك، وظننت أنها أو إحدى صاحباتها من المعجبات  
بكاتبى هى مرسله الخطاب.. وأن الفتيات الشقيات قد ديرن  
مؤامرة للسخرية بى والضحك على..

ولم يخطر لى ببال أن أذهب، حتى لقيت صاحبك  
فأريتها الخطاب، وسألته عن مرسلته، ولكنها أنكرت  
أنها تعرفها.. غير أن إنكارها كان أشبه باعتراف بأنها  
تعرف لا سيما وأنها سألتنى عما إذا كنت سأذهب أم لا.  
وأجبت مؤكداً:

— لن أذهب بالطبع.

— ولم؟

— لأنى لست مجنوناً حتى أعرض نفسى لسخرية

العابثات .. ولأنه ليس لدى وقت لتضييعه في لقاء المعجبات  
على قارعة الطريق .. إن لدى موعداً هاماً .

أجل ! كنت على موعد للقائك ، وهو أهم عمل لدى  
أفضله عما عداه .. كان موعدنا في الثالثة ، وكنت أعلم أنك قد  
تحضرين قبل ذلك ، ولذا كان علي أن أذهب في الثانية  
والنصف أو في الثانية ، لأقضي معك أطول وقت ممكن .

ولكن صاحبتك ألحت علي في الذهاب .. ألحت إلحاحاً  
عجيباً .. ولم تترك لي مجالاً للاختيار أو التردد .. وأضحى علي  
أن أذهب على الأقل لإرضائها .

وهكذا وجدت نفسي منساقاً إلى الذهاب إلى الموعد  
المضحك .. تحت ضغط صاحبتك .. وتحت تأثير رغبتى في  
حب الاستطلاع

وذهبت لأكتشف هذه المخلصة إلى الأبد .. ولأحدثها  
بضع دقائق ثم أعتذر لها وأذهب إلى موعدك .

وإني لأذكر الوقت والظروف جيداً .. كان يوماً  
عاصفاً شديد الريح ، كثير الغبار ، وكانت الريح تصدم وجه  
الإنسان فلا يكاد يفتح عينيه .

ووقفت بعيداً عن مكان اللقاء .. مستطلعاً بصرى إلى  
صاحبة الموعد .. حتى لا أبرز إلى مكان اللقاء قبل أن  
أتأكد منها ومن وجودها .

ولمحت هيكل فتاة تعبر الطريق متجهة إلى المكان وكانت  
ترتدي معطفاً « بيج » و « إيشارب » قد غطى رأسها ومعظم  
وجهها ، وأخذت تقاوم عصف الريح بضم أطراف معطفها  
حول جسدها . . . وقد بدا من أسفل المعطف ثوب كحلي .  
وحتى هذه اللحظة لم أكن قد ميزت الفتاة ، حتى أخذت  
أعبر الطريق وأقترب منها . . . فإذا بها . . . أنت .  
كانت مفاجئة عجيبة . . . ولذيذة

عجيبة لأنى لم أتوقع أن تكونى أنت صاحبة الخطاب  
لعدة أسباب :

أولاً : لم يكن هناك ما يدفعك قط لإرساله ، ونحن على  
موعد للقاء فى نفس اليوم وفى نفس الموعد والمكان تقريباً .  
ثانياً : لم يكن الخطاب يعبر عنك . . . لأنك تعرفينى  
ورأيتنى . . . ولا كان يمكن أن يكون مزحة منك . . . لأنه لم  
يكن هناك ما يبرر أن تمزحى معى بهذه الطريقة .

ثالثاً : كان الخطاب ركيكاً فى الأسلوب تافهاً فى التفكير  
وفى التعبير ، وأنا لم أعرف عنك الركابة أو التفاهة فى أى  
ناحية من نواحي تفكيرك أو تصرفك . . . بل كنت أرى  
تفكيرك دائماً أكبر من سنك ومن مظهرك .

لهذه الأسباب كانت المفاجأة عجيبة .  
أما عن كونها لذيدة فما أظن ذلك يحتاج إلى شرح أو أسباب .

لذيذة لأنى وجدتك أنت . . . لذيدة لأنك لذيدة . . .  
ولأن رؤيتك لذيدة . . . وسماع صوتك لذيد . . . والحديث  
معك لذيد .

وارتسمت على وجهك ضحكتك الحلوة المشرقة وأنت  
تمدين يديك إلى متسائلة :

— أظن أملك قد خاب . . . لأنك لم تجسد إحدى  
المعجبات بك ؟

— خاب ؟ خيبة الله عليه إن كان قد خاب . . . إن أملى  
ما أصاب مثل هذا الفوز الذى أصابه برؤيتك . . . أتسمين  
لقائك خيبة أمل ؟

— لعلك كنت تنتظر معجبة جديدة !

— إنك خير ما أنتظر . . . هيا بنا .

— إلى أين ؟

— إلى مكان هادىء نجلس فيه سوياً

— لا . . . لا . . . إني لا أستطيع السير أو الجلوس معك .

— إن لم تسيرى فسا حملك على كتفى وأسير بك فى

وسط الطريق ، فسيرى بالتى هى أحسن .

وكنت فى قولى جاداً . . . كان شوقى إليك يدفعنى لأن

أتى كل جنون فى سبيل استبقائك معى والجلوس بجوارك .

وجذبتك من يدك وسرنا سوياً حتى استقر بنا المقام

على مقعد في ركن خال في الحديقة المتسعة، وجلسنا والريح  
تعصف بالشجر المحيط بنا، وتثير من الأتربة الهبة تلو الهبة.  
وككل عاشقين كان لدينا الكثير مما نقول .  
وسألتني عن خطابك وعمما جاء فيه قائلة :  
— ما رأيك فيه ؟  
— ريك . . آية في الركافة .  
— لا تقل هذا . . لقد أجهدت فيه نفسي . . كيف  
لم يعجبك ؟  
— لم أكن أدري أنك كاتبته . . وقرأته على أنه مزحة  
أو عبث . . ولكني لو أعدت قراءته . . على أنه منك . .  
فقد أعجب به .  
— كنت أظن أنه سيؤثر فيك . إني عنيت كل كلمة فيه .  
— ولكنني في الواقع لا أشعر أنه منك . . لأنك  
لا تعبرين به عن نفسك . . ولا يمكن أن تعني كل كلمة فيه ،  
لأنك رأيتني وعرفتني . . وكاتبة الخطاب تقول . . إنها  
تتمني رؤيتي .  
— على أية حال . . إن النصف الأول فيه صحيح . . وقد  
قصدت به أن ألقاك على حدة . .  
وجرى بيننا حديث لا أذكر تفاصيله ولكنني أذكر أننا  
عدنا مرة ثانية إلى مناقشة ضرورة عدم لقائنا ووقف ما بيننا .

ولم نستطع بالطبع أن نسمى « ما بيننا » باسمه الصريح بل كنا نكتفي بأن نسميه فقط « بما بيننا » وإن كنت أذكر أنني كنت السابق إلى الإفصاح وأنى قلت لك ونحن جلوس في السينما أول مرة إنك أصبحت عندي بمثابة « راحة ذهنية » .  
ولقد كان ذلك فعلا هو خير وصف لموضعك في نفسي وتأثيرك في ذهني . . فقد كنت ككل إنسان لا أكاد أخلو في حياتي اليومية من مضايقات ، ولا أسلم من بعض آلام نفسية وإرهاق ذهني . . فلما بدأت تدخلين في حياتي أصبح التفكير فيك هو خير وسيلة لوقف تلك الآلام وإزالة أثر المضايقات . . كنت إذا أحسست بضيق وإجهاد في الذهن أفكر فيك ، فإذا بالذهن قد استراح ، وإذا بقلقه قد تبدد ، فكانك أصبحت للذهن مستقرا ومرفا ومتكئا . . عندما يجهد يلجأ إلى التفكير فيك .

هذا هو تفسير ما قلته لك عن « الراحة الذهنية » .

ولقد عدت أقول لك وأنا أجلس بجوارك بين عصف الريح ، وأنت تجادليني في ضرورة فصم عري ما بيننا . . أو ما يوشك أن يحل بيننا . . عدت أقول لك إن ما بي لا يستطيع أحد تأنيبي عليه ولا منعي من مباشرة . . لأنه شيء غير ملموس . . وما دام الغير لا يستطيع لمسه ، فبالتالي لا يستطيع مواخذتي به .

إن ما بي .. في باطني .. وفي ذهني .. لا يستطيع أن  
يراه أو يحس به سواي .. وعلى ذلك فهو ملكي وحدى ..  
لا يمكن أن يمنعه عرف أو تقليد أو قواعد أو نظم .. لأن  
كل هذه الأوضاع لا تستطيع أن تؤاخذنا بغير مظهرنا وهو  
الشيء المحس الملموس .

يستطيع أحد الناس أن يلومني على الجلوس معك ..  
وتستطيع القيود والنظم أن تمنعني من لقاءك .. ولكن أي  
شيء يستطيع أن يمنعني من التفكير فيك .. ومن الشعور  
بمتعة هذا التفكير ؟

أي شيء يستطيع أن يمنع ذلك الذهن المجهد المكدود  
من أن يلجأ إلى استدعائك لكي تهيب له الراحة  
والاستقرار ؟

لا شيء !

لقد قلت لك إنني كإنسان في جسد .. يمكن أن تقيدني  
التقاليد .. ويمكن أن أمتنع عن لقاءك .. ولكني كذهن  
منطلق .. وقلب متحرر .. لن تستطيع أن تقف في مسيلي  
عقبه أياً كانت .

قلت لك إن كل تصرفاتي يمكن إخضاعها للقوانين  
الأرض .. عدا تصرف واحد .. وهو الحب .. فعندما  
أحب ، لن تستطيع قوة أن تتحكم في حبي ، لسبب واحد ،

هو أنه مدفون في باطني ، وفي ذهني ، وهو ملك لي وحدي .  
وانتهيت من حديثي بأن قلت لك :

— إن فرقنا الجسدية مستطاعة ، فأنا أستطيع بسهولة  
أن أتحكم في مظهرى وتصرفاتى أمام الناس . . أما الفرقة  
الذهنية . . أو الروحية . . فأمر مستحيل . . إنى أستطيع  
السيطرة على جسدى فأمنعه من السير إلى هذا الاتجاه  
أو ذاك . وإتيان هذا الأمر أو ذاك . . أما ذهني فمن العبث  
أن أحاول التحكم فيه . . فهو وحده يفكر فيمن يشاء متى  
يشاء ، ويستريح لما يشاء حيثما شاء . . إنى قاهر جسدى ،  
ولكن ذهني قاهرى .

وهكذا ظللنا نتناقش دون أن تنتهى بنا المجادلة إلى شيء  
وكيف تنتهى إلى شيء ، وهى فى الواقع . . لا تقصد شيئاً ؟  
إنها كانت - كما قلت من قبل - وسيلة للمناجاة اللذيذة الممتعة .  
وأخذت الشمس فى الغروب . . ومرة ثانية جلسنا  
متجاورين فى الظلمة . . والدنيا تبدو صفصفاً قد دخلت  
إلا من كلينا .

مرّة ثانية جمعنا الظلمة والسكون والوحدة .  
ولكن فى هذه المرة . . كان ما بيننا ، قد أضحى أكثر  
نضوجاً ، وكانت المشاعر أكثر إرهافاً . . والقلوب أشد  
حرارة .

وجلسنا صامتين برهة .. والآنفساس تتلاحق ،  
والأعين شاردة في الظلمة .. ثم بدأت المطاردة .. بين  
يدي ويديك .. كلما هممت بوضعها بين أصابعي تسلمت هاربة  
كأنها تخشى أن تقع في كمين .. أو كأنها ظلي يتجنب الصائد  
حتى سكنت أخيراً خاضعة مستسلمة .

كانت دافئة .. كالصيد الذي ما تزال دماؤه حارة ،  
وأستقرت في يدي برهة ثم رفعتها إلى شفتي .

كانت المرة الأولى التي أجرؤ على تقبيل يديك .

أجرؤ ؟ !

أهذا تعبير في موضعه ؟

أحقاً يحتاج مثلي لكي يقبل يد فتاة .. إلى جرأة ؟ !

أنا المجرّب المحنك .. أحتاج إلى جرأة .. لتقبيل يد

حلوة بضعة ناعمة !

أجل .. كنت أحتاج إلى جرأة .. لسبب بسيط .. هو

أنى ما كنت بجوارك قط .. محنكاً مجرباً .. بل كنت هيباباً

وجلاً ، كأي عاشق مبتدىء ، لم يعرف شؤون الحب من قبل .

مرهفأ كما كنت مسموع دقات القلب .. متلاحق

الآنفساس وجدأ وصباية .. أمسك يديك الحارة في يدي ،

وكانى أمسك بكنوز العالم .. أو كأنى أطبق على روعي

بيدي . وقد تناسيت كل حنكة وتجربة ، وتبدد منى العقل

وطاش الصواب ، وبت كالغمر الحدث .  
أما كان الأمر يحتاج - وأنا في مثل هذه الحال - إلى  
جراحة ؟

ومسست بشفتي أطراف أصابعك . . وأنت تتمنين  
تمنع الراضى ، وتقاومين مقاومة المستسلم .  
كانت يدك عجيبة ! .

أم ترانى أنا الذى كنت عجيباً ؟ . بذلك القلب الخفاق  
فى صدرى ، والمشاعر المتأججة فى حناياى ؟ .

على أية حال . . وأياً كان العجيب فىنا . . لقد كنت  
لا أشعر بعجبي . . فما أظن هناك إنساناً يحس بنفسه ، بل هو  
يحس بانعكاسات نفسه على الآخرين فىرى فىهم العجب . .  
وهو الأكثر عجباً ، ويرى فىهم الطرب والطرب فى نفسه .  
لم تكن يدك وقتذاك . . مجرد يد . . لأنها لو قيست  
بماديتها . . فما أظنها . . مهما كانت . . بمسئطعة إثارة كل  
تلك اللهفة فى نفسى ، والنشوة فى روحى . . ولكنها كانت  
شيئاً مغنوياً . . كانت جزءاً من المخلوقة العجيبة الكائنة  
بجوارى ، والتي ألمح فى الظلمة جانب وجهها وأسمع حفيف  
أنفاسها ، والتي وددت لو طويتها فى صدرى وأغلقت عليها  
الضلوع ، وأطبقت الحنايا .  
إنى لم أمس بشفتى لحمياً وجلداً وعظماً . . بل مسست

روحاً .. فداها كل روح .  
وكففت أنت عن التمتع ، وتركت لي يدك أحرك عليها  
شفتي كما أزيد ، وأجرىها ببطء على ظاهرها ، وفي باطنها ،  
وأثمها أنملاً أنملاً ، وظفراً ظفراً .

وبعد لحظة وجدت يدك - كما انقلبت من حالة التمتع  
والمقاومة إلى حالة الرضوخ والاستسلام - قد انقلبت مرة  
أخرى من حالة استسلام إلى حالة أكثر إيجابية .. فلم  
تكتف بالبقاء ساكنة في يدي وتحت شفتي .. بل أخذت  
تتحرك في بطء لتتلمس بأصابعها شفتي ، وتتحسس وجهي  
بأقصى مظاهر الرفق والشوق والحنان .. كما تتلمس ضريبة  
وجه ابنها العائد بعد طول غيبة .

وأخيراً استقرت يدك بين يدي فوق ركبتي .. كأنها  
تتلمس الراحة بعد شوط مجهد شاق .

ولم لا؟ .. ألم تكن في شوط الحب !!  
ومضت برهة ، وأنا شارد ببصرى في الظلمة .. شاعر  
بأقصى آيات السعادة .. ثم تلفت نحوك .. مديراً وجهي  
إليك .. فمس أنفي أطراف شعرك .. ولبث أنفي في موضعه  
فلم أحاول أن أنزعه من شعرك .. أو على الأصح لم أستطع  
فلقد شممت من شعرك عبقاً عجيماً .

ومرة أخرى أجد منك العجب !

أما قلت إن العجب كان في نفسي ؟

مرة أخرى أجد بك ما يختلف عن جميع البشر . . فكما  
وجدت في يدك ، وأنا أمسها بشفتي شيئاً آخر غير ما وجدته  
في بقية الأيدي . . كذلك وجدت في شعرك ، وأنا أمسه  
بأنني شيئاً آخر لم أجده في سواه من الشعور .  
وأخذت أستشيق منه شهيقاً بطيئاً طويلاً . . كأنما أود  
أن أعب كل ما به من عبير في نفس واحد . . كأنني الصادي  
الظالم يجرع الكوب مرة واحدة دون أن يغادر شفتيه .  
وازددت اقتراباً بوجهي من شعرك وأخذت أحرك  
أنفي وشفتي خلال ثناياه ، ومست شفتي أذنك وانزلت إلى  
أسفل حتى لامست العنق فاستقرت عليه ، ثم أخذت تتسلل  
بطء على صفحة وجهك متلصقة طريقها خلسة إلى شفتيك .  
وظللت مستسلمة مستكينة طوال تلك الفترة حتى  
اقتربت شفتي من جانب شفتيك فإذا بك قد نفضت عن  
نفسك غبار الاستكانة ، ثم أدرت وجهك إلى الناحية  
الأخرى ونأيت بشفتيك - في فزع - من شفتي .  
وبعد أن تجنبت شفتي التقت أعيننا ، وقد استيقظ كلانا  
من نشوته . . ولححت على وجهك مظاهر ألم وهتفت متوسلة  
في شبه همس :  
- أرجوك . . كفي .

وأحسست من ألم أشد ، فقد كرهت أن أسبب  
لك الماء أياً كان نوعه . وقلت لك :  
- أنا آسف ! .

وهززت رأسك ببطء وعيناك ترمقاني في رغبة مكبوتة  
يطويها الألم ، ثم همست باسمي .  
وأحسست من هتافك باسمي برجفة .

لقد كان هتافك ، أعجب من مسة يدك ، وغير شعرك .  
هتفت باسمي لأول مرة ، هامسة في الظلام ، بلمحة خليط  
من الرجاء والاستدعاء ، واللهفة والتوسل ، والتنى والحب .

هتفت باسمي .. مجرداً .. وكأنك تقولين بأعمق آيات  
الإخلاص .. . . . « أحبك » .

ولم أشعر إلا ، وأنا أهتف باسمك بنفس لهجتك الحارة  
العبيقة ، وأعدت هتافك .. فأعدت هتافي .. وظللنا تبادل  
الهتاف .. كل منا ينادي باسم الآخر .. وهو يرنو إليه  
بنظرة ملتزمة ملتبهة لهني ..

وعلى غير إرادة مني وجدت شفتي تمتدان مقتربتان ببطء  
من شفتيك .. ولم تحاولي أنت تحجيتهما ، بل ظللت موجهة  
إلى وجهك .. وأنت تهتفين باسمي ، وشفتيك غير مطبقتين .

وأخيراً مست شفتي شفتيك .. مساً لا كس القبل ..  
بل مس مشدوهين مدهولين مسحورين .. فمس القبل يكون

بضغط الشفاه مطبقة .. ولكنتنا لم نضغط ، ولم نطبق ، بل  
كان كلانا فاغر الفاه مفتوح الشفتين .. ولم يكن اقتراب  
شفاهنا عن إرادة أو عمد أو رغبة في القَبْل .. بل كان  
نتيجة عن قوة جذب قاهرة لا سيطرة لنا عليها ولا قبل لنا  
بمقاومتها .. فظلنا منقادين إليها .. وهي تدفع شفتي كل منا  
إلى شفتي صاحبه .. حتى تلاقت الشفاه .. لقاء غير منطبق ..  
بل لقاء متداخلا كأنه العناق .

ولم نلبث في اللقاء .. أكثر من لحظة خاطفة ، وجدتك  
تسجين شفتيك وتديرين وجهك إلى الناحية الأخرى ،  
وقد بدا عليك ألم عميق .

وبعد فترة راحة .. عادت شفطنا إلى التماس .. صامتة  
متداخلة .. ثم عدت تتحولين مرة أخرى .. وفي هذه  
المررة .. رأيت الدموع تنساب من مقلتيك .. ثم سمعتك  
تفرقين في بكاء وتقولين :

— دعني .. أرجوك .. إنك تعذبي !  
وأمسكت يدك ووضعتها على شفتي وسألتك ، وأنا  
أحس بألم مرير :

— ماذا يحزنك ؟ و غلام البكاء ؟  
وصمت برهة تمالكت فيها نفسك وجففت دمعك ، ثم  
قلت لي :

— أهناك آلم للإنسان من أن يجد أقصى أمنته بين يديه  
ولا يستطيع مسها! إني أحس بك ملء يدي ، ومع ذلك  
لا أستطيع أن أقربك .. لأنك لست لي ولن تكون لي ..  
إني لا أملك فيك شيئاً .

ولم أستطع إلا أن أجيبك مخلصاً :

— إنك حقاً لا تملكين الشيء الملموس أحس ..  
لا تملكين الجسد ولكنك تملكين القلب والروح ؛ تملكين  
الإحساس الجارف المنقطع نحوك ؛ تملكين الشعور الفياض  
الملتهب المحيط بك والمغرق في عبابه . إنك لا تملكين  
ما يملك باليد ، أو يرى بالعين ، ولكنك تملكين ما يحس  
بالروح . إنك تملكين اللب والجوهر ، تملكين كل شيء ..  
إني لك بحقيقتي .. بباطني .. لك إلى الأبد ، وبلا قيد ، ولا  
شرط .. فلا قيد هناك يمكن أن يوضع على الروح والقلب .  
ورأيت السعادة تغمر وجهك .. وهمست ، وأنت  
تسندين رأسك عليّ وتمسحين بشفتيك كتفي :

— إن ما أملك هو الأفضل والأبقى .. ليته يدوم لي  
إلى الأبد .. إنه أقصى ما أرجو من دنياي .

وبعد فترة صمت قلت وأنت تهمين بالنهوض :

— أظن يجب أن أعود الآن إلى البيت .. كم الساعة

الآن ؟

ورفعت الساعة إلى عيني محاولاً قراءتها في الظلمة وأجبتك:

— الساعة السابعة .

— الساعة ؟ !! لشد ما تأخرت .. يجب أن أعود إلى

البيت بسرعة .

— أستطيع أن أوصلك بعربتي ؟

وبدا عليك التردد برهة ، ثم قلت :

— على أن تدعني أنزل بعيداً عن البيت .. خشية أن

يرافق أحد ؟

— كما تشائين ؟ !

وغادرنا مكاننا متجهين نحو السيارة ، وجلست إلى عجلة

القيادة واتخذت أنت مجلسك ملاصقة لي .. واتجهنا إلى

بيتك في الطريق المقفر المظلم .

ولم يكن بيتك بعيد .. ولقد ساءني ذلك .. كما لاشك

قد ساءك ، فقد سمعتك تهمسين :

— ليتنا نسير بلا توقف ! .

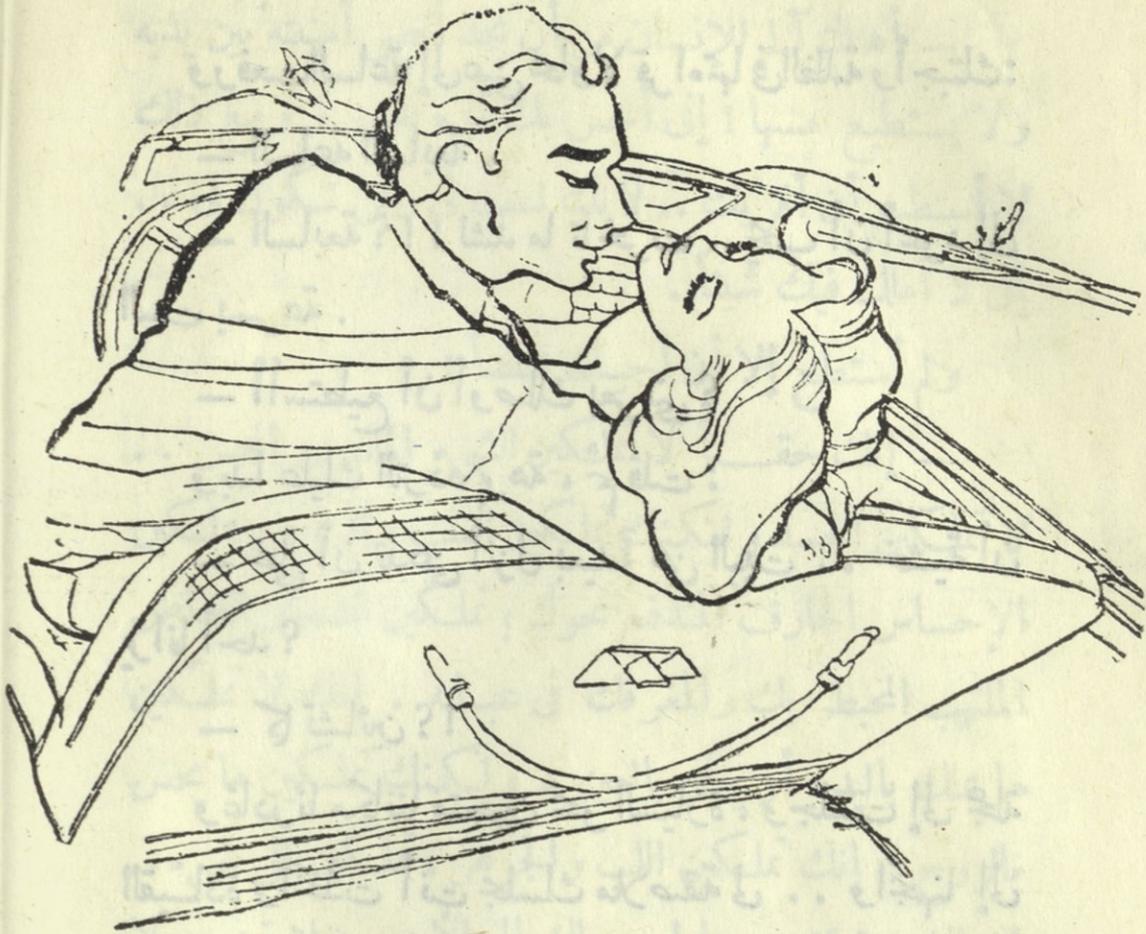
— إلى أين ؟

— إلى أقصى الأرض .. بل إلى ما بعد الأرض .. إلى

السماء .. إلى ما لانهاية .

وأسندت رأسك على كتفي ، واحتويتني بذراعيك ..

وأصابني من عنقك رجفة ، وأنا ممسك بعجلة القيادة ،



حاولت أن أمر شفتيك بشفتي ولكنك قلت لي :  
— أرقب أمامك ، وإلا نصطدم . . دعني أستريح على  
كتفك . . إني سعيدة هكذا . . بل ما أحسست بسعادة  
أكثر من الآن .

وقبل أن نصل إلى بيتك توقفت السيارة ونزلت منها  
وحدثت الخطي إلى باب البيت .  
وعدت إلى البيت وأنا أحس بشوة بخالطها نوع من

الحزن عجيب ، نشوة من حبك . . . وحزن على فعلى الطائش  
الأحمى . . .

• • •

ما هذا الذى أنا مغرق فيه . . . مدفع إليه ؟  
أى مخلوق عجيب أنا ؟ . . . كيف اندفعت إلى حبك . . .  
وتركتك تندفعين إلى حبي ؟ . . .  
أنت نفسك كنت فى حيرة من أمرى ! . . . وشك من  
مشاعرى !

كنت تظنين أنى أتسلى بك ، كما تسليت بغيرك ولم تصب فى  
قط فى مبدأ الأمر أنى أحبك حقاً ، حتى لقد قلت لى ذات مرة  
أن صديقتك قالت لك محذرة وهى ترى اندفاعك نحوى :  
— إنك تلعبين بالنار .

فقلت لها متحدية :  
— إنى أحب اللعب بالنار .  
فعدت تقول ساخرة منك ومن قولك :  
— إنه يتسلى بك .  
فاستمررت فى التحدى بحية :  
— وأنا أتسلى به .

ولقد كان الأمر فعلاً ، يجب ألا يعدو للتسلية . أنا أتسلى  
بك كفتاة حلوة ، وأنت تتسللين بى ككاتب تعجبين بكتابته .

ولكننا لم نقف عند حد التسلية . فمن كان المخطيء منا؟  
لقد كنت أنا في الواقع الأكثر خطأ .. ومع ذلك فقد  
كنت أقل منك إحساساً بالوزر .. بل إنى ما أحسست به  
قط إلا بالنسبة لك ، فقد كنت دائماً أخشى عليك من نتائجها .  
كنت لا أحس بالوزر لأنه لم يكن المرة الأولى أن  
أرتكبه .. بل لقد تعودت مباشرته حتى خرج من نفسي  
عن نطاق الأوزار .. وصار شيئاً طبيعياً .. أباشره كالطعام  
والنوم والسير .

أفي ذلك عجب؟! . طبعاً .. فيه عجب! .. ولكني  
أو حالته .. وفسرت أسبابه .. لما بدا فيه أي عجب! .  
إن كل وزر له عند مرتكبه تحليله ومسياته .. وإلا  
ما أقدم بشر على وزر .

أنا مخلوق — كما قلت لك — ذو قلب غير طبيعي .

ألا تذكرين عند ما قلت لي مؤنبه :

— إن حبيباتك كثيرات . إنك لانكف عن الحب قط؟

فأجبتك :

— إن النحلة تنتقل بين الزهور تمتص رحيقها لكي

تخرجها لنا عسلاً .. وكاتب الحب .. لا بد أن يمتص رحيق

الحب .. لكي يسكبه على الورق مشاعر مرهفة .. كيف

أكتب عن الحب .. إذا لم أحب؟

إن تركيب البشر يختلف فبعض الناس يغلب فيهم مركب  
البغضاء ، والبعض يغلب فيه مركب المرح أو الحزن ، فتجد  
الأول يفيض بالبغضاء ، فهو يستطيع أن يكره عشرات الناس  
دون أن ينفد معين كرهه . والثاني يستطيع أن يضحك ولا  
يكف عن الضحك ، والثالث يفرق في حزن إلى ما لانهاية .  
أما أنا فيدور لي أن مركب الحب قد غلب في نفسي كل  
ما عداه .. فأنا أستطيع أن أحب وأحب ، فلا معين حبي  
ينضب .. ولا أنا أشبع من الحب .  
بل إنني لا أستطيع أن أعيش لحظة بغير حب ، بما فيه من  
متعات وآلام وكسب وخذلان ، وانفعالات مختلفة متناقضة .  
تلك هي طبيعة خلقى .. مخلوق مثالي زاهد في كل مباحج  
الحياة .. عدا الحب .  
أبعد هذا أعتبر حبي لك وزراً ؟ .  
ولكن ألسنت زوجاً ؟ ألا يعتبر حبي لك خيانة لزوجتي ؟  
لو أتينا للواقع لوجدنا أن حبي لك .. أمراً مصلحاً  
مفيداً .. قد يكون في حد ذاته خيانة .. ولكنه خيانة طاهرة  
بريئة ( إن صحت التسمية ) .. قد وفر عليّ بضع خيانات  
غير بريئة ولا طاهرة .  
أهذا أمر أكثر عجباً ؟  
لاشك في ذلك .. ولكن لو فسرتة أيضاً لبطل عجبه !

أولاً .. نبحت قبل كل شيء عن حقيقة علاقتي مع  
زوجتي .. إنها قد باتت مجرد صديقة .. لا أقل ولا أكثر .  
عشر سنوات قد ضمتنا رابطة واحدة .. بدأت بالحب  
ثم انتهت بالزمانة ، والصدقة .

لا تغيير ولا تبديل .  
عشر سنوات يظننا سقف واحد .. وحياة واحدة .  
عشر سنوات .. بلا بنين ولا بنات ، ولا شيء جديد  
يذهب هذا الروتين المنتظم في حياتنا .. ويذهب بذاك الملل  
الجاثم والتكرار المستمر .

ولست أدري أحقاً سبب هذا الملل .. عدم وجود  
البنين ؟ أم تراه مجرد علة أعتذر بها عن حالتي بالذات ؟  
إنى أعرف غيرى ممن أنجبوا بنين وبنات .. ليسوا  
بأكثر منى استقامة ولا أقل خطايا .. بل إنهم يجعلون من  
الذرية مبعثاً لضيقهم وضجرهم .. ومبرراً لزلاتهم .

على أية حال إن العلة في نفوسنا .. ولقد قلت مائة مرة :  
إن الزوجية ليست خير حل لمشكلة الرجل - الطبيعي -  
العاطفية أو الجنسية .. بل إنها ليست حلاً على الإطلاق .

وقد أحاول في بعض الأحيان .. عندما أبحث عن  
مبررات لعدم استقامتي .. أن أرجع بعض الخطأ لزوجتي  
نفسها فأقول إنها قد تكون طيبة لطيفة ودودة .. ولكنها

دائمة المرض والهزال .. خالية من الحياة والحرارة .  
ولكن حتى هذا أجده عذراً واهياً .. فأنا أعرف  
رجالاً .. زوجاتهم صحیحات سلیمات وبهن ما یكفی من  
الحياة والحرارة . ومع ذلك .. یبحثون عن الحياة والحرارة  
خارج بیوتهم ! .

ثم .. أیه زوجة .. بها حرارة وحياة ؟ !  
إن الزوجات الطیبات یفقدن حرارتهم وحياتهن بعد  
شهرین من الزواج .

وكل فتاة مخدوعة فی نفسها .. تقول إنها ستعرف كيف  
تحتفظ بزوجه ، فإذا ما تزوجت لم تكن خیراً من بقية  
الزوجات ، حتى أنت !  
ألا تذكرین ما قلت لی :

— إنی أعرف كيف أحتفظ بزوجی .. ولو تزوجتك  
لعرفت كيف أحتفظ بك .

— لا أظن .. إنی رغم ما أحس لك من حب جارف  
فیاض .. لو تزوجتك قد لا تكونین خیراً من زوجتی ،  
وقد یخبو حبی المستعر بعد بضعة شهور .. وقد أبحث بعد  
ذلك عن أخرى أحبها كما أحبک الآن .

قلت لك هذا بصراحة . وقلت لك إنی أحب زوجتی  
وأحترمها وأقدرها وأودی لها كل ما علی من واجبات عدا

الحب المستعر الملتهب. ولست أظن هذا من واجبات الزواج !  
وهكذا تريننى بذلك القلب المرهف غير الطبيعى ..  
والنفس الفنانة الهائمة الحاملة .. والبيت الفارغ إلا من الملل  
والتكرار. والزوجة الهادئة الطيبة الهزيلة المريضة ، المحاولة  
القيام بواجباتها والتي قمت لها بواجباتى خير قيام .. بهذا  
الوضع وتلك الطبيعة .. أخذت أجد عن جادة الصواب ..  
وأميل مع الهوى .. حتى بت ذات حياتين : حياة مستقيمة  
غير طبيعية .. وحياة غير مستقيمة طبيعية .

وأنت تعلمين أنى لست بعريد .. ولكن قلبي هو  
المستهتر العريد .. وساعدتني ظروفى - ككاتب وكمخولق  
لا بأس بمظهره - أن يهيم للقلب العريد .. وفرقة من  
الزاد والشراب .. فبات متخماً من فرط الأجباء .. فلما  
لقيتك كان لدى منهن - على ما أظن - ثلاثاً أو أربعاً .

فماذا كان تأثيرك .. عليهن ، وعلى القلب العريد ؟

أقول الحق لقد كنت لى خير مصلح ، ومقيم ، ومهذب ..  
حتى لقد عجب صحبى .. كيف حدث لى هذا ، وكيف أصابنى  
الزهد فيما كنت عليه أتلف ؟ وكيف بت أغض البصر  
عما كنت إليه أتوق ؟

وهكذا استبدلت بعدة الخيانات التى كنت أباشرها خيانة  
واحده هى علاقتى بك ، وهى علاقة سامية شريفة بريئة .

وأنا لم أكن أعتبر عدة الخيانات وزراً . فمن باب أولى  
لا أجد في الخيانة الواحدة — البريئة الطاهرة — أي وزراً .  
ولكنها مع ذلك كانت تقلقني قلقاً شديداً ، وكانت  
تسبب لي في كثير من الأحيان حزناً عميقاً .

لقد أحببتك حقاً .. حباً صادقاً عجبياً .. جعلني أترجع  
في مشاعري بين رغبتى في أن تحبيني وفي أن تتجى بنفسك  
من ذلك الحب .

كان طبيعياً أن أتمنى حبك لي .. وأن أتلهف على المزيد  
منه .. ولكني لا أكاد أخلو إلى نفسي .. وأفكر في الأمر  
تفكيراً خالياً من عامل الأناية حتى أجدني أتمنى ألا تندفعي  
في هذا الحب ، وأن يخلصك الله منه

كنت أحبك إلى هذه الدرجة .. إلى درجة أن كنت  
على استعداد — وأنا المغرق في حبك — أن أتخلى عنه حتى  
لا يصيبك منه أذى .

ولكن لم تكن هناك جدوى في محاولة التخلص أو  
التراجع .. ولو كانت هناك جدوى .. لتراجعت أنت .. فقد  
كنت أشد مني شعوراً بالوزر .. رغم أنك — في الواقع —  
أقل مني خطأ .. لقد كنت في السادسة عشرة .. ولكن  
عقلك ومشاعرك تجزم كلها بأنك فوق العشرين أو الثلاثين .  
كنت لا تكادين تجلسين معي حتى أجد ذهنك قد سرد

وبدا عليك الوجوم والحزن .. فأسألك في جزع :  
- ما بك ؟

- لا شيء .

- لا تكذبي .. لقد طافت بك موجة حزن ؟

- أجل .

- لم ؟

- لأنني أفكر أنه كان ينبغي عليّ ألا أجلس معك ..

إني « بنسَم » عندما أفكر في حبي لك ، وعلاقتي بك .

- كفي عن هذا الكلام المرير .

- كيف أكف عنه .. وأنا أشعر أني سارقة .. إني

لم أرتكب من قبل خطأ .. ولم أعود قط ثقل الضمير .

كنت تقولين هذا .. وأنت الأقل وزراً .. الأخف

مسئولية .. فأنت الأصغر سنأ .. والأقل تجربة ، وفوق

كل هذا .. خالية بلا زوج !

فماذا أقول أنا .. الأكبر سنأ .. الأكثر تجربة ..

الزوج !!

وهكذا بت أشعر بالوزر مما لم أعتبره من قبل وزراً ،

وكنت أنت وحدك التي تشعرينني بالوزر .

وعدت إلي بيتي ليلتذاك .. وكنت قد طلبت مني أن

أفكر فيك في الساعة العاشرة كل ليلة .. لأنك ستفكرين

فيّ في تلك اللحظة ، حتى نستطيع أن نلتقي بالذهن إذا تمذّر  
لقاء الجسد ، وضحكت وقلت لك :

— لا حاجة بك إلى التحديد .. لأنني أفكر فيك معظم  
وقتي .. العاشرة ، وما قبل العاشرة ، وبعد العاشرة .

ولكنك أصررت .. ووافعت على رغبتك .

وفي الساعة العاشرة بدأت أفكر فيك .. فوجدتها  
طريقة عجيبة .. للقاء .. لقد كان التفكير فيك يمتعني ،

ولكن التفكير فيك .. في هذه اللحظة بالذات وأنا أعلم أنك  
تفكرين فيّ ، وأنت مستلقية على فراشك ترنين بنظرائك

اللهفي إلى الفراغ ، وتهتفين باسمي باللهجة التي هتفت بها  
أنت بجوارى في الظلمة .. كان يسبب لي نشوة عجيبة .

وهتفت باسمك هامساً ، وأحسست من فرط التفكير  
فيك .. كأننا متجاوران .

وكان الراقدة بجوارى .. أنت ، وليست زوجتي .

زوجتي !!

لشد ما خنتها بذهني ، وتفكيري .

ولكنني مع ذلك أعوضها عن ذهني الشارد .. بجسدي  
الحاضر .. إن لك التفكير .. ولها الأفعال .

إني أؤدى لها كل واجب ملهوس .. لا عن تصنع  
أو ادعاء .. ولا عن إرغام وفرض .. بل برغبة ورضاء ،

لأنني أحبها وأخلص لها .. بعد كل هذا كأخت .. أو  
كأم .. أو كإبنة .. أو كصديقة .. أو كأى شيء .. عدا  
المعشوقة الملهبة المضنية ؟

أترانى كنت مذنباً فى حقها ؟ أم توى هناك ما يبرر ذنبى ،  
وهو أنى فنان ، مجنون ، وهى عليلة .. ذابلة ؟

أجل ! هذا هو العذر الشرعى الذى يبرر جرمى فى  
حبك .. وهو أنى مصاب بجنون الحب الدائم ، والقانون  
كما تعلمين .. أو كما لا تعلمين .. يهيم لى كل جان الدفع بما  
ينقى عن مسلكه معنى الخطأ بالاستناد إلى الأسباب المانعة  
كالجنون والغيوبة والإكراه .

وأنا كنت فى حبك فى الحالات الثلاث المانعة من  
المسئولية .. كنت مجنوناً بك ، ومكرهاً على حبك ،  
وكنت منه فى غيبوبة .

كيف أسأل عن جرمى .. بعد كل هذا ؟  
وهكذا لم يكن أسهل على من التخلص من الإحساس  
بالجرم .

ولست أدرى بعد كل ما قلت .. وبعد ذلك الإسهاب  
فى التحليل والشرح والتبرير ، أما زلت أبدو مخطئاً ؟  
على أية حال حتى لو كنت مخطئاً فإن خطئى لاشك خطأ  
طبيعى تبرره الظروف ، وتسوغه الأحوال والأوضاع .

# الوان من الغيرة



منه ليقا لانا عات  
انصر له لونا كذا في حال  
شاهه يظن اننا اننا لانا  
لال يرفق كذا في حال  
انا لا انا لانا لانا  
كوما وكما وكما  
كوما وكما وكما

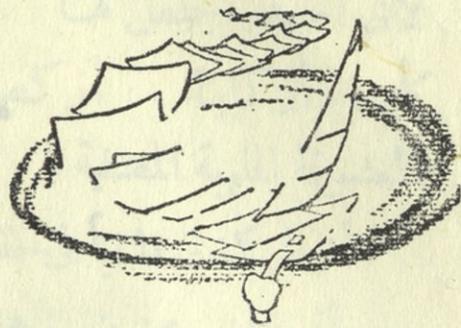
٨



منه ليقا لانا عات  
انصر له لونا كذا في حال  
شاهه يظن اننا اننا لانا  
لال يرفق كذا في حال  
انا لا انا لانا لانا  
كوما وكما وكما  
كوما وكما وكما

متى التقينا بعد ذلك ؟

أذكر أننا التقينا بضغ  
مرات لم نكن فيها على حدة ،  
وأذكر أنك أعطيتني أول



خطاب حب صريح كتبته إليّ ، وجلست ترقبيني وأنا  
أقرؤه ، ولقد كان في الواقع ممتعاً .. لذيذاً .

ثم التقينا ذات مرة وكنت على موعد مع بعض  
صاحباتك فأنبأتني أنك لن تستطيعي البقاء معي .. وذهبت  
للقائمين ، طالبة مني أن أبقى لحظة فقد تعودين إليّ .

وكنت واثقاً أنك لن تعودى فأثرت الانصراف .

وفي اليوم التالي وصلني منك هذا الخطاب العجيب :

كم أود لو أستطيع التعبير عما يجيش في نفسي ، ولكنني  
أحس أن الألفاظ تخذلني .. ماذا أقول لك ، وأنا أشعر  
بدونك كالأضالة السائمة ؟ لقد ذهبت بالأمس للقاء صديقتي  
فلم أجدهن ، فعدت إليك على عجل وبجئت عنك في كل مكان ،  
وذهبت إلى الموضع الذي تعودت أن تضع فيه سيارتك  
ولكنني لم أجدها هناك ، ووجدتني أعود وخذى إلى مكان  
لقائنا بطيئة الخطى مطأطئة الهامة .. وأجلس وحيدة أستعيد  
همساتك الحنون وعينيك المتطلعيتين إلى في لهفة وشوق .

كم أشعر بالأسى والحزن وأنا أجد الفرصة سانحة  
للجلوس معك بلا رقيب يزعج وحدتنا.. وأنت غير  
موجود.. لم ذهبت؟ لم لم تمكث برهة كما طلبت منك؟  
لو بقيت لكننا الآن نجلس متلاصقين وأنا أضع يدي بين  
يديك فأشعر بالسكينة والدفء.

لماذا لا تأتي؟.. إني أناديك بنفس الطريقة التي تحبها،  
ولكن ما فائدة أن يتأدى شخصاً لا يسمعك، رغم أنه يفكر  
فيك؟. ولكن هل تفكر في حقاً؟ هل تذكرني كل ليلة  
في العاشرة؟ هل تمسك بيني وتهتف باسمي وتدعني أنام في  
هدوء لأمتهج بأحلام ملؤها طيفك؟

لقد أحسست من قبل ببعض «الاستلطاف» لبعض  
الأشخاص.. ولكن الشعور الذي أحسه لك شعور آخر  
يختلف تمام الاختلاف.. إنه شعور عميق ملؤه الحرارة  
والإخلاص، شعور لن تحبوه له على السنين بارقة أو بطفلاً  
له على الزمن أوار.

إني سأغادر الآن لأنني لا أستطيع الكتابة.. فإني في  
حالة من الانفعال لا أملك لها دفء.

وماذا أستطيع أن أقول.. والألفاظ - كما قلت لك -  
تتضاءل أمام مشاعري.. هل يستطيع الفزرم أن يحمل جبلاً؟

كذلك لا تستطيع أقزام الألفاظ أن تحمل ضخامة  
مشاعري .. إن ما بداخلي لا يستطاع التعبير عنه . ولكنك  
أنت قد تستطيع التعبير عنه في يوم من الأيام إذا قدر لك  
أن تكتب عني ، فأنت أقدر الناس على فهم الشعور وعلى  
جميل التعبير .

كل ما أرجوه منك هو ألا تنساني سريعاً .. أتوسل  
إليك .. إني لا أستطيع أن أتصور كيف استطعت أن  
أعيش من قبل بدونك ، وكيف أستطيع أن أعيش بعد  
ذلك بعيدة عنك ؟ .. حمداً لله .. أن وهبنا العزاء في الأحلام  
والسلوى في الذكريات . . .

وتلوت خطابك مثنى وثلاث ورباع .. وما زلت أتلوه  
إلى الآن كلما استبدبني الشوق إليك  
حمداً لله .. أن وهبنا العزاء في الأحلام ، والسلوى في  
الذكريات .

كان يجب أن أكون أنا القائل هذا .. لا أنت .  
إنه قد وهبني الأحلام والذكريات .. وهبني فوق  
هذا القدرة على الكتابة .. ومع ذلك .. فلا عزاء ..  
ولا سلوى .

حمداً لله .. الذي لا يحمد على مكروهه سواه .  
وكان لا بد أن أرد على رسالتك ، إذ لم أكن أستطيع

أن أراك قبل مضي مدة .

وترددت برهة في الكتابة .. فقد كانت أول مرة  
أكتب إليك .. وبدالى أنى أمام امتحان .. وخشيت أن  
أرسب في الكتابة وهى صناعتي . والواقع يا أختاه أنى  
فشلت فعلا فى كل كتابتى إليك .

كيف لا وقد كنت كثيرة الوسوس والشكوك .. كنت  
تقبين فى كتابتى عن المواضيع التى تثير ألمك وتهيج شجنتك .  
أما بقية الكتابة الممتعة اللذيذة التى وضعت فيها كل  
مشاعرى .. فقد كنت تعتبرها مجرد صنعة ، وكنت تجزمين  
أنى لا أقصد منها شيئا .

كنت تعتبرين الإساءة مقصودة .. أما الإحسان  
فكيف ترينه احترافا .. وإنى أكتبه .. كما أكتب  
قصى !

وبعد ترددت عليك :

وأشعر وأنا أكتب إليك أنى أجتاز امتحانا عسيرا .  
إنى لم أعود قط الكتابة المباشرة ، الكتابة إلى إنسان  
عزيز أعنيه بالذات . فلقد تعودت أن أطلق مشاعرى  
فى كتابتى بطريقة غير مباشرة .. تعودت أن أطلقها  
لتكون ملكا مشاعرا لكل قارىء .  
لم أعود أن أخص بكلماتى مخلوقا معينا محددأ .. أكتبها

له وحده ، وأسوقها إليه منطوية في صحائفها لا تنتهبها سوى  
عينيه ولا تمسها غير يديه .

لقد قلت في رسالتك إنك تعجزين عن التعبير بالكتابة  
عما يجيش في صدرك من مشاعر وأحاسيس . . فهل أستطيع  
أنا الاعتذار بذلك ؟ وهل يقبل مني مثل هذا العذر إذا أنا  
اعتذرت به ؟

أنا محترف الكتابة والتعبير . . وتاجر الأسطر  
والكلمات ؟

غير معقول !!

غير معقول أن أعتذر بالعجز عن التعبير . . رغم أني  
أشعر فعلا بذلك العجز . . ورغم أني قد شعرت به من قبل  
وأنا أجلس بجوارك . . أتأمل في وجهك ، وأتفرّس في  
عينيك .

إنني أحس بالقلم تائهاً بين الأفكار . . وبالأفكار تموج  
صاحبة في الذهن . . وبالذهن يتملح حائرًا قلقاً في الرأس .  
ماذا أقول لك ؟ .

بل لم أكتب إليك والحديث غير متعذر . . واللقاء  
غير بعيد ؟

لم أضع نفسي في هذا الجرج فأمتحن في كتابتي إلى  
أعز مخلوق كائن في الواقع . . لا في الوهم ولا في الخيال .

أول سبب يدفعني إلى الكتابة إليك .. أنى أود أن  
أستزيد من لحظات قربك .. فأنا بكتابتى إليك أعيش معك  
في لحظات الكتابة ، وأتقل بك بين السطور ..  
أنا أستدعيك بالقلم ، وأجلسك على الورق ، وأناجيك  
وأهتف باسمك ، وأرنو إليك .. وأنت تعرفين كم تمتعني  
مناجاتك والنظر في وجهك .

والسبب الثانى .. هو إحساسى بأنى أكثر عجزاً عن  
التعبير بالقول منى بالكتابة .. وأنى - رغم تهيبى الكتابة -  
لاشك قادر على أن أكتب لك الكثير مما لم أستطع قوله ،  
وأن ذلك الشيء المختزن بين جوانحى .. المضطرب فى صدرى  
الذى لم يجد له مخرجاً بالحديث .. قد يجده بالكتابة .. وأن  
الكلمات الصامتة الحائرة على شفتى لن تحتار كثيراً على  
طرف قلمى .

والسبب الثالث .. أنى وجدت فى خطابك نوعاً من الزاد  
أزود به فى فرقتك وأستعين به على بعدك .. فخيلى إلى أنى  
لو كتبت إليك فقد أمنحك بخطابى زاداً تبليغين به ، كما  
منحتنى زاداً أتبلغ به .

أتجدينى مبالغاً؟ .. أم حسن الظن؟ .. أم تزين تقديرى  
فى موضعه؟

ولكن مالى قد استرسلت فى سرد دوافع الكتابة حتى

ملأت الصفحات وأضعت الوقت وأنا لم أكتب إليك بعد  
تري من أين أبدأ الكتابة؟ .. من أين أمسك بطرف  
الخيوط المشوش المضطرب من أفكار تموج كالدوامة .  
إني أجد طرفه في رسالتك .

رسالتك العزيزة المجنونة الملتهبة الحارة . . التي أكاد  
أحس منها حرارة عينيك ترنوان إلى في شوق ولهفة . .  
وأكاد ألمس فيها دفء راحتك وأشم فيها عبير شعرك .  
إنه قولك : . إن ما أحس به لك إحساس آخر . .  
إحساس عميق . ملؤه الحرارة والإخلاص . . إحساس  
لن تجبو له على الستين بارقة ، أو يطفأ له على الزمن  
أوار . .

إني أحس يا حساسك . . ولكني لا أجرؤ على مثل  
قولك . . لا لأنني لست واثقاً منه . بل لأنني أخشى غوادر  
الزمن وأكره تقلباته .

يا حبيبة الروح ! . ما خذلنا كالزمن ، وما أضحكنا على  
أنفسنا مثله .

إننا نجلس الآن في نشوة . . هائمين كالفراشة . . ذائبين  
من الوجد والصبابة ، يجد كل منا في عيني صاحبه أقصى  
أمنيته ، ويصعب علينا أن نصدق ، كيف عاش أحدنا  
ما مضى من حياته بغير صاحبه ، وكيف يمكن أن يعيش بعد

ذلك بدونه .. ثم نقسم مخلصين أن الزمن لن يستطيع أن  
يبعث صورة أحدنا من ذهن صاحبه .. ونقسم ، ونقسم ..  
ونكتب ونكتب .

وبعد عشرة أشهر - ولا أقول عشر سنين - رغم ضآلة  
هذه وتلك في عمر الزمن .. بعد عشرة أشهر ننظر إلى  
ما كتبنا ونستعيد ما قلنا ، فإذا بنا قد صرنا سخرية أنفسنا .  
أنا أكره الزمن ، لأن وظيفته هي أن يحطم مثلنا العليا  
ويهدم أمانينا الشم الروائع .

إني أود لو توقف الزمن الآن .. في هذه الفترة العجيبة  
حيث يصنع كل منا ذلك النموذج الرائع لصاحبه .. ثم يجلس  
لعبادته والتأمل فيه ، ويجد في ذلك منتهى سعادته .

أنا أحبك صادقاً مخلصاً .. وأومن بعبك الصادق  
المخلص . ولكني لا أومن بالزمن ، وفعل الزمن .  
أنا أكره أن أكتب لك شيئاً يكون متعتك في الحاضر  
وسخريتك في المستقبل .

إن الزمن الساخر يتحرك .. والحاضر سيجري في  
وهاده فيضحى ماضياً .. والمستقبل البعيد المجهول سيقبل  
علينا فيضحى حاضراً .. معلوماً .. لا بعيداً ولا مجهولاً ..  
وأنا أود أن أكون في كل مراحل هذا الزمن المتحرك ..

أود أن أكون .. دائماً .. دائماً .. ذلك النموذج السامى  
الذى ترينه الآن

فى لحظة من لحظات ذلك المستقبل البعيد المجهول ..  
ستكونين زوجة .. وأماً .. وستنظرين إلى الحياة نظرة  
جد مختلفة .. وتجدين أن لديك الكثير مما يشغلك عن ذلك  
الإنسان الذى كان شغلك الشاغل فى ساعة من الزمن ..  
ستجدين أن لديك أبناء وزوجاً وبيتاً أصبحوا فى حياتك  
كل شيء ..

ما دام الزمن يتحرك .. فإن هذا المستقبل مقبل مقبل ،  
آت .. آت .. وهذه اللحظات التى نعيش فيها الآن ذاهبة ،  
ذاهبة .. عافية عافية .

فى هذا المستقبل المقبل .. كل ما أتمناه .. أن أظل  
محتفظاً بصورتي النموذجية التى ترسمينها لى الآن .. وأن  
تذكرينى كإنسان حساس .. ذائب القلب ، وألا تسخرى  
من حبي لك ، وأنت كما أنت ، وأنا كما أنا ، ذلك الحب الذى  
نقدسه الآن فيما بيننا ، والذى نحجل من أن نصرح به أمام  
الناس ، أريد منك أن تقدسيه دائماً ..

\* \* \*

ذلك هو ما كتبت لك .  
وأكثر ما يبعث العزاء فى نفسى الآن ، هو أئى كنت

سديد القول ، بعيد النظر ، حتى في أشد أوقات حبي جنوناً  
ونزقاً وطيشاً .

الآن ، وبعد أن تحرك الزمن كما توقعت ، فماذا فعل بنا؟  
لشد ما أعتب عليك يا حبيبة الروح !  
لقد محوتني من ذاكرتك ، وأثبتت في ذاكرة الزمن ،  
لقد رفعتني من قائمة نفسك ، ووضعتك في قائمة الخلود .  
بت لا شيء عندك ، وبتنا سوياً شيئاً على الزمن .  
ما علينا ، ما جدوى عتاب ، من لا يسمع العتاب ؟  
كيف تلقيت رسالتي وقتذاك ؟

لقد أحزنتك الرسالة . . وأنا الذي كتبها لتسعدك .  
تبدد كل ما كتبت مع الرياح ، ولم يستقر منه في نفسك  
إلا قولي : إنني أخشى الزمن .

وأرسلت تقولين لي إنني لم أكتب الرسالة من قلبي ،  
وتساءلين في حيرة : كيف أخشى الزمن ، وأنت لا تخشيه؟  
أليس لدى من الايمان بحبي قوة كافية للتغلب على هذه الخشية؟  
أيمكن أن تكوني أنت واثقة من بقاء حبك على الزمن ،  
وأنا غير واثق ؟

عجبا ! عجبا !

أتصدقين الآن أنك قلت هذا ، في وقت ما ، ترى كيف  
يقع من نفسك هذا القول في وقتنا هذا ؟

مضحك؟! أم مرير أليم؟!  
عنى أنا، لست أملك إزاهه إلا أن أقلب شفقتى وأهز  
رأسى فى دهش وذهول .

ولقد خذلى رأيك فى رسالتى ، وكرهت أن أفشل فى  
أن أبلغك ما أود إبلاغه ، وأن تسيئى فهمى ، فتظنى أنى  
أخشى الزمن لأنى غير واثق من حبى .

وقبل أن أرد عليك ، واصلتني منك كراسة ، كتبت فيها  
قصة أهديتها إلى .

وأقبلت على القصة أقرؤها فى شغف ولهفة .  
ولم تكن القصة أكثر من قصتنا معاً ، أفرغت فيها على  
لسان البطلة ( التى هى أنت ) كل ما فى نفسك من مشاعر  
ملتهبة وأحاسيس متأججة .

وكتبت فى القصة كيف تعارفنا ، وكتبت عن لقاءنا فى  
ميدان السباق ، ووصفت تطلع كل منا إلى عيني الآخر  
طول السباق .

وكانت خاتمة قصتك أليمة مريرة ، فقد أصبت نفسك  
بداء الصدر بعد أن نأيت عنى مرغمة يائسة حتى لا تجعلى من  
حبك عشرة فى سبيلى ، وحتى لا تدمرى به حياتى ، وفى الرمق  
الأخير دفعك الحنين إلى رويتى قبل الرحيل ، فسعيت إلى  
وقضيت لحظاتك الأخيرة بعيدة بين يدي .

كانت القصة رائعة ، إذ لم تكن تزيد عن مشاعر مخلصه  
تنساب من نفسك المرهفة العاشقة في تدفق وقوة .  
كانت انعكاساً عمما في قلبك الجيش الزاهر الفياض .  
كانت شيئاً حياً ، لا أثر فيه لصنعة أو احتراف .  
ولم أستطع بعد الانتهاء من قراءتها ، إلا أن أمسك القلم  
فأكتب لك مرة ثانية قائلاً :

« في حنين إلى لقاءك ، ولهفة على مناجاتك .  
وكيف اللقاء على البعد ، والمناجاة مع الفرقة إلا  
بالكتابة ؟

أفلا أقل من لقاء على الورق ، ومناجاة بالقلم ؟  
إني لأشعر . . . وقد انتهيت الآن من قراءة قصتك التي  
أهديتها إليّ برغبة شديدة في الكتابة إليك . . . وأحس أني  
في حاجة ماسة إلى اختلاس بعض الوقت للتعليق عليها .  
إن أول أثر تركته قصتك هو إيضاح جديد لذلك  
التوافق بين روحينا ، فإن أسلوبك في السرد وتحليل المشاعر  
والحوار والوصف . . . قد أكد لي أنك كاتبه . . . فلا عجب  
بعد ذلك أن تفهميني ككاتب . . . ولا عجب كذلك أن تنسجم  
روحينا ككاتب وكاتبة .

هذا ما تركته القصة من أثر في نفسي باعتبارها مجرد قصة .  
أما ما تركته باعتبارها شيئاً حياً ، أو باعتبارها حياة

واقعة كائنة ، فهو كثير .. كثير جداً .

إن قصتك شطران : الشطر الأول .. وهو الواقع  
الكائن الذي يبيض به قلبك ، . وتفيض به مشاعرك ..  
والشطر الثاني . وهو الذي لم يقع ولم يكن ، ولكنه يلوح  
مبهماً غامضاً وراء الأفق البعيد المجهول .

أما الشطر الأول .. فهو كما ينعكس من روحك ، سعيد  
مورق مزدهر .. ملء كأسه الهناء .. وملء ربوعه السعادة  
والنعيم .

إني أحس به كما تحسین .. إن صورته المنعكسة من  
روحي تنطبق تماماً على صورته المنعكسة من روحك ..  
إننا نلتقي في كل ما نحس به ، ولو كتبت أنا عنه لما كتبت  
أكثر مما كتبت أنت

أما الشطر الثاني .. البعيد المجهول .. فلشد ما تختلف  
فيه .. إنك ترينه أسود قائماً .. ولكني أراه أبيض ناصعاً  
على الأقل فيما يختص بك .

إنك سعيدة بحبك .. وإنك ضئيلة به .. تكرهين له  
أن يذوى ويذبل ، وتكرهين أن ترى نهاية ذلك الشيء الممتع  
العذب الذي ملأ عليك حياتك وجعلك تعيشين في عالم نسج  
من الزهور والألحان .. لشد ما يعز عليك أن ترى نهاية  
حك . ولذا تفضلين - كما رويت في قصتك - أن تجعلي

نماينك قبل نهايته .. فتصيني نفسك الناضرة بالذبول قبل أن  
يدبل هو .. فإذا بك قد ذويت وبقى هو ناضراً على الزمن .  
لا . لا .. حاشى أن أكون أناياً إلى هذا الحد الذى  
أقبل فيه مثل هذه الخاتمة .

أنا أحبك ، وأنت تعلمين أكثر من أى مخلوق سوا  
كيف أقولها .

أحبك .. هل تسمعها ؟ .. بقلبك .. لا بأذنيك ؟ .  
إني أحبك وأعتبر أن أول واجب على نحوك هو أن  
أجملك أنت هائلة قبل أن أكون أنا هائلاً .

أنت ما زلت صغيرة فى مستهل عمرك .. لم ترشنى بعد  
ما يطيب من كأسك .. ولم تأخذى بعد نصيبك من حياتك  
الطويلة .

أما أنا فرشفت كأسى .. وحددت مصيرى .. ومن  
الآن أن أحاول العودة القهقرى لأشاركك فى كأسك ..  
وأربط مصيرك الحر بمصيرى المقيد .

إن حبك يمتعنى وينشئنى .. ولكن عند ما أجلس  
وأفكر .. تتنابى تلك النوبات من الحزن التى رأيتنى فيها  
ذات مرة .. لأنى أحس بالخوف عليك من هذا الحب .

إنه يمتعك الآن .. ولكن ماذا سيفعل بك - إذا  
استمر على حاله - فى مستقبل الزمن .. المستقبل اليأس

الدى لا أمل فيه؟

أنا لا أخشى على نفسى .. لأنى أشد جلدأ وأكثر  
احتمالا للشقاء وصبراً على الأحران .

ولكن أنت؟ .. كيف أتركك تنساين فى حبي؟ وكيف  
أتمناه منك وأتوق إليه .. وأنا أعلم أنه كلما ازداد بك ..  
شقت عليك نهايته ، وقست خاتمته؟

إن أكثر ما يعزىني فى حبك كلمة قلتها لى .. وهو أنه  
يهبك السكينة والطمأنينه

إن هذا هو خير ما أود أن أهمله لك .. الآن ومستقبلاً .  
وما زلت كلما عصف بى اليأس .. أطمئن نفسى بأنى  
سأحتفظ بروحك وقلبك وكل شىء فىك ، حتى أرك هانئة  
سالمة إلى مصيرك المقبل الناضر المزدهر .. لى تواصل  
حياتك مع مخلوق يستطيع أن يهبك ما لا أستطيع أن أهبك  
إياه . ثم تذكرينى كذكرى طيبة ومثل أعلى كما تريننى الآن .  
لقد قلت عن رسالتى السابقة إنى لم أكتبها من قلبى ،  
ولست أكر قولك هذا ففيه الكثير من الصدق .. لأنى  
لا أستطيع أن أمنع عقلى من التدخل عندما أكتب إليك .  
إنى أكره ترك العنان لقلبي عندما أكتب إليك فهو قلب  
عرييد لا يعرف حدوداً ولا قيوداً .. قلب أنانى أحمق  
مجنون .. لا هم له إلا أن يعب من كأس حبه ، وينهل

ما يشاء من مشاعره .

ولكني - كما قلت لك - أحبك أكثر من حبي .  
وأكثر من قلبي . . . ولذا أستعين عليك وعلى ، وعلى القلب  
العرييد . . . بشيء ساكن هادئ . . . بعيد النظر ، هو عقلي .  
احتمليه الآن . . . فعند ما يمر الزمن ويصبح الحاضر  
ماضياً . . . ستشكرينه كثيراً . . .

• • •

تلك كانت رسالتي إليك .

رسالة مخلصه صادقة . . . رغم أنها قد تكون الآن مبعث  
هزه وسخرية . . . بعد أن قلب الزمن الأوضاع . . . فوقك  
شرحك . . . وأهبطني بسعير هجرانك . . . وحاولت أن أستعين  
عليك بعقلي . . . نخذلني شر خذلان ، وتركني للقلب المهجور  
المجنون يسقيني من شوقه كئوس العذاب . . . ويذيقني من  
لهفته مرارة الحرمان .

كنت أخشى عليك وقتذاك من حبك لي . . . فقد  
كنت مفرقة فيه إلى حد الإفراط . . . معنة فيه إلى حد  
الهوس . . . حتى بدأت ألقى منك ألواناً من الغيرة . . . لم تكن  
تخطر لي ببال .

كنت أقاسي من غيرتك - رغم أن الغيرة هي أقصى  
ما يتلف عليه العشاق - لأنني كنت أشعر أنها تعذبك ،

أو — على حد قولك — تقتلك .

وعلام ؟ .. على لاشيء ! .

لم يكن هناك قطعاً ما يستدعي غيرتك .. ولم يكن هناك  
أدرى بذلك مني .. فقد كنت مخلصاً في حبك إلى أدق حدود  
الإخلاص .. إخلاص في النظر وفي التفكير .. إخلاص  
في القرب وفي البعد .

وكان أول مبعث لغيرتك .. هو قصصي .. أو على  
وجه التحديد بطلات قصصي .

كنت تتوهمين من قصصي وقائع غرام حدثت لي ..  
وكنت تتخيلين في كل بطلّة معشوقة شغفت بها حباً .

ولست أبريء نفسي من كل قصصي .. ولست أنكر  
أن بعضها به بعض الحقائق .. ولكن لم تكن بهذا القدر  
الذي تتخيلينه .. ولا كان هناك مبرر لأن تزعجي نفسك  
بأشياء وهمية .. حتى لو صح بعضها .. فهو لا يزيد على  
أصداء لذكريات غارة .

ولكنك اندفعت في تعذيب نفسك .

ولقد كان يحلو لك هذا دائماً .. فما خلت فترة .. من  
حبنا .. من إمعانك في تعذيب نفسك بشتى الوسائل .  
وكنت أول الأمر تعذبين نفسك بتوهمك أني أهو بك  
وأنسلي ، وأنى لا أكن لك حباً حقيقياً .

فلما وثقت من حبي .. بدأت نوعاً آخر من الآلام .  
وهو آلام غيرة موهومة .. فلما دفعت عنك هجمات الغيرة .  
بدأت في نفسك وساوس القلق .. من أن أتركك كما تركت  
سواك ممن أحببت قبلك .. وأخذت أدفع عنك هذه الآلام  
فنجحت إلى أقصى حد . حتى قلت لى ذات مرة :  
• مهما فعلت من ذنوب فيسغفرها الله لك .. لأنك  
أسعدتني وأذهبت عني القلق والوحدة .. وملأت روحي  
بالطمأنينة .. ورويت نفسي الظمأى إلى الحب .. المحرومة  
من الحنان . .

ومع ذلك فقد بقيت في نفسك مشكلة كبرى .. لم أكن  
أستطيع لها دفعا ولا حلا .  
• هي غيرتك من روجتي .

كنت تسأليني كيف أجلس معها؟ وكيف أعاملها؟  
وكيف أحدثها؟ . وتلحين علي في أن أجيبك .. فإذا  
ما أجبتك .. انقلبت حزينة بائسة .

إني لأذكر ذات مرة وقد جلست تنسجين صديرياً من  
الصوف وحاولت مشاكستك فجدبت الإبرة الطويلة من  
النسيج فأنحلت العقدة .. ونظرت إلى عاتبة وأخذت في إعادة  
الإبرة إلى موضعها ووجدت إعادتها يستغرق منك جهداً لم  
أكن أتوقمه فقلت لك ضاحكا :

— لم أكن أظن أني سأعذبك بهذا القدر! ..  
ورفعت رأسك من الصوف ونظرت إلى نظرة حزينة  
وقلت هامسة بصوت ملؤه الأسى :  
— ياريت عذابك كله كده ! ..

وقاجأتني قولك الحزين وتمنيت أن أحتويك بين ذراعي  
وأضمتك إلى صدري وأذهب عنك لوعتك وأدرد حزرك ..  
ولكن لم أملك إلا أن أطأطئ رأسي وسط الجمع المحيط بنا  
وأجيبك هامساً :  
— أنا آسف .

وكنت أحس من عذابك عذاباً شراً منه .. ولكن  
لم أكن أملك حباله شيئاً ، فقد كنت لا أكاد أرفع عنك  
غيرك من زوجتي حتى تقولين في حزن :  
— لا تنصح بشيء لم تجربه .. ماذا تفعل لو كنت  
مكاني .. وأنا أجلس الليل وحيدة وأعجبك بين أحضانها ..  
ولكنني مع ذلك لا أملك إلا أن أحتمل .. على أية حال  
دعنا من هذا .. إني آسفة لأنني أزعجتك .. ولكن أعدك  
بألا أجزن بعد هذا .

كان أمرنا غريباً .. وبات يزداد على الزمر غرابة ..  
فلقد كان الحب يتمكن بيننا على مر الأيام .. وكان كل  
منا يشعر أنه قد أضحي جزءاً لا يتجزأ من الآخر ، وأن له



حق تملكه والتحكم  
 فيه .. كل ذلك دون  
 أن نعرف لنا غاية ،  
 أو على الأضح ، ونحن  
 نعرف أننا بلا غاية .  
 لقبك ذات مرة  
 في بيت صاحبك .  
 وكنت أعرف أنك  
 تحب العزف على  
 البيانو .. وسألتك أن  
 تعزفي .. فرفضت .  
 وعجبت لرفضك ،  
 ولكنك قلت لي :

- إنى لا أجيد إلا عزف الموسيقى الغربية ، وأنا  
 أعرف من كتبك أنك لا تحبها ، فإذا ما سمعتها منى الآن ،  
 فسبكون إعجابك مجاملة ، وأنا أكره أن أسمع منك مجاملة ،  
 بل أريد أن تكون كل مشاعرك صادقة عميقة حقة .

ومرة أخرى قلت لي فى نهاية لقائنا :

- لقد قلت لى كلمة ملأتنى سعادة ، وجعلتنى أشعر  
 أنك تحبني حقاً .. إنى أجعلها ذخيرة العمر ، أذكرها كلما

مسنى هم أو احتوائى حزين

وسألتك فى دهش

— وما هى ؟

— لى أقولها لك .

— لم ؟ !!

— لأنى لو قلتها لك فستفقد قيمتها بعد ذلك إذا ما أعدت

قولها لى ، لأنى سأطن أنك تقولها بمجاملة .

كنت مخلوفة عجيبة تكرهين المجاملة ، وترغبين فى

إظهار الشعور الصادق العميق .

وكنت تقولين لى إنك تحبين فى أنى لم أحاول قط أن

أمدح ثوبك أو أتملق مظهرك .

وحدث فى ذلك اليوم الذى لقيتك فيه فى بيت صاحبك

أن عرضت على بعض صور لك ، وجلسنا نتسلى بمشاهدتها

حتى توقفت أمام صورة لك ، وقد وقفت تبسمين بحوار

فتى وشعرت من الصورة بضيق وسألتك عمن يكون الفتى .

ولا شك أنك أدركت أن لسعة الغيرة قد مسنتى .

وكنت على حق ، فقد شعرت بالغيرة عليك لأول

مرة ، فقد كان إقبالك المفرط على وجهك الشديد لى ، يجعلنى

من جحك فى طمأنينة دائمة . ثم أشعر بالغيرة عليك من قبل .

وصحكت وقلت عاتبة

- هذا صديق لابنة عمي .
- وعلام احتفاظك بصورته ؟
- مجرد ذكرى .
- وقلت لك بلهجة الأمر :
- مزقيها .
- ودهشت ، وبدا عليك الضيق والتبرم ، فإنك لم تتعودنى  
منى مثل هذه اللهجة الأمرة ، وأجبت متسائلة :
- ولم ؟
- لأنى أريد أن تمزقيها .
- إنى أكره أن أتلقى أمراً .
- حتى منى ؟
- من أى مخلوق .
- وشعرت بالغضب ، وقلت لك اسفأ :
- كنت أظن أنك لن تعصى لى أمراً
- هذا أمر لا مبرر له !
- إنه أمرى وكفى .
- أنا أكره كل أمر .
- وأضحت المسألة أشبه بالتحدى ، ولم تكن الصورة تهمنى  
كثيراً ، ولكنى كرهت عنادك وقلت لك :

كان يسعدني أن ترضخى لأمرى أياً كان !  
ثم صمت . . ولم نعد بعد ذلك للحديث في الصورة ،  
وعندما حل موعد انصرافك ذهبت صاحبك لتوديعك  
إلى الخارج ، وجلست أنا على الأريكة واجماً .  
وعند عودتها أحضرت إلي قصاصات الصورة بعد  
أن مزقتها ، وهي تودعك بالباب .  
وأمسكت بالقصاصات فأخرجت منها القصاصات التي بها  
وجهك ، فاحتفظت به ، وأريد لك عند ما التقيت بك بعد  
هذا ، فقلت ضاحكة :

— كنت أعلم أنك ستحتفظ به .  
— وأنا أيضاً كنت أعلم أنك ستمزق الصورة قبل  
أن تغادري الدار .

هذه كلها صيانيات تافهة . . لست أدري ما يجعلني  
أستعيدها لأنثرها من الذهن على الصفحات .  
إنها تفاهات قد تبدو مملة من كاتب يريد أن  
يمسك بتلابيب قارئه ، ويحبك له القصة ، ويطرد عنه  
السامة والملل .

ولكن مالي أنا وللقارىء ، وكلمة ؟

إني أكتب الآن لك .

هذه نصي الأخيرة كما قلت لك ، التي يعلم الله إذا

كنت أستطيع تميمها أم لا ، بل إذا كانت ستصل إليك  
أم لا !

ولكني مع ذلك أكتب فتلك هي صنعتي ، وذلك  
هو عزائي ، ولا أظن هناك كائناً من كان يستطيع منعي عن  
الكتابة .

إني أعتصر البقية الباقية من حياتي على هذه الأوراق .  
أعتصر البقية الباقية من نصف الإنسان ، الراقد على الفراش .  
إن الممرضة تحاول منعي ، ولكنني أفهمتها في قسوة  
وإصرار أني لا بد أن أكتب ، أراد الطبيب أم لم يرد .

وقلت لها :

— إذا كانت الكتابة ستضرني ، فإن ترك الكتابة  
سيقتلني .

وهكذا تركوني أكتب .

حمد الله مرة أخرى ، لأنه ترك لي النصف الذي  
أستطيع أن أكتب به .

ترك النصف الأيمن ، وأشل الأيسر .

أنا نصف إنسان ؟ !!

من كان يصدق هذا ؟

أتصدقين أنت ؟ !!

أتصدقين أن هذا الجسد المتين البنيان المنتصب القائمة

الذي كان يحتويك بين ذراعيه قد بات أشل عاجزاً؟!!

ولكن علام هذا الحديث عن نفسي! .

عذراً . إني ما قصدته قط . . ولكن القلم قد زل به

دعينا من الحاضر البغيض .

دعينا منه ولنواصل الحديث عن ماضينا الممتع ، وعن

سويعاتنا الحلوة معاً .



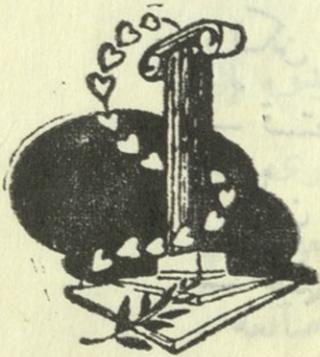
# بداية النهاية



في أول يوم من ليلة...  
 في ليلة...  
 في ليلة...  
 في ليلة...  
 في ليلة...

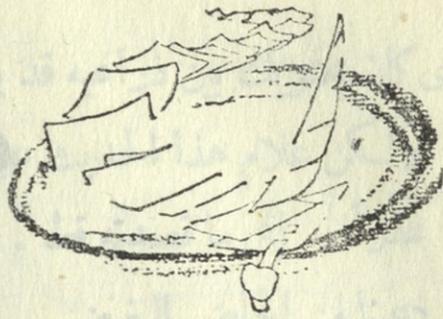
٩

والسحب في السماء...  
 يتلا...  
 اللون...  
 ليل...  
 الحال...  
 وفيها...



أنت...  
 ما...  
 ل...  
 المستور...

كنت أقول إن كلا  
من بات يشعر بتملكه للآخر  
وحقه عليه ، تملكاً صورياً ،  
وحقاً موهوماً . . . فقد كان



كل ما بيننا لا يزيد عن الأحاديث والكتابة ، وكان أقصى  
ما حدث هو ما نلته من ذلك التماس بين الشفتين في الظلمة  
وما سببه لك من آلام وأحزان .

وكنت دائماً تحاولين تجنب لقائنا منفردين . . . كنت  
فرعة خائفة .

حتى حدث ذات يوم أن دق التليفون في مكنتي  
وسمعت صوتك تسألين عنى في شيء من الوجمل .

وأجبتك في شوق وفرحة ، وسألتك متى أستطيع  
أن أراك ، وكنت أعرف أنك - كعادتك - ستجددين  
اللقاء عند صاحبك ، وأنى لو عرضت عليك الذهاب للسينما  
أو اللقاء وحيدتين في مكان ما ، فسترفضين لأنك تخشين  
للظلمة ومس الشفاه .

ولكن لدهشى الشديد أجبت في صوت خفيض :

- تستطيع أن ترانى متى تشاء .

- أين ؟ !

- حيثما تشاء فسا كون وحدى .

— حقا؟!

وقلتها في فرحة شديدة ، ثم اتفقنا على مكان اللقاء  
والموعد .

وقبل الموعد كنت في طريق بالسيارة إلى المكان الذي  
سألتني أن أنتظرني فيه ، ولم تمض بضعة دقائق حتى أبصرتك  
تقبلين في خطى عجلة وجلة ، وفتحت الباب بسرعة ثم  
جلست بجواري قائلة : — هيا بنا .

وانطلقنا . . انطلقنا بكل ما في معنى الكلمة .

انطلقنا بسيارتنا وبأنفُسنا وقلوبنا ومشاعرنا وأرواحنا .  
كان الوقت أواخر الشتاء ، وبرودة الجو لطيفة محتملة ،  
والسحب في السماء تعدو متلاحقة ، كأن إحداها تمسك  
بتلابيب الأخرى ، وهببات الريح تنذر بالمطر ، والطريق  
المؤدي إلى الصحراء قد بدا خاليا ساكنا . .

وأنت . ! أنت يا حبيبة الروح . . يا منية النفس الدائمة  
الخالدة . يا أنشودة القلب في كل زمان ومكان ، مهما فأيت  
ومهما هجرت ومهما أسأت .

أنت . . جالسة بجواري متطلعة ببصرك في هدوء إلى  
ما وراء زجاج العربة ، وأنا أرقبك بين آونة وأخرى وقد  
ارتديت « بلوزة » بيضاء من الأنجورا ، وبدأ عنقك من ياقبتها  
المستديرة المغلقة وكأنه عنق تمثال أبداع فيه صانعه ،

ورأسك قد استقر على عنقك ، وقد شع منه سحر عجيب ،  
وفتنة أخاذة .

وانطلقت من صدرك تهيدة حارة ، ثم تركت رأسك  
يستند في استرخاء على كتفي ، وقلت متسائلة :

— إلى أين ؟

— إلى حيث تشائين .

— إلى ما لا نهاية . . اذهب إلى حيث لا نستطيع

العودة . إنى أحس بسكينة كبرى ، واستقرار عجيب . ليتنا  
نضل معاً ، فإن ضلالنا سوياً هو خير هداية في حياتي .

واندفعنا بالعربة في الطريق الصحراوي مخلفين وراءنا  
كل أثر للعمران والحياة .

وتركنا الطريق إلى جوف الصخر ، وسط الرمال  
المنبسطة على امتداد البصر ، واختفى كل شيء عن أعيننا وكل  
صوت عن آذاننا ، وبت وإياك وحيدين بين السماء والأرض .  
وأوقفت السيارة . وعمّ السكون وراء الصمت ، كأن  
المكان قد أقفر حتى منا .

ونظرت إليك ، ونظرت أنت إلى الفراغ البعيد ،  
وأخيراً التفت إليّ ، وهتفت باسمي بطريقتك الذائبة  
المتوسلة للهنى .

كنت أشعر بظلم شديد إليك ، وما أظن ظمأك كان

أقل من ظمئى ومددت ذراعى مخرك فأحطتكم بهما  
وضممتك إلى .

وقلت وأنت تحاولين مقاومة ضمى ما

— دعنا نتحدث .

ولم آبه لقولك ، وأخذت أضحك إلى حتى التصق  
صدرانا وتماست أنفانا ، وشممت رائحة أنفاسك الحارة ،  
فسرى منها إلى ما يشبه التخدير ، تخدير ممتع لذيد ، وأخذت  
أستنشق عيبرها في نهم عجيب .

ومضت فترة ، وأنا ملصق طاقى أنفى بطاقتى أنفك ،  
كأنى أخشى أن يتسرب من أنفاسك النظرة شىء إلى الخارج  
دون أن أحتويه فى صدرى .

وأحسست بك تحركين وجهك حركة خفيفة زافد  
ذقنك إلى أعلى حتى انطبقت شفاهنا .  
وأغمضنا أعيننا بلا وعى ، وزدنا شفاهنا ضغطاً حتى  
تماست أسناننا .

وخلدنا إلى السكون وقد تراخت أعصابنا ، ورحنا فى  
شبه إغفاءة .

وأخيراً فتحت عينيك وسحبت شفتيك من شفتى  
وفككت حصار يدي من حولك .  
وأخذ كل منا يمدق فى عيني صاحبه وهمست أنت قائلة :

— قل شيئاً .  
— كل ما سأقوله سيكون تافهاً إلى جانب ما يزخر به  
باطني . . إن أقصى ما أستطيع قوله . . إني أعبدك .  
— وأنا أيضاً أعبدك . إني ملكك وحدك . كم أوحشتني  
غيبتك ، وكم ناجيتك في سكون الليل . كنت أسألك وأتخيل  
إجابتك عليّ ، فأرد عليّ إجابتك الموهومة ، وأظل أتحدث  
معك كأنك كائن أمامي . ضع رأسك في حجرى ، ودعنى  
أتحمس شعرك . . دعنى أحقق كل ما تمنيته وكل ما كنت  
أفعله معك فى الأوهام والأحلام .  
ولم يكن من الميسور أن أضع رأسى فى حجرك ،  
ونحن جالسان فى المقعد الأمامى من العربة . . وسألتك أن  
تجلس فى المقعد الخلفى حيث المكان أكثر اتساعاً .  
وكان المطر قد بدأ يتساقط دون أن نحس به أو بالرياح  
التي أخذت تهب عاصفة عاتية .  
وفتحنا باب العربة وانتقلنا بسرعة إلى المقعد الخلفى  
فانتحيت أنت أحد أركان المقعد ووضعت أنا رأسى فى  
حجرك ممدداً جسدى على المقعد ، ماداً ساقى على نهاية بحافة  
المسند الأمامى .  
وأخذت تخملين شعرى بيدك ، عابثة به ، وقلت وأنت  
تنظرين إلى وجهى وتحديقين فى عيني من عل :

- إنك تبدو كطفل صغير .. وإني أحس لك  
بحنان الأم .

ولم أملك إلا أن أضحك ، فقد كان عجبياً أن ينقلب  
الحال فأصبح أنا الطفل وأنت الأم .. أنا طفل في الثالثة  
والثلاثين وأنت أم في السادسة عشرة ! .

ومددت أصابعك تتحسسين أنفي وشفتي .

ورفعت أنا يدي على غير إرادة فتحسست بها شعيرات  
بيضاء نبتت في فودي ، وقلت لك ضاحكا :

- أيتها الأم الصغيرة الحلوة .. ألم تلاحظي الشيب  
الذي قد دب في فودي طفلك .. ما رأيك في هذه الشعيرات  
البيضاء ؟

وأخذت تتحسسينها برفق بأصابعك .. وهتفت  
في لهجتك الذائبة :

- إني أحبها .. وأحب كل شيء فيك .. دعني أقبلها .  
وانحنيت برأسك فوق رأسي ، وأخذت تقبلين فودي  
في شوق وحنان وأنت تهمسين :

- سأقبل كل شعرة فيها . إني أعبدك . أعبدك وأعبد  
كل شيء فيك .. كل ما بك يستحق العبادة .

ما كان أعجبك وأعجب حبك .  
إني ما لقيت في حياتي .. أعذب من حبك ولا أشبهي .

أجل يا حبيبة الروح . ما أحبني أحد كما أحببتني أنت .  
ما أظن إنساناً قد أحب إنساناً كما أحببتني .  
كان حبك أروع وأجمل من كل ما كتب عن الحب  
والعشاق .

كيف لا وأنت تهمسين في صوتك الذائب وجرأ :  
— لن تستطيع أن تعرف الآن كم أحبك .. من العبث  
أن أحاول وصف مشاعري لك .. ولكنك قد تعرفها على  
حقيقتها في زمن ما

زمن ما !!! .. أى زمن ؟! لشد ما خذلنا هذا الزمن .  
لعنة الله عليه .. وعلى كل من توقع منه خيراً .

وسألتني أن أحدثك كيف أحبتك .. ولم يكن هناك  
أمتع عندي من هذا الحديث .. فاندفعت أقصه عليك .

وبين آونة وأخرى كانت الأذرع تلتف في شوق ..  
والصدور تتلاصق في لهفة .. والشفاه تنطبق في شدة ..  
والأعين تغمض في رفق .. والرءوس تغفى في نشوة .

إننا لم نعمل الحديث .. ولم نعمل القبل .

لقد قبلتك يوماً مذاك .. حتى التهبت شفتاك .

وحلت بنا الظلمة ونحن عنها ساهيان .. وبدا عليك  
الوجوم والحزن وأنت تقولين :

— كم أكره الفرقة .. ترى كيف تكون آخرة حبنا ؟

وددت لو غادرنا الحياة معاً ، وخلفنا الدنيا بمرارتها وسيئاتها .  
تلك كانت أمنيتك وقتذاك .. أن نجتمع كموتى بدل أن  
نفترق كأحياء .

ولكن لم يكن من الفرقة بد .. فافترقنا أخيراً .  
وفي اليوم التالي وصلني منك خطاب .  
كان خطابك هذا بمثابة تسليم بالواقع .. ورضاء عن كل  
ما حدث بيننا .

كان خطابك يحزم بأنك لم تندم على لقائنا قط ، وأنك  
قررت راضية أن نتمتع بمحبنا على وضعه اليأس الذي لا يتيح  
لك أملاً في المستقبل ، والذي لا يهيء لك إلا متعة حاضرة  
والمأتموقعاً .

لقد قررت فيه أن تقبليني كما أنا بعد أن أحسست أن  
ليس هناك من يستحقك ويستحق حبك .. أكثر من هذا  
المخلوق المقيد إلى سواك .. لقد عزمت على أن تندفعي إلى  
أحضان صامة أذنيك إلا عن صوت قلبك .

والتقينا بعد ذلك بضع مرات .. في نفس المكان  
ونفس الموعد ، وظللنا نرشف من النعيم ، حتى وصلتني منك  
رسالتك التي أستطيع أن أعتبرها بداية النهاية .. والتي تبين  
أقصى الصعود في علاقتنا ثم تشير إلى بدء الهبوط .

كانت رسالة حزينة قلقة شاكية .. بدأتها بأنك تلجئين

إلى كصديق .. لأنك في أزمة نفسية حادة ، وأخذت  
تعددين مسييات ضيقك وحزنك وألمك .. وكان أعجب  
ما فيها - بالنسبة لي على الأقل - هو أن إحدى بنات  
عمك تثقل عليك بإخبارك أنها رأت صديقاً تعرفت به في  
بعض المناسبات يصاحب هذه الفتاة أو تلك .. كأنما هذا  
الصديق يعني شيئاً لديك ، أو كأنها تحاول أن تدخل في  
روحك أنك تحببته .. مع أنه لا يعني لديك شيئاً .. ثم  
أخذت بعد ذلك تتحدثين عما يثقل ضميرك قائلة :

« إني في حاجة إلى إنسان أفضى إليه بدخيلة نفسي ..  
إنسان يفهمني .. إني أشعر بثقل الضمير ، ولست أريد أن  
أسبب لك إزعاجاً .. ولكنني واثقة أن ضميرك أيضاً يثقل  
عليك كما يثقل ضميري عليّ ، فحساب الضميرين مشترك بيتنا .  
كم أتمنى ألا أغضبك بقولي .. وكم أتمنى أن تساعدني على فعل  
الصواب ، وعلى تجنب الخطأ .. إني أود أن أكون في باطني  
بريئة مستقيمة ، كما أبدو أمام الناس ، وكما يعتقد في كل من  
يعرفني ، دعنا نكف عن اللقاء وحيدين .. إننا نستطيع أن  
نتمتع بلقائنا عند صاحبتى وفي الحفلات وبين الصحاب .

« إني أعرف أنني - برغبتى هذه - أحرمت نفسي  
وأحرمتك من متعة كبرى لانستطيع تعويضها .. ولكن  
لأننا نرتكب خطيئة بمجرد إحساس كل منا بحب

الآخر .. إن حبنا المستتر في القلب خطيئة ، ولكنها خطيئة  
لا قبل لنا على دفعها ، فلماذا نضاعفها بارتكاب أشياء نستطيع  
تجنبها والحياة بدونها ؟

« دعنا نكون أمناء بالقدر الذي نستطيعه .. أمناء على  
الأقل في الظاهر .. مادمننا لا نستطيع أن نمنع خيانة قلوبنا .  
« ليتك تقبل رجائي وتساعدني عليه بصدر رحب ،  
وبفرحة المقدم على واجب لا بد من أدائه لا بأسف المقدم  
على حرمان نفسه من لذة ممتعة .

« لقد كتبت قصة جديدة أرسلها إليك عليها تعجبك  
كـمـجـرـد « قصة » .. أو على الأصح كمجرد محاولة « قصة » ،  
لقد كتبتها لمجرد التسلية ، ولأبين فيها فسوة الحياة وضعة  
البشر ، ولست أقصدك بالطبع ضمنهم .

« والقصة بالطبع غير واقعية ، فأنا لا أكن لبطلها أي  
إحساس ، وما شعرت له بأكثر مما شعرت لأي صديق ،  
أو صديقة ، إنه مجرد غرأ حمق لم يكن من الذكاء بحيث  
يستطيع خداعي .

« وإنه ليسرني أن تؤلمك القصة ، وأن تحس منها بعض  
الضيق حتى تدرك كيف أشعر ، وأنا أقرأ قصصك الغرامية  
الواقعية ، رغم أني لم أقصد بها قبل إيلامك .

« أنا أعلم أن رسالتي هذه ستؤثر في نفسك كثيراً

ولكني مكرهة عليها لأنني في حالة نفسية مزعجة  
«إني أشعر الآن - بعد الكتابة - بشيء من الراحة  
بعد أن أفرغت ما في صدري .. شكراً على إنصائك لي ..  
وتقبل أعمق حبي» .

\*\*\*

أعمق حبك !!  
من أين أتقبله؟! من هذه الرسالة؟! !! أجنونته أنت؟  
أعتقدين حقاً أنه يبدو منها حب عميق . أم تحول عجيب؟  
إني أستطيع أن أقرأ ما وراء الكتابة .. بل  
وما وراء ذهنك .

إنك حزينة لأن ابنة عمك أخبرتك أن صاحبك (الذي  
تؤكدين أنه لا يعني لديك شيئاً) قد أبصرته مع هذه الفتاة  
أو تلك .

ماذا يحزنك من ذلك وهو لا يعني لديك شيئاً؟  
وهذه القصة التي كتبتها لثورتك على البشر .. ولإرضاء  
انفسك الساخطة عليهم .

لم تشورين عليهم ، إذا كان الرجل الذي تعبدينه ، مازال  
يعبدك؟ . وأي رجل هذا الذي تكسبين عنه قصة؟ رجل  
تدعين أنك لا تكنين له إلا إحساس صديق .. ثم تقولين  
بعد ذلك إنه لم يكن من الذكاء بحيث يستطيع خداعك؟

إنك تدعين أنها ليست حقيقية .. ثم تعلنين عن رغبتك  
في إيلاي .

ماكل هذا الخلط و « الكركبة » و « اللخبطة »  
وما الذي حرّك ضميرك وأنت المعلنة عن أقصى رضائك  
بما كان بيننا؟! .

أترى قد جد جديد في مشاعرك؟!  
قاتل الله الوسوس والشكوك .. لقد بدأت أحس  
بالغيرة القاتلة .

ومع ذلك — ورغم ما في رسالتك من بوادر إزعاج —  
فقد تقبلتها بمنتهى الهدوء .. وقلت لنفسى : إنك لا شك  
مضطربة .

ولم يضايقني من رسالتك رغبتك في عدم اللقاء وحيدين  
فقد كنت — رغم متعتي ببلقائك — أكره أن أسبب لك  
متاعب أو مضايقات ، وكنت دائماً على استعداد تام لأن  
أضحى بكل متعة في سبيل إرضائك وطمانينتك .

وعلى ذلك فقد تقبلت عرضك عن طيب خاطر ، وقلت  
لنفسى إنى أستطيع أن أقنع منك حتى بمجرد التفكير فيك  
مادمت واثقاً من صدق مشاعرك .

ولكن ما أزعجني هو ضيقك من حديث ابنة عمك ،  
وأزعجني أكثر من هذا .. قصتك .. التي كتبها على سبيل

التسليّة - وأنت مغرقة في حبي - عن شخص آخر .. كل  
هذا طاف بذهني وأنا لم أقرأ القصة بعد .. طاف بذهني من  
مجرد رسالتك .

وقبل أن أقرأ القصة أسرع بالكتابة إليك محاولاً  
جهدى إزالة أحزانك . قائلاً لك : إنه يكفي أن تفكرى  
في حبي لك حتى تزول كل أحزانك ، وأنى كنت أعتقد  
أنك مثلى ، يكفي مجرد التفكير فى لتبيد كل المتاعب  
والهموم ، وعاتبتك قائلاً : إنى ظننت أنى أحتل فى قلبك  
موضعاً يهينى لى طرد كل ما به من أحزان وأشجان .

وخيل إلى أن كتابى سيضع حداً لحالتك هذه ، حالة  
التوتر والحزن . ولكنى وجدت أن رسالتى ، ككل رسالة  
كتبتها لك ، قد فشلت فى تأدية غرضها .. وأنها سببت لك  
إزعاجاً فوق إزعاج وأنها على حد قولك : روّعتك .  
وليس أدل على ذلك من رسالتك نفسها التى رددت  
علىّ بها .

كانت رسالة عنيفة حارة ملتهبة نائرة ، قلت فيها :

« لقد أوجعتنى رسالتك ، بل قتلتنى قتلاً ، ومزقتنى من  
الداخل إرباً .. لقد استدرت الدمع من مآقى ولو تركته  
لانهمر كالطر ، ولكن كان لا بد من التجلد والتماسك ، فإنى  
لم أكن وحدى ، وإنى لم أعد بعد صغيرة ، ويجب أن أكبت

مشاعري وأخفيها في باطني .

« لماذا تحدثت كما تحدثت ؟ وما هذا الذي قلت ؟

« كيف تشعر أنك لست أهلا لمنحى السعادة والسكينة  
التي أحتاجها ؟ هلا تعرف أن هناك بعض المنغصات في  
حياتنا لا يستطيع إزالتها إلا مسيبيها ؟

« كيف تجسر على التشكك في موضعك من قلبي ؟ كيف  
تجسر على ذلك ؟ أجننت ؟ أتقول ذلك وأنت في وعيك  
وتمام عقلك ؟

« لشد ما قسوت على بقولك هذا ، ولشد ما عذبتني به .

« هل تستطيع أن تتصور حالي من الألم والعذاب ؟

أنت تدرك تماما مبلغ حساسيتي !

« إنها قد تكون أنانية مني أن أفكر في نفسي أولا ،

ولكنني معذبة موحجة .

« إنني أهتف باسمك كما تعودت أن أهتف . استمع إليّ

فلا شك أن هتافي واصل لأذنيك — أو كما تقول أنت —

لقلمك .

« صدقني يا حبيبي وثق بي ، لقد كتبت لك ما كتبت في

رسالتي السابقة كصديق ، فالصديق هو الذي نلتمس معونته

إذا ما أصابتنا شدة ، فهل يعني ذلك أنني لا أحبك ؟

« هل يعني ألا أحبك مجرد كوني في حالة نفسية

لم تساعدني على مخاطبتك كما يتخاطب الأحياء؟  
« ما الحب؟ أليس هو - قبل كل شيء - صداقة خالصة  
لا تشوبها شائبة؟

« يا حبيبي . إني أتعذب . إني لا أستطيع الكتابة ولا  
أستطيع التفكير لأنني أكاد أجن ، لقد شككت في حبي  
من مجرد قراءة تلك الرسالة . . شككت فيه وأنت لم تقرأ  
تلك القصة الخمقاء بعد ، فماذا سيحدث إذا ما قرأتها؟  
« ويحي ! إني أخشى أن تتلف كل شيء .

« ماذا أفعل؟  
« ولكن ، ليحدث ما يحدث ، إذا لم تثق في حبي ،  
فلست أهلا له .

« ماذا كتبت لك حتى تقول لي إن موضعك لم يعد  
كما هو ، وماذا أفعل لأثبت لك أني لم أغير ولن أغير؟  
« إني لا أستطيع أن أرغمك على الثقة بي ، فلن تتبع  
إلا وحي قلبك ومشاعرك .. إني لا أملك إلا التوضيح  
والرجاء ، وعليك أنت أن تفهم وتقبل .

« ألا تثيرك أنت بعض مضايقات في عمالك أو في بيتك؟  
لم تأب علي أنا أيضاً أن أثور وأتضايق!! أتأب علي أن  
يزعجني إلحاح ابنة عمي السخيفة وملاحظاتها الثقيلة التي تريد  
أن تثبت بها أني مشغوفة بصاحبها الصبي الأحمق .

« ألا يضايقني هذا؟! أيعجبك أنت أن يظن أي إنسان

أني أعيره أدنى التفات؟

« إذ، واثقة أنه لن يعجبك .. أفلا أكون على حق إذا

أنا غضبت أو ثرت ، لأني لا أحب سوى مخلوق واحد هو

أنت ولا أريد من أحد أن يعرف أنني أحبه ، إلا أنت؟

« هل هناك ، ما أستطيع قوله أكثر من هذا؟

« وهل هناك طريقة أخرى لتفسير مشاعري؟

« إنك تعرفني جيداً ، وليس هناك من يستطيع فهمي

أكثر منك .. إني لا يضيرني قط أن أخبرك بكل ما فعلت

في حياتي لأنه ليس به ما يشين ، ولأني أعرف أنك واثق

من موضعك في قلبي ومن قيمتك عندي .

« وأرجو بعد كل هذا أن تبعد من ذهنك هذه الوسواس

وأن تذكر أن هناك أشياء قد تحزنك ولا يفلح حبي لك في

تخليصك منها . وكذلك أنا . . . ليس يعني ذلك أنني لا أعبأ

بك أو أنه لا قيمة لك عندي .

« إنها المرة الأولى أن أصاب بأزمة نفسية وألجأ إليك

بمحا عن المعونة والسكينة .

« لقد دفعني توتر أعصابي إلى الشجار مع إحدى

الصديقات في هذا الصباح . ولكنني لم أكد أتسلم رسالتك

حتى نسيت الصديقة ، ونسيت شجارى معها ، وأحسست

بالسعادة والهدوء . . . تلك هي إحدى الحالات التي يجدي  
حبك فيها ، والتي يستطيع معاونتي على التخلص من أحزانها .  
« أما إذا كانت رغبتى في عدم لقائنا وحيدىن هي التي  
دعتك إلى التشكك في حبي ، فانس كل ما قلت ، واذكر  
شيئاً واحداً وهو أنى على استعداد لأن أتبعك حيثما تشاء  
حتى إلى أقصى الأرض .

« يا حبيبى !! إنى لا أستطيع الشرح أكثر من ذلك ،  
فإذا كنت لم تقتنع بعد كل هذا ، فليس أمامى سوى  
الاستسلام لسوء حظى . على أية حال ، سأحبك حتى آخر  
رمى في حياتى .

وثقت بى أم لم تثق . . . بقيت على حبى . . . أم محوتنى من  
ذاكرتك . . . « إنى أحبك » .

#### ملحوظة :

إنى آسفة لأنى قد مزقت رسالتك . لأنى أحسست أنها  
ستبكينى فى كل وقت أعيد قراءتها . إنى أكره أن أمزق شيئاً  
كتبته أنت ، ولما كنى أيضاً أحب ألا أستبقى منك سوى  
الذكريات العذبة الهنيئة . . . أما الخصام والحزن والأسى ،  
فإنى أود أن يتبدد مع الرياح . ولذا أرجو أن تمزق خطابى  
الذى أحزنك حتى ننسى كل شىء عن هذا الخصام ونعود  
سعيدين كما كنا

تلك هي رسالتك !  
وأكون مجنوناً سخيفاً مغروراً ، لو طمعت في أكثر  
منها ، إعتذاراً وتفسيراً وتوطيداً للحب ، وتأكيذاً للوفاء .  
وأكون كافراً أستحق اللعنة ، لو لم يتبدد حزني ،  
ولم أحلق من الفرح في أرفع السموات .  
فلست أظن هناك أيين منها ولا أحر ولا أخلص .  
ومع ذلك فقد أبنى القدر السيء إلا التدخل ، فجعلني  
أقرؤها بطريقة ، أضاعت الكثير من وقعها ، وبددت  
لكثير من أثرها .

إن سوء الحظ إذا ما بدأ ، فلن ينتهي حتى يتلف كل شيء .  
كذا فعل بنا سوء الحظ ، لقد بدأ يزج بنفسه بيننا فلم يتركنا  
إلا وكل ما بيننا قد أضحي حطاماً .  
إن كل ما حدث بعد ذلك من خصام كان نتيجة خطأ في  
توقيت قراءة رسالتك .

لقد قلت إنني أرسلت إليك رسالتي السابقة التي تشككت  
بها في حبك قبل أن أقرأ القصة .  
ودعتني الظروف ودواعي العمل إلى تأجيل قراءتها .  
فلم أبدأ في قراءتها إلا وقد وصلتني رسالتك الأخيرة التي  
تعتذرين فيها عن الرسالة والقصة .  
وصلتني الرسالة وقد قرأت من القصة بضع صفحات .

ونست أكتمك أن القصة أثارت أعصابي ، رغم كل  
ما ادعيت من برود وهدوء وعدم اكتراث .

كانت القصة عبارة عن رسالة كتبها إلى شخص أحبته ،  
وجعلت تستعيدن فيها ذكرياتك معاً ، وتسوقين إليه  
عبارات الشوق والهيام ، وتجزمين له أنك تجبينه حتى بعد  
أن هجرك ، وحتى بعد أن أثبت أنه لم يرع لك عهداً .

لم تكن القصة ، قصة ، لحوادث ، ولا حبك ، ولا  
حوار . ولكنها كانت أشبه بنفثة مصدر ، أو بأهة عاشق .  
ولو كنت كاتبة أو قصاصة محترفة ، لتلست لك بعض  
العذر في نفسي ، ولو كنت قد تعودت كتابة مثلها من قبل  
لأندى ذلك على قلبي المحرور ولعزى نفسي الممرورة .  
ولكنك لم تكتبي قبليها سوى واحدة ، هي قصتي ،  
الواقعية ، الحية .

وكتبها لم ؟ لتفرغي بها مشاعر تصطبغ في صدرك ،  
ولتسكبي على الورق أحاسيس فاضت بنفسك .

فإذا ما أتيت بعد ذلك وكتبت هذه القصة أفلا يحق لي أن  
أظن أنها واقعة حال تنضح بها نفسك بعد أن هاجبها داء دفين .  
وإذا كنت قد قرأت في قصتك الأثرى تفاصيل دقيقة  
عن كل ما حدث بيننا وسرداً حقيقياً لكل أحوالنا  
وأفعالنا . أفلا يحق لي أن تذهب بي الظنون شتى المذاهب ،

وأن أعتقد أن ما قرأته في قصتك الجديدة ، لا يعدو أن  
يكون حوادث حدثت لك مع صاحبك هذا وقد دفعها  
إلى ذهنك جرح نكاه حادث طارىء؟

ألم تثورى لأن ابنة عمك ذكرت لك أن الصبي - كما  
تسمينه - قد شوهد مع هذه الفتاة أو تلك؟ ألم تقول إنك  
قد كتبت القصة ، إرضاء لنفسك ولتبيني فيها ضعة البشر؟  
أليست قصتك إذا ثورة على حبيب هاجر؟

لقد قلت لي إنك لا تكفي لبطلها أى إحساس . كيف إذا  
فضيت الأيام وأنت تكتمين له بتلك الحرارة وهذا الشوق؟  
أأنت مؤلفة بارعة الوصف خصبة الخيال؟!!

أأنت كاتبة عبقرية؟!!

لا .. لا .. إن في قصتك كل بواعث الغيرة ، وكل  
بواعث الخطر والخوف .. لقد أحسست منها بدء صراع  
بينى وبين الصبي ، الصبي الذى كنت تحبينه ، أو كنت - على  
حد قولك - تشعرين له بمجرد إحساس صديق .

لقد كنت تغارين من بطلات قصصى . وأنا كاتب  
مخترف .. أخلق فى كل أسبوع بطلة .

فكيف لا أغار من بطل قصتك .. وأنت لم يكن لك  
من بطل سوى؟!!

لا تنهينى بالطيش والاندفاع .. بل افهمى مشاعرى

كما أحلها لك .. واقتنعى بأنى كنت فى غيرتى ، وفى غضبى ،  
على صواب .

وعندما وصلتنى رسالتك المهدئة .. المفسرة .. الذاهبة  
بكل غضب .. كنت قد قرأت من قصتك بضع صفحات ..  
وكنت فى حال من الضيق والتوتر .

ولو أننى أنهيت قراءة قصتك وابتلعت كل سوئها ..  
ثم قرأت رسالتك .. لكان فى ذلك الخير كل الخير ..  
لأنى واثق أن رسالتك كانت جديرة بأن تمحو كل سيئاتها ..  
ولكن ما حدث .. هو أنى تركت القصة ، ثم أقبلت على  
الرسالة أقرؤها دون أن أتم القصة .

وشعرت فى نهاية قراءتى للرسالة بأقصى آيات السعادة  
والجور .. وهذأت نفسى الثائرة ، واستقرت مشاعرى  
الهائجة .

ولو أنى كتبت ردى على رسالتك عقب الانتهاء من  
قراءتها مباشرة .. لكان فى ذلك أيضاً الخير كل الخير ..  
ولما حدث بيننا ما حدث .

ولكننى - لسوء الحظ - لم أكد أنتهى من الرسالة  
السعيدة .. حتى أقبلت على القصة الشيقة وانهمكت فى تكلمة  
قراءتها .. فلم أنته منها .. إلا وقد أتلفت - كما توقعت -  
كل شىء

أجل .. لقد كانت أشبه بكوب من المرارة تسكينه  
فوق طعام شهى أو شراب حلو .

لقد سكبت في نفسي من المرارة ما أنساني حلو رسالتك  
وحلو حديثك .. وحلو اعتذارك .. وجعلني أنهار في  
حزن واكتئاب .

أنا يا حبيبتي .. كاتب .. شاعري .. حساس .. أعيش  
على الآهام والخيالات .. وتؤثر في نفسي جداً ، ما قد  
يظنه غيري تفاهات وسخافات .

لهذا أحببتك .. ولهذا جنت بك .. إننا نحن الإثنين :  
مجنونا غرام .. لم يكاد يلتقيان حتى اندفع كل منهما في  
أحضان الآخر

أغريب بعد هذا .. أن تحدث في قصتك من الألم  
والآسى ما أحاثت ؟

ومع ذلك .. فقد صممت على التجلد والتماسك ..  
وحاولت جهدي أن أمسك بزمام نفسي ، وألا أدع أعصابي  
تفلت مني أو تهيار ، وأن أجيبك بمنتهى السكينة والهدوء ..  
وأن أترفق بك فلا أحملك في رسالة أخرى إزعاجاً جديداً  
وأن أخفي عنك كل أثر لقصتك في نفسي .

وأمسكت بالقلم .. محاولاً جهدي أن يكون ردي ..  
على رسالتك .. لا على قصتك ، وكتبت بضعة سطور هادئة

رقية .. قلت لك إني واثق من حبك .. وأنه لم يعد بنفسى  
أى شيء ، وأنى قبلت عذرك

وقلت لك إن القصة من حيث هي قصة ، لا بأس بها ،  
وإن كانت تنقصها الخاتمة .. فهى تبدو كمجرد رسالة .. أو  
شبه اعتراف .

أما من حيث هي واقعة فقد عجبت مما دفعك إلى كتابتها  
وهنا بدأت قدرتى على التحكم فى كتابتى تخوننى ، وبدأت  
سخريتى الطبيعية فى الكتابة تتخذ طريقها إلى الورق لتعلن  
عن ألى وتعبر عن ثورتى على القصة .

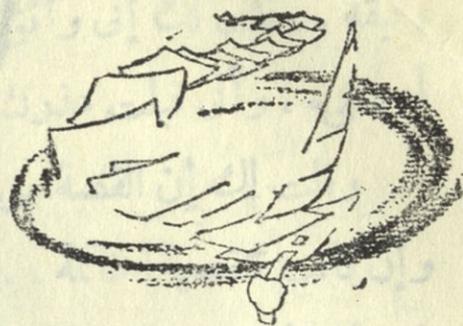
قلت لك إنى أتساءل عما دفعك إلى كتابتها ، وإنى  
أستطيع أن أتبين بوضوح أنها نكسة حب قديم نكس فيه  
جرح حديث ، وأنك بكتابتك تلبسين العزاء عنه .  
ثم تساءلت أيضاً .. عما دفعك إلى أن ترسلها لى أنا ؟  
وهل لم يكن أفضل لو أرسلتها لصاحبها كما أرسلت لى قصتى  
من قبل ؟ !

ثم قلت لك إنى سأرد لك القصة لأنى لا أود الاحتفاظ  
بممتلكات الغير ، وأن من الخير أن تبقى القصة لصاحبها ،  
وأرسلت لك الرسالة - برغمنى - مريرة ساخرة .





إني لأسألك نفسي الآن :  
ماذا كان عليّ لو تمالككت  
أعصابي فلم أرسل لك تلك  
الرسالة ؟ ! أما كان ذلك



خيراً ؟ . وأما كنا ما زلنا نتمتع بجنبنا سوياً ؟  
ولكنني مع ذلك لا أملك إلا أن أجيب ، أن القدر  
لا بد واقع ، وأن القطيعة بيننا كانت لا بد آتية مهما حدث .  
ولم تجيبي على رسالتي ، وبدالي أنها كانت أشد وقماً  
عليك من سابقتهما ، فلقد بلغني أن موضعي في نفسك قد  
تزعزع ، وأني لن أستعيد حبك لي أبداً .. كما كان .

وأحزنتني قولك هذا ، أكثر مما أحزنتني قصتك ..  
ورأيت نفسي أهبط من سوء إلى أسوأ ومن كدر إلى كدر .  
وأرسلت لك رسالة اعتذار رقيقة ، ولكنك لم تجيبي .  
واشتد بي الحزن ، فكتبت هذه الرسالة .. ولم أرسلها  
لك ، بل أعطيتها لك عندما التقينا بعد ذلك .

هل تذكرين ما قلت لك عن السعادة المرودة آلاماً ؟  
وأن القدر بقدر ما يعطينا من متع يهبنا شقاء ؟  
إني لأجلس الآن وأسألك نفسي والحزن يرسب رويدة  
رويدة في أعماقي .. هل نضب معين السعادة المستمدة منك

وبدأ سبيل الأحزان يطغى ويفيض ؟  
حقيقة أني أشعر أن قلبي أفعم منك هناء ، ولكنني  
أكره أن يكون الهناء قد بلغ منتهاه ، وأتمنى أن تكون  
هبتك من الأحزان هبة مدسوسة طارئة عاجلة الزوال قريبة  
النهاية ، وأن يعود غيث هنائك إلى التدفق مرة أخرى  
فيمحو الأحزان ويبدد الشجن .

أنا أكتب الآن لنفسي وبني حنين شديد إلى الكتابة ،  
وأحس من القلم نوعاً عجيباً من الإخلاص ، وأشعر وأنا  
أمسك به كالمتشبث في بحر نائر بلوح من حطام سفين .  
أنا لا أكتب إليك لأنني أعتقد أن كتابتي إليك كانت  
فاشلة دائماً ، وأن صناعتي التي اتخذتها ، لم تجدني نفعاً في نقل  
ما بنفسى إلى نفسك ، وأنى لم أنجح بها إلا في إيلاكم  
وإغضابك .

لقد قلت لك ذات مرة إنني أحببتك وسأستمر في حبك  
لأنك لم تسببي لي في حبك ألماً وأن التفكير فيك يهيء لي  
راحة ذهنية ، وأنتك وطيفك وذكرك خير معين لي على  
طرد الهموم والتخلص من الأحزان . . فهل يرضيك بعد  
هذا أن ينقلب الوضع ؟ فإذا بذهني كلما شرد في ذكرك جثم  
على قلبي الحزن وفاضت بنفسى المرارة والألم .  
أهكذا صمودك أمام أول تجربة ؟

هي أنى أخطأت ، وأنى قد أسأت إليك وآلمتك  
برسائلى !! أهذا يدعوك إلى القوون بأنى فقدت موضعى  
عندك ، وأن حبك لى لن يعود كما كان ؟

أبمثل هذه السهولة تززع حبك وإيمانك ؟  
أحقاً حدث منك هذا ؟

إنى لست جزعاً لأنه لو كان قد حدث فهو شىء غير  
مفاجىء لى . فأنا لست شديد التفاؤل فى الحياة ، وأنا دائم  
التوقع للأحزان ، دائم التهيؤ لاستقبالها .

ولكنى مع ذلك لا أود قبول أحزانك لأنى لو أخذت  
بعضها ففسأ تجرعها كلها حتى الثمالة ، وسيتتهى عندئذ كل ما بيننا .  
وكم أكره أن يتتهى ما بيننا ، وكم أود لو يدوم أبد  
الدهر .. لأنى أحس أن بك ما يميزك عن سائر الناس ،  
وما يجعل حبك يخلد فى نفسى ، فأرجوك ألا تبددى ذلك  
الوهم الذى جعل الحياة فى نفسينا .

إنى أحبك الآن كما أحببتك دائماً .. لم يتزعزع حبنى قيد  
شعرة ، فإذا كان حبك ما زال كما هو فلننسى كل ما كان ،  
ولندع ربح الإهمال والنسيان تذروه ليصبح كأنه ما كان .  
والتقينا بعد ذلك .. لأول مرة عقب الرسائل المتبادلة  
بيننا ، وعقب القصة التى سببت ذلك الخصام .  
وكان للقاء المباشر .. أثر عجيب .

أتدرين كيف تنفض هبة ریح کوم غبار؟ . كذلك فعل  
اللقاء بما بيننا من خصام!!

لقد نفخه شر نفخة نفخه من بعيد ، من مجرد إقبال  
أحدنا على الآخر . . ورؤية كل منا لصاحبه .

لم أكد أبصرک من بعد ، حتى أصابتنى نشوة عجيبة ،  
ودق قلبي بيلاهة محدث العشق . . حتى أنكرت منه لهفته  
واستحمةته ، وعلت شفيتك ابتسامة عريضة بمجرد أن  
لمحتني وبدت عليك نفس اللهفة والشوق التي كنت تبدين بهما .  
وتعابنا طويلا ، ونظرت إلى نظرتك الحلو المشوقة  
وهمست بي :

— شوقى إليك شديد ، كأنى لم أرك منذ أشهر ! .  
وكان هذا نفس ما أحس به . . رغم أنه لم يكن قد مضى  
على آخر لقاء لنا أكثر من أسبوعين .  
وأجبتك فى لهفة :

— وشوقى إليك أشد . . قاتل الله الخصام والغيرة  
والوساوس لقد أهدت نفسى ، وجعلت اليوم يمر كأنه عام .  
ولم نكن فى لقاءنا وحيدين تماما . . ولكننا كنا أشبه  
بذلك . . فقد كنا نستطيع أن نتحدث كما نشاء رغم وجود  
الناس من حولنا .

وبدا عليك القلق فجأة ، وأنت تتلفتين حولك فسألت :

— ما بك ؟

— سأتركك الآن .. لأن لدى موعد مع إحدى

صديقاتي .

وبدا على التجهيم وقلت لك :

— كان يجب عليك ألا ترتبطي بمواعيد تقطع علينا

لقاءنا .

— ولكننا جلسنا سوياً مدة طويلة ، وهناك أشياء

لا بد أن أفعلها .. إني منذ أحببتك انقطعت عن صديقاتي

القدامى ، وأخشى أن أثير في أهلي الأقاويل والشكوك .

— كما تشائين .

قلتها ونفسي تفيض بالضيق والحسرة ، وأجبتني راجية

متوسلة :

— أرجوك ألا تحزن ! . يجب أن تفهم موقفى .

— إني أفهمه .. ولكن أريد أن أوضح لك أمراً

— ما هو ؟

— لقد جعلتني في حباك كالطفل المدلل . لقيه أفرطت

في حبي ، وأمعنت في تدليلي .. حتى تعودت منك هذا ..

وبت لا أقنع منك بغير الإفراط .. والآن .. في هذا

الوقت بالذات .. وفي هذه الفترة التالية لفترة الخصام

والشكوك والوساوس والغيرة .. أرانى في حاجة إلى هذا

الإفراط الذي عودتنيهِ أكثر مما كنت في أى وقت مضى ..  
حتى يمحو تماماً كل أثر للوساوس والأحزان .. فإن أى  
تقصير منك - غير مقصود - سيبعث الوسوس مرة  
أخرى ، وستكون نفسى مهياة لمضاعفة أثره وتأويله بغير  
حقيقته . فأرجو أن تراعى ذلك وتكفى نفسك بعض الجهد  
حتى يمضى بعض الوقت ويزول كل أثر لما حدث بيننا .  
وكنت في قولى صريحاً مخلصاً .. وبسطت نفسى على  
حقيقتها .

وابتسمت في رقة وأجبت قائلة :

- إن الجو غير مناسب لأحاديث الحب والهوى ..  
ولكنى مع ذلك « أعبدك » .  
ومست يدك يدي مسة خفيفة .. وكان هذا أقصى  
ما نستطيع فعله .

وقبل أن نفرق قلت لى :

- لست أعرف إذا كنا نستطيع اللقاء غداً أم لا؟ ولكن  
أرجو أن تتصل بى تليفونياً ، فربما قد تسنح الفرصة للقاء .  
وفي اليوم التالى اتصلت بك فى الموعد المحدد ، وكانت  
بى لهفة شديدة إلى لقائك ، وكنت متوقفاً - بعد ما قلت  
لك أمس - أنك ستهين لنا فرصة لقاء .  
ولكنك أجبتنى فى عجلة أنك لن تستطيعى لقائى .

وخذلت كثيراً . ولكنني لم أجبك بأكثر من التحية .  
ثم وضعت الساعة في هدوء .  
ولم أكد أضعها حتى تملكنتني ثورة مفاجئة ، وغضب  
شديد .

كنت واثقاً أنك تستطيعين إيجاد الفرصة للقاء .  
وزج الشيطان بأنفه في رأسي . . وبدأ يؤكد أنك لم  
تعودي تعبين بي كسابق عهدك . . وأخذت مظاهر الغيرة  
والحنق والسخط تتفاعل في رأسي .  
وعبثاً حاولت التمسك بأهداب الاستقرار والهدوء .  
ولو استطعت . . لتغير كل شيء . . ولما انتهينا إلى  
ما نحن عليه .

ولكن مرة أخرى . . أعود فأقول . . إن ما حدث  
كان لا بد حادثاً . . على أية حال . . ما من وسيلة هناك  
لتجنب فعل القدر .

ومرة أخرى طلبتكم في التليفون .  
لمه ؟ ! لأفرغ لك حمق غضبي .  
وقلت لك حانقاً . . إنني لن أراك بعد هذا .  
وصححت مدهولة :

— لمه . . ماذا حدث ؟  
وكان الحديث سريعاً أشبه بالشرر . . ولم تكن هناك

وسيلة للتفاهم الهادى . . . كان كلانا متألماً . . . موجعاً . . . أنا  
بغضبي وحنقي ، وأنت بذهولك ودهشك .  
وأخيراً انتهى الحديث .

وهذا لبيب الغضب ، ولكن بقيت مرارة الندم .  
لعنة الله على . . . كان يجب أن أكبت الغضب فى صدرى  
فلا ألقيه عليك ، فأحطم حبك .

ولكن أى حب هذا الذى لا يتحمل صدمة غضب !؟  
ومن ذا الذى لا يغضب !؟

لقد حاولت أن أعتذر لك . . . ولكنك أعلنت القطيعة  
وأرسلت خطاب الوداع التالى . وهو آخر ما سمعت منك :  
« كم أكره أن أنهى ما بيننا ! كم أحس صعوبة ومرارة  
فى إنهائه !

« أهذه هى الطريقة التى تحترم بها حبنا ؟ لقد قلت عني  
« تأفة » . أحقاً أنا كذلك ؟ وهل هذا هو اعتقادك فى ؟

« إنك تظن أن حبي لك قد انتهى ، ولكنى أوكد لك  
أنه لم ينته ، وأؤكد لك أنى ما زلت أحبك ، ولكن تذكر  
أنك أنت البادىء بالقطيعة ، وأنت القائل إنك لا تريد أن  
ترانى ، لا لشيء إلا لأنى لم أستطع لقاءك ، لأنى لم أملك  
اللقاء . . . ولأنى لست حرة فى أن أفعل كل ما أريد بل لا بد  
لى أن أفعل ما يريد أهلى .

« ولكنني واثقة أننا قد وصلنا إلى نقطة ، أو إلى حالة ،  
لا بد لنا إزاءها من وضع حد للقائنا ، وإني أقول لقاءنا ،  
ولا أقول حيناً .. »

« لقد استطعت لقاءك فيما مضى ، ولكن لا تدري شيئاً  
عما كنت أقاسيه من أجل ذلك .. كنت دائماً أضطر إلى  
الكذب ، وهو أبغض الأشياء إلى نفسي . »

« لقد اعترفنا دائماً أن ما بيننا ما كان يجب أن يكون ،  
وأننا لو حاولنا أن نكون أبرياء في مظهرنا ، فإن الخطيئة  
ستبقى كامنة في قلوبنا ، ومع ذلك فإني أعتقد أنني لو استطعت  
أن أحبك بيني وبين نفسي ، أحبك دون أن أراك أو ألقاك  
حباً صامتاً في الحنايا ، مستقراً في الأعماق .. فإني أكون  
قد فعلت بذلك ما تمنيت أن أفعله دائماً .. ولكن لم تكن  
لدي الشجاعة الكافية لكي أقدم على فعله . »

« وعندما حدثتني آخر مرة حديث الغاضب ورفضت  
رؤيتي .. عزمت على ألا أراك ، وأن أبقى حبي في قلبي ..  
وبهذا أتحرر من وطأة الضمير الذي يثقل على نفسي . »

« وإني واثقة أن هذا خير لك ، لقد قلت لي من قبل  
أن بعدى لا يؤلمك لأنك تستطيع أن تسعد بالتفكير في ..  
وسأحاول أن أجرب هذا الأمر .. وأن أتغلب على آلام  
بعدك . »

« فإذا ظننت بعد ذلك أن حبي لك سطحي .. وأن  
مشاعري نحوك ليست من العمق بحيث تقاوم الأحداث .  
فأنت حر في أن تظن كما تشاء ، ولست أراي أملك لظنونك  
دفعاً .. كل ما أملك هو أن أداوم على حبك .. بضمير  
هاديء مستريح .

« وكل ما أرجوه منك هو أن تذكر أمراً واحداً ..  
وهو أنه مهما حدث .. فأنت دائماً في الذهن مستقر ، وفي  
القلب مقيم .

« بقي لي رجاء أخير .  
« أتذكر ما قالته لك صاحبتى .. عن أني أصلح بطلته  
لإحدى قصصك ؟! »

« أتذكر أيضاً قولك لي .. إنك ستكتب قصتي ..  
عند ما ينتهي أمرنا معاً .. وإجابتي لك أنك بذلك لن  
تكتبها أبداً .

« وإني لا أعتبر أمرنا معاً قد انتهى ، ولكن .. إذا  
كنت تعتبره أنت ، وإذا كنت تنوي الكتابة عني ..  
فأرجوك - بحق حبنا - ألا تكتب ما يشير إلي .. أو  
ما يكشف أمري .

« أنا لا أستطيع منعك من الكتابة ، ولا أود منعك ..  
فما تلمفت في حياتي على شيء كتبهني على كتابتك .. إني

أعتبرها زادي في الحياة .. إني أعبدها .  
« وحاشاي أن أنكر أني أتوق إلى قراءة قصتي ..  
وأترقب كتابتك عني .

« إني سأنتظرها على مر الزمن ، رستكون هي عزائي  
عن فرقتك ، وسلوتي في بعدك .

« ولست أملك في النهاية إلا أن ألتقي إليك على البعد  
تحية وداع ، وأهتف خلالها باسمك كما تعودت أن  
أهتف به .

« وإني أتمنى لك كل خير وهناء ، وأرجو أن تذكرني  
بالخير كما أذكرك لأنني لم أفعل نحوك أي خطأ ، وأخيراً وداعاً ،

\*\*\*

وداعاً .. وداعاً .. وداعاً .

هذا هو كل ما خرجت به من رسالتك  
أحماً تعنين ما تقولين ؟!

إن كل ما برسالتك من ألفاظ الحب والإسراع ..  
لا تستطيع أن توازن كلمة «وداعاً» .

إن كل ما أودعته رسالتك من متعة وهناء .. يمحوه  
ويذروه إعلانك الوداع ، إذا كنت تعنين ذلك حقاً .

أعازمة أنت حقاً على الفرقة والقطيعة ؟ وعلى أن  
تحبينني فيما بينك وبين نفسك ؟

أتستطيعين ذلك ، وأنت تحبينني فعلا ؟ !  
أم أن حبك .. لم يعد إلا كلاماً منمقاً معسولاً ؟ !  
وأمسكت القلم ، وأنا في حدة ألمية .. أسائل نفسي ..  
أجادة أنت في طبيعتك ؟ أتستطيعين تنفيذها وتحمل آثارها ؟  
على أية حال .. لم أجد أمامي إلا قبولها ، وانتظار  
نتائج العملية .. أجل .. ليس أمامي إلا التمسك بكبريائي  
وقبول الوداع .

وترددت .. أأرد عليك .. أم أعتبر رسالتك هي  
النهاية ؟ وأوحت إليّ كبريائي ألا أجيب ، وأمرني القلب  
الأحمق بأن أجيب ، فكتبت إليك :  
« عزيزتي ... »

« لست أدري أكان يجب أن أكتب إليك خطابي هذا ،  
أم كان عليّ أن أعتبر خطابك الأخير هو تحية الوداع  
فأكف عن الكتابة وأصمت عن الحديث .  
« لقد ترددت كثيراً في كتابته ، وقلت لنفسي إنه يجب  
عليّ أن أعاونك على ما أنتويه من إنهاء لما بيننا ، وأن  
أساعدك على القطيعة فأنأى بنفسى عنك ، وأبعد بها عن  
محيط حياتك ، وأكفيك مشقة رؤيتي أو سماعي أو القراءة لي .  
« كان يجب إذاً والأمر كذلك ألا أكتب شيئاً ، وأن  
أخذ إلى السكون والصمت والابتعاد ، ولكنني أشعر أن ثمة

شيئاً في صدري لا بد أن يقال ، وأن هناك بعض تعليقات  
على رسالتك الأخيرة لا بد أن أسر إليك بها .  
« على أية حال استمعي لرسالتي ولا تزجي نفسك بها  
كثيراً . . . بل اعتبرها بمثابة رد على تحيتك ، وأنها بعد كل  
شيء لا تعدو أن تكون كلمة «وداعاً» .

« أول كل شيء أشكرك أجزل الشكر على رسالتك ،  
فقد كانت لنفسى - رغم أنها رسالة وداع ورغم أنك  
قطعت بها كل ما بيننا وأنهيت بها كل علاقتنا - كانت رغم  
ذلك كله أجمل عزاء وأطيب دواء ، وما أظننى قرأت خيراً  
منها رسالة وداع . . لقد جعلت من مرارة الوداع حلاوة  
ومن فسوته رقة .

« ولكن لى عليها بضع ملاحظات أخصها فيما يلى :  
أولاً - قلت فى رسالتك أنى وصفتك بالتافهة فمتى قلت  
ذلك ؟ أقلتها بلسانى أم بقلبي ؟ إنى لا أذكر أبداً أنى قلتها لك ،  
وأستطيع أن جزم بذلك لسبب واحد ، وهو أنك آخر من  
توصف بالتافهة ، وأن أحسن ما فىك - كما قلت لك مائة مرة -  
أنك لست تافهة ، ومع ذلك فلو كان قد حدث أنى قلتها  
فعلاً . . فلا بد أن أكون قد قلتها ، وأنا فى حالة غضب جعلنى  
لا أعنى ما أقول . وعلى أية حال أنا أعترض عنها لأنى - إذا  
كنت قد قلتها فعلاً - فأنى قطعاً لا أعنيها .

« ثانياً - إني موافقك على أن ما بيننا - منذ مبدئه  
شيء خطأ ، وأن من الحكمة والعقل والمصلحة أن نضع له  
حداً ، ولكن أتذكرين أنك سبق أن قلت ذلك كثيراً ،  
ولكنك لم تستطعي تنفيذه ، حتى لقد قلت لي ذات مرة :  
« إنك لو كنت قد أقدمت على ترك رؤيتي لأصابك الجنون »  
فهل حدث جديد جعلك تقدرين الآن على فعل ما لم تكوني  
تقدرين على فعله ؟ والألا ترين معي أنه كان من الأفضل أن  
نجعل الأمور تجري سهلة بلا قطعة حتى نفترق افتراقاً  
طبيعياً في عطلة الصيف ؟ أتدرين كم مرة كنا سنلتقي خلال  
المدة الباقية ؟ لن يزيد لقاؤنا قبل الفرقة على أربع مرات ،  
فهل لقاء أربع مرات قد أضحي من الخطورة بحيث يحتم علينا  
أن نهى ما بيننا الآن ؟

« وأخيراً أرجو ألا تفهمي حديثي هذا على أنه رجاء  
لللقاء ، وأرجو ألا تحملي قولي بحمل العتاب أو اللوم ، بل  
هو مجرد شرح لوجهة نظر في مسألة اعتبرتها منتهية . ولم  
أملك أنا - تلبية لرغبتك - إلا أن أعتبرها كذلك ، بل إني  
لأعتبر رسالتك الأخيرة هي النهاية فعلاً ، وأعتبر رسالتي  
هذه شيئاً خارج الموضوع .. أو على هامشه .

« وأظنك تعرفين أكثر من غيرك .. أني لست الإنسان  
الذي يرجو لقاء ، وأنه كان يكفي أن أعلم أنك نويت

القطيعة حتى أنهى ما بيننا .. وأن أكبت كل مشاعري  
فلا أبلغك منها شيئاً ، ولكن لم أفعل لسبب واحد ، وهو  
أنك مخلوقة عزيزة ، وإنى أكره منك أن تأخذيني بلحظة  
غضب لا يخلو منه مخلوق .

« أما عن قولك بأني قلت دائماً : إنه لا يؤلمني إلا أراك .  
فقد قلت ذلك حقاً عندما كان التفكير فيك يسبب لي كما قلت  
دائماً «راحة ذهنية» . أما الآن والفكر يزرع تحت عبء ملح  
من الحزن . أما الآن ورصيد الأحلام الجميلة قد تبدد ،  
وربيع الذهن قد أضحى خريفاً تتساقط فيه الأوراق الصفراء  
وتعصف فيه الرياح العاتية .. فلا أظنني أستطيع أن أزعم  
أنني في غير حاجة إلى رؤيتك .

« ولكني - كما سبق أن قلت لك - أعلم تماماً أن سعادتنا  
لا بد مردودة ، وأن من الجنون أن نتخيل أن الحياة يمكن  
أن تداوم على منحنا هذا القدر العجيب التي منحتنا إياه من  
السعادة .. لأن هذا ليس من طبيعة الحياة .

« لقد مررت بأجمل أيام الحياة ، والآن أمر بأشقاها ،  
وكما استمتعت بمتعة الأيام الحلوة ، لا بد أن أحتمل آلام  
الأيام المريرة ، وكما استمرأ الذهن لذنة «الراحة الذهنية»  
لا بد أن يلقي نصيبه من «الإجهاد الذهني» .

« وبعد .. فالحمد لله .. إن كل شيء إلى زوال ، وإلى

نهاية .. حتى الألم .. وحتى الشقاء .. لقد أقبل النعيم ، ثم  
ولى ، وأقبل الشقاء ، فلا بد أن يولى ، وسنخرج في النهاية  
بلا شيء لا نعيم ولا شقاء .. اللهم إلا ذكريات راسبة في  
الذهن .. الله أعلم بحلاوتها أو مرارتها .

« لعن الله الذهن الذي لا يهدأ ولا يخفو .. بل يعين  
في التفكير والتذكير ، حتى يصيبه الكلال ، دون أن يجد  
له مستقراً يستقر فيه ، أو ملجأ يمنحه الرجاء الضائع ..  
والراحة المسلوقة .

« حتى الساعة العاشرة قد باتت موضع يأس ، بعد أن  
كانت مرفأ رجاء .

« كان الذهن يجد فيها أقصى راحته ، إذ يشعر أنه ليس  
وحيداً . وأنه يلتقي مع ذهن آخر في الفضاء الحر الطليق  
حيث لا حدود ولا قيود ، ولا خوف من رقابة ، ولا  
خشية من تقليد .

« أما الآن فما أشبهه بوحيد مهجور يحوطه الفراغ  
والظلمة والوحشة .. ينتظر ، وينتظر ، وينتظر .

« أجل ! إن الذهن قد بات يخشى الساعة العاشرة . بعد  
أن كان يترقبها ، لأنه يحس فيها الفشل والخيبة والخذلان .

« لقد أطلت في الكتابة ، لأنى مثلك ، أكره أن أنهى  
ما بيننا ، ولكن ما دمت تصرين فلتكن النهاية .

« أما عن قصتك فإني لا بد كأنها فهي كل ما تبقى لي للعزاء  
عنك .. وأرجو أن تطمئنني ، فما تعودت قط أن أفضح  
أبطلالي وأكشف أمرهم .

« أجل ! يا حبيبة الروح ، لن يكشف أمرك إلا ثلاثة :  
أنا ، وأنت ، والله .. الستار ، الغفور ، الرحيم . سأذكرك  
بالخير ، لأنني لا أذكر لك إلا الخير .  
« وأخيراً .. وداعاً » .

«...»

قلت لك وداعاً ، ويعلم الله أني ما عنيتها قط .  
لقد كنت أعتبرها مجرد كتابة ، وما صدقت وقتذاك ..  
أنها وداع حقيقي .  
والآن لندع الرقة والمجاملة جانباً .. ولنتحاسب معاً على  
ما فعلناه بعد ذلك .

ماذا فعلت ، وماذا فعلت ؟  
كنت جادة في وداعك . مصرة عليه .. وكنت أنا  
لا أتصور حدوثه .  
ومرة واحدة ، وجدت كل شيء قد نخلي عني وإذا بي  
أترنخ كالذبيح .

تخلت عني أب بالفعل لا بالقول .. فتجنبتني تماماً ..

لا لقاء ولا حديث ولا كتابة .  
وتخلت عن كبريائي وعنادي واعتدادي . . فذهبت  
ألاحقك راجياً عفوك . . مؤملاً صفحك وغفرانك . .  
وارتدادك إليّ .

وتخلت عن الصبر والتؤدة . . فلم أحاول أن أتركك للزمن  
أو لنفسك . . حتى تتلمهي أنت على لقائي إذا كنت حقاً  
مازلت تحبينني .

وتخلت عن العقل . . فتصرفت في غير حكمة ، وفي كثير  
سخف وغباء .

وتخلت عن القلب فاشتط وتغالي وجعلني أغرق في أعماق  
من الحزن واليأس لا نهاية لها .

قاتلني الله من غر أحرق ، قليل الصبر ، ذاهب اللب !

ولكن . . علام التقرير واللوم وأنا بشر ؟

بشر . . عاشق . . مهجور .

مهجور . . بعد طول حب وتدليل . . ملطوم . . بعد

طول رفق وربت .

كانت صدمتك صدمتان : صدمة المفاجأة . . وصدمة

الإذلال .

كانت — على كثرة تجاربي وصدماتي في الحياة — أشق

مة تلقيتها . وأقسى تجربة صادقتها .

إن المسألة برمتها ، قد تبدو تافهة .. أو قد تبدو إنهاء  
سليماً لحالة خطأ .. كان لا بد أن تنتهي .

فأنا زوج عاقل مستقيم ، وكاتب معروف محترم ، ورجل  
مترن جاوز الثلاثين ، وخط الشيب رأسه .. قد أخطأت  
بحب فتاة في الخامسة عشرة ، وأخطأت هي محبي .

وقد كنت أنا نفسي أتمنى في كثير من الأحيان ، رفقاً  
بها ، أن تكف عن حبي ، وأن تنقسم تلك الرابطة التي  
شدتنا بلا أمل ولا رجاء .

كنت أتمنى أن ينتهي ما بيننا .. عند ما أحكم عقلي ..  
وعند ما أحاول النظر إلى مصلحتك ومصلحتي .

فما بالي قد جنت ! وأنا أرى ما بيننا قد انتهى ، وأجد  
حالة الخطأ قد زالت ؟

ولكن هذا تفكير إنسان عاقل .. يحكم على الأمور  
وهو في حالة طبيعية .. إنسان غير عاشق ولا مهجور .  
أما أنا فقد كنت عاشقاً مهجوراً .. ذاهب اللب ..  
شارد الذهن ، محرق القلب .

لقد ذهبت عنى كل صفة ، إلا هذه الصفات ، صفات  
العاشق المهجور .

وانطويت على نفسي ، وكتمت السهم في كبدي ، ولم  
أكن أملك غير ذلك .

ماذا أفعل وكيف أتعزى؟

لقد حاولت التعزى بالصالحات السابقة .. ولكنني  
وجدت لقاءً بهن لم يغير حالي .. كنت أجلس معهن صامتاً  
بشارداً ، لا أكاد أنبس بكلمة ، فضقت بي وضقت بهن .  
إن شر ما في الهجر .. أنه ما من إنسان يملك للهجور  
عزاء .. إلا الهاجر .. وأين للهجور عزاء الهاجر ، وهو  
ممعن في هجره !

لقد كان دوائى عندك وحدك .

أنت وحدك التي كنت تستطيعين أن تفعلى لى شيئاً .  
وأنت وحدك التي لم تفعلى شيئاً ، سوى التجاهل والإنكار  
كأنك لم تقولى لى إنك ستجيبينى دائماً ، وأنى سأتقى فى ذهنك  
وفى قلبك إلى الأبد .

أمعقول هذا؟

أمعقول أنى باق فى قلبك أو فى ذهنك ، وأنت تبخلين  
علىّ حتى بمجرد إيماءة ، أو نظرة ، إحساس بوجود؟  
لا .. لا .. لقد انتهى كل شىء .

وأى عجب فى ذلك؟ أهو أول حب ينتهى .. أم أنك  
أول محبة تكف عن الحب؟

أنت معذورة ! .. ما ذنبك وقد سلوتنى ، وتبدد حى  
من قلبك؟ حى الذى كنت أعتقد أنه لا ينفد .

ولكنى مع ذلك أعتب عليك .. فلو أنى كنت البادى ..  
بالسلوان ، ولو أنى أنا الذى كفتت عن حبك أو لا لكنت  
أكثر رفقاً بك .

أجل ! إني ما كنت أمعن فى الهجر ، وما كنت أنفرك  
وأتجاهلك . إني ما كنت أسبب لك جرحاً ، بل كنت أجعل  
من حبي صداقة أضمدها بها جرحك .. لو كفتت أنا عن حبك  
لما أشعرتك بهذا ، ولما تحوّلت عنك ، بل لذكرت لك طول  
حبك ، وفرط تدليلك ، ولما نسيت ما اعتبره منك جميلاً  
طوّقتنى به .

وهكذا أخذت أزرع تحت أحزان الهجر ، وآلام  
الإذلال .. وبدأت أقبع فى الدار .. فى شرود وصمت  
وحزن .

أجل ! لقد أخذت أقبع فى الدار .. أنا الهائم الحر  
طليق ، الذى لا يستقر له قرار .

لقد عدت أخيراً ، كما يعود الطير الجريح إلى وكره .  
وفى الوكر ، وجدت الصابرة الساكنة .. تنظر إلىّ فى  
تساؤل صامت .

لقد أخذت ترقبني الساعات الطوال .. وأنا مغرق  
فى الصمت مخلد إلى الشرود .

ولا شك أن قبوعى فى الدار وشرودى قد أثار دهشها

ولكنها لم تخرج من صمتها .

لم تفصح بالسؤال ، فما تعودت قط أن تسألني شيئاً . .  
كانت سمیعة مطیعة . . لا تسأل ولا تطلب ، ولكنها تسمع  
وتفعل :

لقد كان يداخلها إحساس بأنها مقصرة نحوي ، لأنها لم  
تجب لي أطفالا ، ولأنه لا أمل لها في الذرية ، إلا بأبهظ  
الأثمان ، بحياتها .

كانت تشعر أنها مقصرة في حق ، لأنها هزيلة مريضة  
ولأن الطبيب حرّم عليها .. الولادة .. لأن في الحمل والولادة  
قضاء على حياتها .

ولم أكن في قرارة نفسي أكرهها .. بل على النقيض . .  
لقد كنت أحبها - كما سبق أن قلت - حب أخت أو أم  
أو ابنة ، وكنت لا أرى لها ذنباً فيما أصابها ، لقد تزوجتها  
كالزهرة اليانعة ، ولكن المرض بدأ يمسك بتلابيبها . .  
ففرزل جسدها وأوجع نفسها .

وهكذا كانت دائماً ، تقيني السؤال والتدخل ، فلم تحاول  
قط أن تستفسر : أين كنت ؟ وأين أذهب ؟ وماذا أفعل ؟  
ولكن في هذه المرة . . كنت أقرأ التساؤل واضحاً في  
عينها . . كنت أجلس في صمتي وشرودي ، وقد أرققت فلم  
أذهب إلى المضجع ، وكانت تجلس أمامي مهمكة يديها

في عمل التريكو ، وقد طأطأت رأسها ، وأخذت تحديق في  
الإبرتين بين يديها ، وبين آونة وأخرى ترفع عينيها في تساؤل  
ثم تخفضهما في استسلام دون أن تقول شيئاً .

وهكذا تظل ترقبني حتى أذهب إلى الفراش ، فتطقي  
النور وتمدد جانبي في صمت وسكون .

وفي ذات ليلة طال بي الأرق ، والذهن مبعث في التفكير  
فيك .. كيف أنساك ؟ إني أتوق إلى نسيانك ، ولكن كيف ؟  
إني أحاول أن أجسم سيناتك وعيوبك حتى أكرهك ..  
وأظل أجهد ذاكرتي في جمعها وفي تضخيمها وأقول لنفسى  
إنك رديئة متقلبة وإنك لست جميلة وأنه ليس بك ما يميزك  
عن سائر البشر وإنك لاتستحقين حبي ، ثم ينتهي بي الأمر ،  
بعد كل هذا .. أتدرين إلام ؟

إلى مزيد من شوق .. ومزيد من حب .. ومزيد من  
حنين ولهفة .. لا على تقبيلك ، بل على تقبيل أطراف أصابع  
يديك ، بل قدميك .

وطال بي الأرق والتفكير فيك ، وهي جالسة أمامي ،  
جائبة يديها في عمل التريكو . متسائلة بنظراتها الصامتة  
المتوسلة بين آونة وأخرى .

وأخيراً .. وجدتها تضع الإبرتين جانباً .. ثم تهض  
مقتربة مني في سكون وتقف ملاصقة لمقعدى ، ثم تمد يدها

إلى رأسي وتتحسس جبيني في رفق وتقول في صوت  
خافت وجل :

— ماذا بك ؟ ماذا يحزنك ؟ ألا أستطيع أن أفعل  
لك شيئاً ؟

وبذلت جهدي لكي أكرم تلك الزفرة الحارة التي همت  
بالانطلاق من صدري .. وأجبت وأنا أربت على يدها  
في رفق :

— لا شيء .. إذهي وسألحق بك للنوم .  
يا للسخرية !! لقد قتلتنى برفقها وحديها ، كما قتلني أنت  
بهجرتك وقطيعتك ؟  
ماذا أقول لها ؟ !

أقول لها .. إني حزين لأنني أحب غيرها .. التي  
هجرتني وضربت بحبي عرض الحائط ؟ !  
ما هذا الخلط العجيب ؟ ! وعلام تكرر هنا الأقدار على  
هذه المتناقضات ؟ ولم تأبني إلا أن توجه أذهانتنا ومشاعرنا  
أسوأ توجيه ؟ !

ولكن . وحمداً لله .. أن جعل رءوسنا منطوية على  
ما فيها ، وإلا .. ماذا ترى يحدث .. لو كان كل منا يرى ما في  
ذهن الآخر ؟

إنها تسألني : هل تستطيع أن تفعل لي شيئاً ؟

ترى هل لو عرفت سبب ما يحزنني ، وأدركت حقيقة  
ذلك الشيء الذي يمكن أن يذهب بحزني . أكانت تصر على  
سؤالها؟! !

أم تراها على استعداد لأن تذهب إليك ، وتحضرك إلى  
وتقول لك : أحبيه ، كما كنت تحبينه ، حتى لا يقتله الحزن؟  
هذه سخرية عجيبة!

لعن الله حياتنا ، إنها كلها سخریات .  
ولم أملك إلا أن أنهض وأتمد على الفراش وقد ثبتت  
عيناى فى سقف الحجرة . . أو على الأصح ، فى صورتك ،  
فما كنت أبصر أمامى مبصراً ومغمضاً . . إلا أنت .  
ومرت الأيام والشهور ، وأنا مثقل بالحزن . . مقل  
فى الكتابة . . لا أكاد أكتب إلا ما أكره على كتابته  
كواجب لا بد من تأديته ، وحتى هذا الذى كنت أكتبه كنت  
تزجى بنفسك فيه . . فلم تكن تخلو منه صورة لك .  
ولم يكن ما بى فى أول الأمر . . ليزيد على إرهاق نفسى  
وكلال ذهنى ، حتى أصابنى ذات يوم ما يشبه الإغماء ، وأنا  
أسوق العربة ، ووجدتني أتهاوى فى مقعدى ، وقد أخذت  
المرئيات حولى تدور وتمايل ، وبهتت صورتها فما عدت  
أرى فيها سوى أشباح متداخلة . . وحاولت جهدى أن  
أسيطر على عجلة القيادة ، ولكنى وجدت كل شيء يدور بى ،

وجأة سمعت صوت فرقة شديدة . . ولم أعد أحس بعد ذلك شيئاً .

ولم أفق إلا وأنا راقد على فراشي في المستشفى . . وبذراعي وساقى بعض الضمادات والأربطة .

ولم أكن أحس بجراح ولا رضوض ، ولكني لم أكن أحس أيضاً بإحدى ساقى وإحدى ذراعى . . لقد بدا لي أنهما ليستا مني .

إني لا أريد أن أترسل في وصف تفاصيل مرعبة ، ولا أريد أن أستبكي بكتابتى مقلة . . أو أستدرف دمعاً .

لا . . ولا أريد أن أكتب لنفسي رثاء ، ولا أستجدي من غيري رثاء . . فما كرهت في حياتي أكثر من شعور الرثاء . . إن الفشل نفسه لم يكن يحزنني بقدر ما يحزنني ما أتوقعه من رثاء الناس لي على ذلك الفشل .

وأنت بالذات . . أكره رثاءك لي . . إني أتوق إلى حبك وعبادتك وتقديرك ، وبقدر ما أتوق إلى ذلك أكره أن أكون موضع رثائك أو شفقتك .

وعلى ذلك أعلنك أني في أشد حالات مرضي وعجزى وشقائي وحزني ، ما زلت قوى النفس . . شديد الاعتداد بها . . بل إني في باطني أكثر مني قوة في أي وقت مضى . . إن ما أصابني من عجز وكلال . . لم يؤثر على قوة نفسي ،

فأنا . . هو أنا ، دائماً ، وسأبقى كما أنا ، حتى الموت ،  
وما أظنه بعيد .

بل إن توقعي الموت . . هو سر قوتي ، واعتدادي .  
لقد كنت أفهم الموت دائماً على حقيقته . . أفهمه على  
أنه نهاية واجبة ، لحياة أكرهنا على تحمل متاعبها وآلامها .  
لقد فهمت الموت دائماً على أنه نومة مريحة ، وأنا ما أحببت  
في حياتي شيئاً كالنوم ، فهو يزعنا من كل متاعبنا ومضايقاتنا ،  
ويتركنا في خير حالة من الطمأنينة والراحة .

هكذا فهمت الموت دائماً ، وأنا منه بعيد ، وهكذا  
أفهمه وأنا منه غير بعيد .

لست أريد رثاء ولا بكاء .

فما ضايقتني من فكرة الموت . . سوى شيء واحد ،  
حظر لي ذات مرة وأنا أشيع جنازة صديق ميت ، وهو  
ولولة النساء وفزعهن ، فلقد كرهت أن أرى ذوى في مثل  
هذا الفزع والارتياح ، ولكنني حمدت الله ، أني عندما  
أموت . . لن أسير وراء جنازتي ، ولن أبصر هذا المنظر  
المروع .

إنني أحاول المزاح ، وسأمزح حتى أموت ، فإني على  
حال من التجلد والقوة ، لا أشك في أنها ستوقف رثاءك  
لي لو كنت ثوينته .

إني على خير حال .

ليس هناك ما يضايقني سوى ثلاثة أشياء :

أولها ، وأسوأها : هجرك ، ونسيانك .

وثانيها : هو مرض زوجتي .. فأنا أحبها ، رغم كل

ما فعلت بها من خيانات في عرف الشرع والناس ، أحبها

الحب الهاديء الدائم ، الثابت ، الباقي ، الذي لا تبدو

مظاهره ، ولكن لا تتزعزع أصوله .

لقد أصابتها حادثتي بصدمة أقعدتها ، وضاعفت هزالها

ومرضها ، فلزمت فراشها في الدار .

إن مرضها يضايقني ، ويضايقني أكثر من ذلك وجيعتها

في وألمها على ، وعجزها عن أن تراني وتسهر على راحتي .

أما المضايقة الثالثة : فمبعثها أبي العجوز .. إني لا أكاد

أحتمل منظره وهو قادم إليّ كل يوم متكئاً على عصاه ،

محاوياً الابتسام ، فلا يكاد يجلس إليّ حتى ينهمر الدمع

الصامت من عينيه كالطرر .

وكم أحب هذا العجوز ، وكم أكره دمعه ، إني أراي

صورة أخرى منه ، وأراه أكثر الناس في هذه الدنيا

فهماً لي . وتقديراً لطبيعتي .. إنه لم يحاول مرة واحدة

أن يوجه إليّ نصحاً ولا لوماً ، بل كان دائماً شديد الإعجاب

بكل ما أفعل .

إني ، وأكره أن أسبب له فجيعة بموتى .  
آه . . ما أحب الموت ، لو لا أحيأؤنا في الحياة . . إن  
الحزن يبدو في عيونهم ، لأنهم يروننى شاباً ، ونافعاً وطيباً ،  
ويحلمهم كأن الموت لا يأخذ سوى الكبار العجزة الأشرار .  
ولكن ما هذا السخف الذى اندفعت فيه ؟  
ما هذه الأقوال اللينة الضعيفة ؟  
إني لن آبه بمن حولى ، لن أضعف قط ، سأخرج من  
الدنيا ، ضاحك الثغر مرفوع الهامة .  
شئ واحد كان يزيدنى ضحكاً ومرحاً وقوة ، وهو  
استمرار حبك .  
لو أنك لم تخذلىنى ، لكنت بلا جدال ، أحسن بكثير  
من أنا ، ولكنى مع ذلك ، أستطيع أن أستعوض عنك ،  
بالكتابة إليك . . أجل . . أجل . إن خير ما أفعل هو أن  
أكتب قصتك . . لقد سألتنى أن أكتبها ، وأنت لا شك  
تنتظرينها . . فمن النذالة أن أخذلك فأغادر الحياة ، قبل أن  
أكتبها لك .  
لا بد أن أكتب قصتى الأخيرة .  
حمداً لله . . إن الجزء العاجز منى هو الجزء الأيسر .  
إياك أن تشعري لى برثاء أو بعطف .  
إني حقاً مشلول . . ذلك الجسد الطويل الفارع - كما

كنت تسمينه - والذراعان القويتان . . لم تعودا تستطيعان  
ضمك ، ولكن ما حاجتها إليك ، وأنت هاجرة فائية ؟  
إن يمانى تستطيع أن تمسك بالقلم .

وأنا بالقلم في يميني والورق أمامي أشعر بقوة خارقة  
إن قوتي كامنة بين أصابعي ، وفي قلبي . . إنى أستطيع بها  
أن أفعل كل ما أريد .

لا يهمنى كثيراً إذا ما رقدت عاجزاً مشلولاً .  
فإنك لن ترينى على حالى تلك . . ولكن ما يهمنى هو أن  
أستطيع أن أمسك بالقلم وأكتب . . فكتابتى هى ما يمكن  
أن يصل إليك وهى التى تمكنى من أن أبر بوعدى لك . .  
فأمنحك قصتك .

راقدة على الفراش ممدود كما أنا . . وقد اتكأ ظهري  
ورأسى على الوسائد . . وضعت أمامى المنضدة الصغيرة  
المتحركة التى أتناول عليها الطعام وهى تكاد تلاصق صدرى  
وعليها كوم من الأوراق .

والحجرة هادئة ساكنة لا أكاد أسمع من حولي  
إلا أقداماً تروح وتجيء في الممر بين آونة وأخرى .  
أنا لا أعرف علة ما بي . . فهؤلاء الأطباء الأغبياء  
يأبون أن يقولوا لى إلا أنى بخير وأن ما بي مسألة بسيطة .  
لعنة الله عليهم . إنى أعرف أكثر منهم . إنهم يحاولون

معنى من أى جهد ، ولكنى سأكتب رغماً عنهم .  
ليعارفنى الله على الكتابة .

وليهبى من لدنه قوة ، فلا يشتت ذهنى ، ولا يفقدنى  
وعبى قبل أن أتمم القصة .

وبهذه العزيمة ، وبهذه القوة ، وبهذا الرجاء من الله  
أمسكت بالقلم لأكتب قصتك .. وظللت أكتب ، وأكتب  
حتى تملكنى الإعياء .

لست أدرى ماذا كتبت .. وما موقعه من الجودة  
أو الرداءة ؟

انى متعب منك ، ويبدو أن ما كتبت به كثير من خلط  
وتشويش ، من أثر ذلك الذهن المتعب ، والجسد المنهك  
والنفس المريضة المرهقة .

كما يبدو لى أنى لم أكتب شيئاً يستحق النشر ..  
أو القراءة .

ويخيل لى أنه لن يرضى إذا ما نشر عامة القراء .  
ولكن مع ذلك أتعزى بأملين : الأمل الأول : هو  
سماحتهم وسعة صدرهم ، وتقديرهم لظروفى التى كتبت بها  
ما كتبت ، وأن يعتذروا بما أَرْضيتهم فى حياتى عما ضايقتهم  
به فى نهايتى .

أما الأمل الثانى : فهو ثقى من أنها إذا لم تعجب عامة

القراء كقصة ، فإنها ستعجبك كرسالة . . . ولقد كتبتها لك أنت ، فإن أعجبتك فكفى بهذا تقديراً

ولكني بعد كل ذلك تصيبنني بعض الوسوس بأنها لن تعجبك ، فأنت قد تغيرت نحوي ، وتبدد من نفسك حبي وتطأرت مشاعرك .

أفلا يبعد ألا ترى بعد ذلك في قصتي . . . سوى شيء يستحق السخرية ؟ . من يدري ؟

لقد حيرني تغيرك نحوي ، وجعلني أتساءل في عجب . . عن طبيعة البشر ، وقلوبهم . ، وتلونهم .

لقد ضيعت ثقتي في نفسي ، وفي الناس جميعاً  
ضيعت ثقتي في الناس لأنني لم أعد أثق بعدما رأيت من اندفاعك ونكوصك في قول مخلوق أو إحساس بشر .  
وضيعت ثقتي في نفسي لأنني ظننت أنني ككاتب أستطيع أن أفهم نفسية الناس وأحلها تماماً .

ولكنني وجدت نفسي عاجزاً إزاء نفسييتك ذلك الانقلاب العجيب ؟ . كيف اندفعت في حبي اندفعت في هجري ونسياني .

ألا يحق لي بعد هذا أن أتوقع منك سخرية بقصتي ! .  
أو على الأصح بقصتك ؟

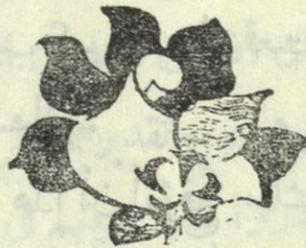
أجل ! إنك قد تسخرين الآن من نفسك ، ومن نفسي ،

ولقد قلت لك هذا فيما مضى فأبيت أن تصدقيه .  
إني شديد القلق والضيق .. فإني أكره أن أكتب شيئاً  
لا ينال الإعجاب .. أكره أن أخرج من الحياة بغير تصفيق  
وأنا الذي تعودت دائماً .. أن أسمع الإعجاب والتصفيق  
لكل ما كتبت .

لا بد أن أتم القصة :

لا بد أن أضع لها خاتمة من عندي .. فأجعلك مثلاً  
تعودين إليّ في اللحظة الأخيرة نادمة مستغفرة .. ولكن  
تجديني قد انتهيت .

أجل ! أجل ! هذه نهاية جيدة ، ولكنني متعب الآن .  
لندع الورق جانبا .. وسأتمها فيما بعد ، عندما أستريح .  
أجل .. ! سأكتب لها خاتمة جيدة .. وسأجعلها من خير  
ما كتبت .



الجزء الثالث

شمس غارية



ولقد قلت لك هذا فيما مضى فأبيت أن تصديقه .  
 إلى شديد القلق والاضيق .  
 لا يزال الإعجاب بي . **شالو** **شالو** **شالو**  
 وأما الذي تعودت دائما . . ان اسمع الإعجاب والتصفيق  
 لكل ما كتبت .

لا بد أن أنعم القصة .  
 لا بد أن أضغ لها خاتمة من عني . . فأجيبك مثلا

تعودين إلى في اللحظة الأخيرة تادئة مستفجرة . . ولكن  
 ٤٤  
**بسم الله الرحمن الرحيم**  
 طبع الورق جانبا . . وما بها فيما بعد ، عندما أسترخ .  
 أصل . . اسأكتب لها خاتمة جيدة . . وما جعلها من خير  
 ما كتبت .







« سأكتب لها خاتمة جيدة ..  
وسأجعلها من خير ما كتبت » .

وانتهت « سامية » من قراءة  
هذه الجملة ، وأخذت تقلب الأوراق فلم تجد بعد ذلك شيئاً .  
وأحسست بالدمع يتترقق في مآقيها ، وحاولت عيناً أن  
توقف انهماره .

إن الكاتب يكره أن يستبكي عيناً أو يستدرف دمعاً ،  
وهو لا يخشى أكثر من أن يشير الشفقة أو الرثاء .. فهو  
يتماسك ويتجلد ، ويدعى القوة وهو مجروح النفس ، مشلول  
الجسد ، مرهق الذهن .

أية قوة بعد ذلك قد تركها له الهجر والمرض والياسر  
من الحياة ؟

كيف يُسأل قارئه عدم الرثاء ؟ !  
ولكن أين الخاتمة ! ؟ أتراه قد كتبها كما كان يريد ؟  
إنه يخشى أن يخذله القارئ في آخر ما كتب .. يخشى أن  
يخرج من الحياة بغير تصفيق ولا إعجاب ..  
عجباً لهؤلاء الكتاب .. ما أشد حبهم لكتابتهم .. أفى  
مثل هذا الموقف الأليم يتوق للإعجاب والتصفيق ، ويخشى  
خذلان القارئ ؟

ولكن القارىء لن يخذله ، فهو لم تقرأ أروع من هذا  
شيئاً .. حتى ولو لم تكن له خاتمة .. أجل .. إن هذه  
الأوراق على حالها من النقص .. تعتبر أحر وأصدق  
ما قرأت .. إنها شيئاً حياً .. إنها مشاعر زاخرة متدفقة ،  
لا حبر على ورق ، ولا حديث يقص ، أو قصة تروى .

ولكن .. أتري قد حدث هذا حقاً ؟ أهذا الذى قرأته  
أمر واقع .. أم مجرد قصة ؟ ! وإذا كان مجرد قصة فلماذا  
لم تطبع ؟ ولم تركت فى هذه الأوراق القديمة الباهتة ؟ وماذا  
أوصلها لأمتها ، وما دخلها بها ؟

ولماذا أعطتها إياها فى هذه الظروف العجيبة اليائسة ؟  
أتراها تريد أن تخفف من مصابها بإعطائها أمثلة من بعض  
مصائب الناس ؟

إن الأمر يحتاج إلى تفسير ، فهذه المذكرات — رغم  
قوتها وشدة تأثيرها — لا تعتبر حلاً لمسألتها ولا تفسيراً لها .  
وكانت تحس بعد قراءة المذكرات بإرهاق شديد ، فقد  
زادتها بأساً على يأس وحنناً على حزن .. وودت لو ظلت  
متهددة فى فراشها مستغرقة فى النوم ، ولكنها كانت تعلم  
أن النوم لن يقرب من أجفانها .

وألقت بنظرة خاطفة على الساعة الصغيرة الموضوعة  
على المنضدة ، وغادرت الفراش ممسكة بالأوراق فى يدها .

كانت الساعة قد بلغت الحادية عشرة ، وكانت تخشى أن  
تكون أمها قد آوتت إلى فراشها ، فسارت تسترق الخطى إلى  
غرفة نومها ، ومدت رأسها من خلال الباب فوجدت  
الفراش خالياً منها .

وعبرت الحجرة إلى الشرفة المطلة على الحديقة فوجدت  
أمها قد جلست على الأريكة شاردة بصرها في أنحاء الحديقة  
التي لفتها الظللة .

وانتخبت « سامية » مجلسها بجوارها ، ثم مدت يدها  
بالأوراق متسائلة :

— أما زالت لها بقية ؟ ! إن الخاتمة لم تكتب بعد !  
وأمسكت الأم بالأوراق في رفق ، وأجابت وهي تهز  
رأسها :

— ليست لها بقية .. لقد ذهب قبل أن يكتبها .  
وبدأت الأسئلة الحائرة تزاحم على شفقي الفتاة .. من  
هو ؟ وما علاقته بها ؟ . ولم أعطها هذه المذكرات في هذا  
الوقت بالذات ؟ . وما صلة ذلك كله بالصدمة المفاجئة التي  
تلقتها اليوم ؟ أحقاً ما قالت العجوز ؟ إن هذا أمر مستحيل !  
إن العجوز تهذى بما لا تعي .. هذه لاشك خرافة ! ولكن  
لم لا تتحدث أمها ؟ لماذا لم تجيب ؟ لماذا لم تنكر ؟ بل لماذا  
لم تسخر وتقهره ضاحكة ؟ !

إنها لم تفعل شيئاً من هذا كله ، بل بهتت ووجهت .  
وبعد كل هذا لم تقل شيئاً ، ولم تجب بنعم أو لا .  
أو على الأصح لم تجب بـ « لا » ، فإن إجابتها في الواقع  
لا يمكن أن تكون « نعم » .

أجل ! إنه لا يمكن أن يكون هناك أبداً تعليل للسؤال .  
لم تقل الأم « لا » ، وكل ما فعلت هو أن أعطتها هذه  
الأوراق لقراءتها .  
وقد ظنت الفتاة في ذهولها ودهشها ، أنها ستجد فيها  
تفسيراً لهذا اللغز العجيب والمسألة المعقدة .

ولكنها مع ذلك لم تكلم تنهي من قراءتها حتى زادت  
دهشها .  
واستمرت الأسئلة تلخ في ذهنها ، دون أن تجسر على  
الإفصاح بها .

وعادت الأم تتمتم قائلة :  
- أجل ! لقد ذهب قبل أن يكتب الخاتمة ، ولكنني  
أعرف الخاتمة ، أعرفها جيداً ، وأستطيع قصها عليك .  
وهمت الفتاة بأن تصيح : « ليس هذا وقتك يا أمه . . . »  
أجيبى أولاً ، دعني الخاتمة الآن ، وقولي لي أهو ابنك حقاً ؟  
أريحي نفسي المعذبة بالشكوك ، قولي لي إنه ليس ابنك . . .  
وإن العجوز الضيبة مجنونة مخرفة ! أريحيني يا أمه ! . . .

ولكنها كانت تكره أن تؤلم أمها ، إنها تحبها أكثر من  
أى شيء في هذه الحياة ، وقد رأت كيف أذهلها النبأ وكيف  
صدمها وتركها مشدوهة حيرى . . فلماذا تلح عليها بما يزيد  
في إزعاجها .

وأكثر من هذا كانت تخشى الإجابة والتوضيح ، فقد  
كان مظهر أمها لا يوحى بخير ، بل يوحى بكل عوامل الشر  
وينبئ أن المسألة لا شك صحيحة . . فإنها لو لم تكن صحيحة  
لاستطاعت أن تقول ببساطة : لا . . إن هذا كذب . . إن  
هذا مضحك .

ولكنها أيضاً لو كانت صحيحة ، فقد كانت تستطيع أن  
تقول أيضاً ببساطة : نعم ، إنها صحيحة ، إنه ابني ، إنه أخوك .  
ولكنها . . لا تقول شيئاً . . ربما لا تريد أن تصدمها  
وربما تريد أن توضح لها أشياء خافية ، وأسرار دفينه .  
على أية حال ليس أمامها إلا الصبر والانتظار .

ليس عليها إلا أن تسمع الخاتمة ، كما قرأت المذكرات .  
وبدأ صوت الأم ينبعث خافتاً متتداً ، وسط السكون  
السائد ، لا يشوبه سوى حفيف الأوراق ، يحركها النسيم .

\*\*\*

قالت الأم :

— إني أعرف الخاتمة ، وأعرف الكثير مما قبل الخاتمة .

أعرف الكثير مما لم يعرفه هو .  
أعرفها ، وهي طفلة يتيمة .. لا تذكر عن أبيها إلا مجرد  
صورة باهتة .. أما عن أمها فهي تذكر بسمه حلوة ، وضمة  
حنون .. لم يتركها القدر تنعم بهما في طفولتها طويلاً .  
ووجدت نفسها ، وهي في الثامنة تغادر دارهم في أسبوط  
تأخره إلى القاهرة لتستقر في بيت خالتها .

لقد قالوا لها عندما مات أبوها إنه قد سافر ، وظلت  
على هذا الوهم حتى ماتت أمها ، ولكنهم في هذه المرة ،  
أبالوا بأن يخفوا عنها حقيقة الأمر ، فقد كانت أكثر فهماً  
لحقائق الأمور ، ولم يكن هناك من يهمله كثيراً أن يجنبها  
الأحزان ياخفاء الوفاة .. لقد كانت أمها هي التي جنبتها  
الأحزان في أول مرة .. أما في المرة الثانية ، فقد كانت  
أمها نفسها هي الميتة .

ورحلت إلى القاهرة ، وبذهنها الصغير ذكريات حلوة  
عن أسبوط .. ذكريات هلو ومرح ولعب وضحك وحنان  
وتدليل .

كانت تحب كل ما يذكرها بطفولتها ، وبأمها .. كانت  
تحب الصيف ولياليه ، فقد كانت تذكر لعبها مع الأطفال  
على شاطئ النيل ، وكانت تذكر ليالي الحر عندما كانوا  
يصعدون بالأسرة فوق سطح الدار ، وكانت أمها تروي

ها الأفاصيص ، وهي ترنو إلى السماء مخدقة في النجوم اللامعة  
حتى يأخذ الكرى بمعاقد أجفانها .

ولم تقبل على القاهرة إقبال مستبشر . . فما توقعت  
في بعدها عن منبتها الجميل ، وفي فرقها عن أمها المحبوبة أي  
خير ، ولم تشعر كثيراً بطول السفر ولا ملله ، فقد راحت  
في إغفاءة طويلة من فرط التعب لم تفق منها إلا على ضجة  
المحطة وأصوات المسافرين

وهبطت من القطار تشق طريقها بين الأجساد المتراخمة  
وقد أمسك بيدها « زوج خالتها » يتقدمه بعض الأقرباء .  
وكان الوقت مبكراً ، ولم تلتقط عيناها السكيلتان من  
القاهرة المستيقظة سوى مناظر سريعة خاطفة : المسافرين  
يتحركون في عجلة ، والحمالين بوجوههم المجددة العابسة  
وحناجرهم الصائحة الصارخة ، وعرصات التاكسي تروح وتجيء .  
وأخيراً استقر بها المقام في إحدى هذه العربات ،  
وسمعت صوت الرجل الجالس بجوارها يقول للسائق :  
- مصر الجديدة

ولم تميز كثيراً من مشاهد الطريق . . فقد كانت العربية  
تعدو بسرعة كأن بسائقها مساً من شيطان ، وكان ذهن  
الصغيرة قد شرد بها فيما توشك أن تحل به ويحل بها .  
إنها ذاهبة إلى بيت خالتها « زينب » فقد أنبأها زوج

خالتيها « أحمد بك » أنها ستنزل في بيتهم .  
وهي تحب « أحمد بك » فهو رجل طيب ودود حنون  
حلو الحديث ، لطيف المعشر ، وفي بضع المرات عندما  
زارهم في أسيوط أو زارتهم هي وأمها في دارهم في القاهرة  
كان يغمرها بالهدايا ويغرقها بالتدليل .

ولكنها مع ذلك كانت توجس خيفة من بيتهم ، ولم  
تسكن تشعر بارتياح كبير إلى استقرارها فيه .

كانت خالتيها « زينب » هي سبب هذه الخيفة . . فقد  
كانت دائمة العبوس ، شديدة التجمم . . متوترة الأعصاب ،  
لا تكف لحظة عن الشكوى واللوم والتأنيب والتقريع .  
لم تسكن الصغيرة تحبها . . فقد كانت تمنعها من اللعب  
واللهو ، وتؤنب أمها على تدليلها لها . . زاعمة أنها « ستتلغها »  
قائلة إنها لو كانت ابنتها لعرفت كيف تربيتها .

والآن ، وقد سنحت لها الفرصة . . فهي ستعرف كيف  
تفد وعيدها وتربيتها .

وثمة أمر آخر كان يزعج الصغيرة . . هو أنها لن تجد  
في البيت أطفالا تلهو معهم . . إنها ستكون وحيدة بين  
المرأة وزوجها . . أو على الأصح ستكون وحيدة بين  
رائث المرأة .

ولكن لماذا لا تذهب إلى بيت عمها ؟

إن عمها رجل طيب ، وزوجته امرأة رقيقة ، وهي  
تستطيع أن تلعب مع بنات عمها وأولاده .

كان يجب عليها أن تذهب إلى بيت عمها ، فهو خير  
بكثير من بيت خالتها . . . ولم لا تذهب ؟

ولكن قد لا يريد لها عمها ، فهي لا تذكر أنه قد زارهم  
كثيراً ، وما كانت والدتها تذكره إلا نادراً .

على أية حال لا فائدة من كل هذا . . فما كان أمامها مجال

للاختيار ، إنها لا تملك إلا الذهاب حيث يأمرونها .

وأخيراً توقفت بهما العربية أمام إحدى العمارات

الكائنة في أول مصر الجديدة ، وهبط الرجل ووراءه

الطفلة وتبعته صاعدة إلى الطابق الذي يسكنه .

ووقفاً بالباب برهة قبل أن تفتح الخادمة ، ولم تكن

خالتها قد استيقظت بعد . . فأمر « أحمد بك » الخادمة بأن

تغسل لها وجهها ، وتغير لها ملابسها ، وتهيئ لها إفطارها

ثم ترضعها على إحدى الأرائك لتستريح .

واستسلمت هي للخادمة ، ففعلت بها ما أمر به سيدها ،

وتناولت قطعة صغيرة من الجبن ، ثم اضطجعت على أريكة

في إحدى الحجرات وأغمضت عينيها .

وكانت تعلم أن خالتها مريضة ، وأن مرضها قد حال

دون ذهابها مع زوجها إلى أسبوط . على أية حال ما تظن

ذهابها كان مجدياً شيئاً .. لقد انتهى كل شيء .  
وشرد بها الذهن في أمها .  
أحقاً أنها لن تراها بعد الآن ؟ ! أمعقول هذا ؟  
أيمكن أن تتركها هكذا وحيدة ؟ لا . لا . إنها لا شك  
عائدة في القريب !  
إن التفكير في أنها لن تراها بعد الآن ، أمر متعذر ،  
بل مستحيل .  
إنها ستراها . . ستراها .  
وقطع عليها جبل تفكيرها صوت « أحمد بك » ،  
يناديه قائلاً :  
— تعالى . . خالك تريد أن تراك .  
وذهبت إليها . . وكانت ترقد في حجرة وثيرة الفراش  
فاخرة الرياش ، واقتربت منها حتى وقفت بجوارها هيّابة  
وجلة . ومدّت السيدة ذراعها فضمتها إليها وأغرقت وجهها  
بالدموع والقبل .  
كانت المرة الأولى ، والأخيرة . . التي تتلقى منها قبلاً ،  
وتبصر لها دمعاً .  
دقائق معدودات بدت فيها إنسانة ذات مشاعر رقيقة ،  
وذات قلب يخفق ، ونفس تحن .  
لقد هزتها الصدمة . . وأبكاهها منظر الطفلة اليتيمة .

الوحيدة في الحياة ، ولكن ليس لأكثر من بضع لحظات  
عادت بعدها إلى طبيعتها القاسية ، ومشاعرها المتحجرة ،  
ونفسها النائرة الحانقة .

وبدأت الطفلة حياتها الجديدة في بيت خالتها ، ولم تمر  
بضعة أيام حتى تبين أن ظنها قد صدق ، وأنها مقبلة على  
حياة جافة شاقة لا خير فيها .

حياة خلت من العواطف والتدليل ، واللهم واللعب .  
إن خالتها قد نوت . . أن تجرب فيها تربيتهما الجادة  
الصارمة . . أو هي — على وجه أدق — لن تملك لها أكثر  
من تلك التربية الجادة الحشنة . . فهي امرأة قد خلقت جافة  
بطبعها ، عبوساً متشائمة ، نفوراً مستوحشة . . وقد زادت  
ظروف حياتها تبرماً وضيقاً وجفافاً ، فهي لم تنجب بنين  
لزوج يحب البنين ويميل إلى البهجة والطرب ، والمجتمعات ،  
وهي شديدة القلق على نفسها دائماً الخوف من أن يفلت منها  
زوجها . . كثيرة الشكوك في الناس لا تفتأ تتوهم منهم  
التآمر عليها لنزع زوجها منها ، ولا تفتأ تتوقع في كل لحظة  
أن يعلنها زوجها أنه سيتزوج ثانية لينجب بنين .

وبهذا الرجل والشك والخوف والاضطراب زادت  
نفسها ضيقاً ونفوراً ، وزادت أعصابها توتراً ونفسها ثورة  
وانفعالا .

تلك هي نفسية المرأة التي وجدت الطفلة نفسها بين  
يراثها، وتحت رحمتها وسيطرتها.

وهوّن على الطفلة حلول موعد استئناف الدراسة  
وقضاء معظم وقتها خارج الدار بعيدة عن تأنيب المرأة  
وتقريعها، ولكنها مع ذلك كانت تجد في الفترة التي تقضيها  
في البيت ما هو كفيلاً بتعذيبها وإيلام نفسها.

ولم تكن الصغيرة تملك إلا الاستسلام التام.. لأنها  
لم تجسر على أن تعترض على شيء.

أجل.. لم تجسر على أن تعترض على مكان نومها..  
رغم أنه قد أوجد في نفسها رعباً شديداً.. لقد ضاقت  
الشقة على سعتها بالطفلة.. فلم تجد «خالتها» مكاناً ترقدها  
فيه سوى حجرة المائدة، فنصبت لها فراشاً بجوار الثلاجة  
الكهربائية، إذ كان المكان الوحيد الذي رأته خالياً  
في الشقة.

ولم تكن لتهم كثيراً بالموضع الذي ترقده فيه.. فأى  
مكان كان يرضيها، ولكنها هذا المكان بالذات كان مريعاً.  
لشد ما كان يخيفها ذلك الصوت الذي تحدثه الثلاجة بين  
آونة وأخرى.. لقد كان يصدر في صمت الليل وظلمته صوتاً  
أشبه «بالقر»، الصادر من جوف حيوان متوحش.  
كانت دائماً تتوهم وراء الصوت وحشاً جائماً فاغراً فاه

يوشك أن يطبق عليها بأسنانه وينشب فيها مخالبه ، ولم تكن  
تملك إلا أن تغطي بالملاءة وجهها ، وتنكش حتى تضع ذقتها  
في ركبتيها وأصابعها في أذنيها ، ولكنها مع ذلك لا تلبث  
حتى تسمع « القر » الخفيف خافتاً مبجوحاً وكأنها بالصوت -  
أو بالوحش - قد ابتعد قليلاً .

ومرّت بها الأيام والأشهر والسنون وهي محتمة في صبر  
فقد تعودت الجفوة والإهمال ، والتأنيب واللوم ، والحنق  
والغضب .. ولكن شيئاً جد عليها لم تكن قد تعودت به بعد ،  
وهو الضرب .

لو أنها كانت شريرة أو مخطئة .. لكانت تستطيع  
أن تحتل بسهولة كل ما يوجه إليها .. ولكنها وهي ترى  
نفسها تبذل كل جهد حتى لا تفعل ما يثير خالتها وحتى لا تنهم  
بالإهمال أو بالكسل .. ترى نفسها بعد ذلك في موضع  
المذنبه الدائمة .. التي لا تنفك تعتمد الإتلاف والفساد .

لقد عودت نفسها الصبر على الأذى ، واحتمل  
القسوة .. فلم تحاول الشكوى أو التبرّم .

كانت إذا حاولت العمل في البيت اتهمت بأنها تقصد  
العبث ، وكانت إذا لم تعمل اتهمت بأنها مكسالة مدللة .

وفي ذات يوم نهرتها خالتها على عمل فعلته فقالت لها بهدوء :  
- إنك أنت التي أمرتني أن أفعله .

فصرخت في وجهها حانقة :  
- أنت كذابة شريرة مفسدة .  
ولم تملك الصبية سوى الصمت . . وفي الليل آوت إلى  
فراشها وسكبت من عينيها دمعاً مدراراً .  
وبعد بضعة أيام أمرتها حالتها بأن تفعل ذلك العمل الذي  
أنبتها على عمله . . فدهشت الصبية وتملكها الحنق وأجابت :  
- إني لن أفعله . . لأنى كذابة شريرة مفسدة .  
ولم تمالك المرأة القاسية نفسها ، فرفعت يدها وهوت  
على وجه الصبية بصفعة أليمة ، ثم انهالت عليها باللطمات ،  
واندفعت في ثورتها فأمسكت بعضاً كانت فوق المنضدة  
وهوت بها على ظهرها .  
كانت وقتذاك في حوالى الثانية عشرة ، ووقفت صامدة  
للضرب فلم تقاوم ولم تفر ولم تبك . . بل تحملت الضرب  
حتى كلت يد المرأة وحتى تهاوت هي نفسها متشنجة باكية .  
كانت المرأة تجعل من الصبية مخرجاً لكل همومها ،  
ومتنفساً لغضبها على حياتها القلقة اليأسية .  
وفي الليل . . جلست الصبية في الفراش واجمة صامته  
لا يغمض لها جفن . . . كانت تحس بأوجاع شديدة  
في ظهرها ، ونهضت إلى المرأة وكشفت عن ظهرها فإذا به  
مليء بخطوط حمراء زرقاء متورمة ، وانهارت نفسها فازتمت

على فراشها باكية موجهة .  
وهكذا وجدت أن عليها أن تتحمل نوعاً جديداً من  
العذاب والألم لم تتعوده من قبل . . وهو الضرب .  
لقد باتت تتوقع من المرأة كل ضروب الأذى ، وكل  
أنواع الشرور ، ولم يكن يغريها إلا فترات عطف متباعدة كان  
يغمرها بها الرجل الطيب - زوج خالتها - بين آونة وأخرى .  
ولكن حتى فترات العطف هذه أخذت تقل رويداً  
رويداً . . فقد كانت تثير مشكلات بين الرجل وزوجته ،  
إذ كانت تدعى أنه يحاول بتدليله إفسادها .

وقد خيّل للصدية في بادئ الأمر - وهي تسمع  
المشاحنات بين الاثنين من أجلها - أن المرأة غيورة حقاً  
على تربيتها ، وأن كل هذه القسوة لا تقصد بها إلا مصلحتها ،  
حتى بدأت الأيام تتكشف عن أمر لم يكن يخطر لها ببال .  
لقد وضح لها . . أن المرأة تغار منها على زوجها .  
إي والله ! هذا هو ما تبينته فعلاً !

مجنونة ولا شك ، فما من مخلوقة عاقلة تغار من طفلة  
في الثانية عشرة على زوج يقرب من الخمسين ؟  
إنه أمر لا يصدق ، ومع ذلك فقد كان هو الواقع .  
لقد حدث ذات مرة أن أحضر لها هدية صغيرة فتقبلتها  
شاكراً ، ولكنه سألها ضاحكاً ، وهي تهم بالانصراف :

— أهكذا . . . شكر حاف . . . بلا قبلات ؟ !  
وضحكت الصبية ، وعادت إليه ، ثم أحاطت عنقه بيديها  
الصغيرتين ، وطبعت قبلة على خده ، فقبلها الرجل في حنان  
وقال ضاحكا :

— هكذا يكون الشكر . . . يجب أن يحصل الإنسان على  
ثمن الهدية .

وأقبلت المرأة على الصبية ، وهي تقبل زوجها ، وهو  
يرد عليها القبلة ، فتصاعد الدم إلى وجهها وصاحت حائقة :

— لم يكن ينقصك إلا هذا العيب ؟ !  
وأسرعت إليها فحذبتها من ذراعها في حقد ، واستمرت  
تقول في لهجتها الحارة :

— إنى أستطيع أن أحتمل كل سيئاتك ومفاسدك ،  
إلا هذا . . . يجب أن تفهمي أنى لن أسمح لك بأن تخزني  
بيتي . . . أتفهمين ما أقول ؟

وذملت الصبية . ولم تدر بهم تجيب ، ولا ماذا تقول . . .  
ولم تملك إلا أن تتراجع في ارتباع وتفرد من أمام المرأة  
الغادرة المتوحشة .

وصاح الرجل في دهش :

— ما هذا الذى تهرفين . . . أجننت ؟ !

وصرخت المرأة في وجهه :

- صه .. إني لن أسمح بهذا العبث في بيتي .. لن أسمح  
 بل هذه الشيطانة الصغيرة أن تسلبني زوجي !
- كفى عن هذا الجنون ، يجب أن تكوني أكثر  
 عقلاً ! إنها ليست ابنتي فحسب .. بل إنها حفيدتي .. إنها  
 ما زالت طفلة غريبة .
- طفلة ! إلى متى ستستمر طفلة ؟ ! .. إن صدرها قد  
 نبت وأضحت امرأة لها أنوثتها .. إني لست بلهاء .. إني أفهم  
 كل شيء تماماً !
- إنك لا تفهمين شيئاً مطلقاً !
- أنا أفهم كل شيء .. وإن لم تكف عن هذا الجدل  
 العقيم سأترك لك البيت .. إني لم أعد أحتمل .. إما أنا أو هي .
- أرجوك أن تهدئي ، وأن تخفضي صوتك .. هذا  
 كلام لا يمكن أن يصدر قط من عاقلة مثلك .
- عاقلة أو غير عاقلة .. إني لم أعد أحتمل ، أنا مجنونة  
 فإذا كنت تريدني مجنونة كما أنا ..
- لا داعي لسكوت هذا . إن الطفلة طيبة هادئة .
- لا تقل عنها طفلة .. إنها امرأة ماكرة .
- هي أنها كذلك ، ولكنها ابنة أختك اليتيمة !
- لقد احتملتها كثيراً ، وإني على استعداد لتربيتها ..  
 ولكنني لست على استعداد لأن أخرب بيتي من أجلها ..

ليكن هذا مقهوراً لديك .

— وماذا تريد من إذا ؟

— أن تغادر الدار .

— إلى أين ؟

— إلى مدرسة داخلية .

— وفي أثناء العطلة ؟

— تنزل في بيت عمها ، وأنا على استعداد لدفع كل

ما يلزمها من المصروفات .

كل هذا الحديث كان يبلغ مسامعها ويقع عليها وقع

المطارق ، وهي قابعة في فراشها ، دافئة وجهها بين ركبتيها .

ولم تستطع أن تفهم سر غضبها في بادئ الأمر ، إذ لم

يخطر لها ببال أنها يمكن أن تغار منها ، أو أنها قد بلغت من

الأنوثة ذلك المبلغ الخطر .

وأحست بالآلام تنهش قلبها ، وهي تصر على طردها

من المنزل ، ولكن لم يكدها ينتهي الحديث بإصرارها على أن

تذهب إلى المدرسة الداخلية ، وتعيش في بيت عمها ، حتى

أحست براحة كبرى .

وهكذا بدأت الصبية مرحلة جديدة من حياتها قد خلت

من المرارة والتعذيب .

وأقبلت على حياتها بأمل جديد ، وخيل إليها أنها قد

تخلصت نهائياً من منغصات الحياة ومتاعها وآلامها .  
ولكن هل تخلو حياة إنسان من منغصات وآلام ؟  
إن الصيية قد أصيبت بمزية كانت سبب مصابها في حياتها  
فحق عليها القول ( ويبتلى الله بعض القوم بالنعم ) .  
كان بالصيية ما يجذب الناس . كانت دائماً موضع إعجاب  
واستملاح . . ولا شك أن هذا ما أثار خالتها وزادها  
جنوناً على جنون ، فتوهمت في الصيية الصغيرة خصماً قوياً  
قادرأ على أن يسلبها زوجها .

فلما انتقلت إلى بيت عمها ، بدأت منغصاتها .. مما كانت  
تظنه سيكون مبعث سرورها وتسليتها .  
كان خير ما أسعدها عند ما تقرّر نقلها إلى بيت عمها ،  
هو أنها ستجد من ابنتي عمها اللتين تقاربانها سناً خير  
صديقتين تلهو وتمرح معهما ، ولكن لم يكدهم يمضي بها الزمن  
حتى وجدتهما أكبر سبب لشقاها ، منغص حياتها .

لقد أمضت الأيام الأولى وهي سعيدة هائلة ورحبت  
بها زوجة عمها وبقية أهل الدار كما يرحبون بضيف مؤقت  
المقام . . عاجل الرحيل . . ولكن لم تكدهم تنقضي الأيام  
الأولى ويتعودون إقامتها حتى بدأت تتكشف لها خصالمهم  
وأخذت المعاملة تتبدل .

لم يعد أحد يعبأ بها ، بل أضحت تلقى بروداً من الجميع ،

ولم يحزنها ذلك كثيراً فقد تعودت في ماضيها شرأ منه .  
وقالت لنفسها : تلك هي طبيعتهم ، وأنها لن تفترض  
منهم أن يولوها اهتماماً دائماً .

ولكن الأمر لم ينته عند هذا الحد ، فقد بدأت الفتاتان  
ابنتا عمها تتخذان منها موقف الخصومة ، وأضحى لسان حالها  
و أنا وإخويه على ابن عمي ، .

كانت الفتاتان دميمتين ، ولم يكن هناك سبيل للمقارنة  
بينها وبينهما .. في كل النواحي .. الظاهر والباطن .. الشكل  
والعقل ، وهكذا نشأت بينها وبين المخلوقتين - اللتين توقع  
منهما أن يكونا لها خير عزاء في حياتها الموحشة - هوة عميقة .  
لم يكن هناك وجه للتقارب والتصادق .. فقد كانت هي  
من طينة .. وكانتا من طينة أخرى . كانت حساسة مرهفة  
شاعرية ، وكانتا تافهتين ماديتين سطحيّتين .

ومع ذلك فقد بذلت جهدها لاستمالتها .. ولم تحاول  
أن ترد على فظاظتهما بغير الرقة .. وعلى غلظتهما بغير  
الأدب ، وكانت تجيب على نقدهما المرمد بحج عذب ، وقول  
رفيق مهذب .

ولم يكن لها أمل بعد ذلك في غير المدرسة الداخلية التي  
تقرر إدخالها فيها ، وقد سرها أن تكون مدرسة أخرى غير  
مدرسة الفتاتين ، فقد أصبحت زاهدة في عشرينهن ومرافقتهن .

وبدأت حياتها في المدرسة الداخلية فوجدت فيها كثيراً  
من عزاء ، وإن كانت الوحدة قد باتت تضئها .

لم تجد هناك من يسأل عنها ، حتى أيام العطلات حيث كان  
مفروضاً أن يحضروا لأخذها فيها كانوا يتركونها في المدرسة  
ولم تكن في الواقع راغبة في الخروج لأنها ستجد ما يفرحها ،  
ولكنها فقط كانت تخجل من أن تبدو أمام الفتيات أنها  
وحيدة ليس هناك من يهتم بها أو يسأل عنها .

وأخذت تعجب من هذه الحياة التي قست عليها في كل  
أطوارها ، ومن هؤلاء البشر الذين خذلوها بكل أنواعهم .  
كانت تجد المادية أمامها .. في كل مكان تحل به ، وكانت  
تبين الأناية في كل شخص تلقاه .

كل الناس مشغولون بأنفسهم .. كل يقول .. أنا ..  
أنا . ما من أحد قال لها .. أنت .. أنت .

خالنها المجنونة التي غارت منها وهي طفلة .. وزوجها  
الذي تخلى عنها خوفاً على بيته وأمنه وحياته .. وبنات عمها  
وبقية أقربائها .. ما من أحد قد أحس بها .. والصديقات  
في المدرسة .. تافهات .. ماذيات .. لا وجه قط للتقارب  
بينها وبينهن .. كل فتاة لا تقدم إلا على ما فيه نفعها ..  
ولا تبحث إلا عن مصلحتها .

وهؤلاء الفتية الذين صادقهم سواء أكانوا أصحاب أولاد

عمها أو أخوة صاحباتها ، والذين كانت تلهو بالرقص معهم  
في الحفلات التي تقيمها ابنتا عمها في الدار.. لقد كانوا أكثر  
تفاهة وسطحية وسخافة .. عجباً لهؤلاء الناس ! إنهم أشبه  
بالزبد الذائب جفاء .. لا عمق ولا جوهر ، ولا شيء قيم  
يرسب منهم في قرارة نفوسهم .

ومرت بها السنة تلو السنة ، وكلما زادت في النمو زادت  
نفسها حساسية وقلبيها لدهافاً ، وزاد مع هذا مبلغ شقائها ،  
وإحساسها بالفراغ والوحشة من حولها .

كيف يعيش هؤلاء الناس ، وهم أشبه بالقلب الفارغ  
أو الطبل الأجوف ؟

لشد ما تشقى بهم .. وبجياتها .. لو أن أمها ما زالت  
موجودة ، لما أحست بشيء من ذلك .

ولكن أترى الخطأ فيها .. أم في كل من حولها ؟ إن  
الخطأ لا شك فيها . فالمسألة قياسية ، ولو كان الناس كلهم  
مخطئين وهي على صواب ، فإنها تصبح بذلك هي المخطئة .  
إن العاقل بين المجانين .. مجنون بين عقلاء .

إن الشذوذ فيها .. إن الخطأ كامن في نفسها .. كان يجب  
أن تكون سطحية تافهة وتنطلق مع الركب لاهية عابثة  
راقصة .

أليس من الشذوذ أن تجلس في الليل لترقب النجوم .  
وتستمع لحفيف الأوراق وهديل الحمام؟ ! أليس من

الشذوذ أن تجلس لترقب  
الغروب، وتأمل حمر،  
الشفق تكسوهام  
الأشجار؟

إنها شاذة أن تفعل  
هذا وسط أناس يعدون  
في العربات وينغمرون  
وسط الأتربة ويضجوا  
بالصباح .

كان يجب أن تقلع  
عن تأملها وشاعريتها،  
وتندمج معهم وسط  
الضجيج والصخب  
ولكن أتراها تستطيع  
ذلك؟ لقد حاولت  
فباعت بالخيبة والخذلان  
لقد أجهدتها الضجيج  
والانطلاق وأتعبتها  
مشاركة صاحباتها



وأصحابها رقصهم ومجونهم ، فعادت ترقب النجوم والأشجار  
والشمس الغاربة والقمر المشرق في صمت بهيج وسكون ممتع .  
كانت تتوق وسط ذلك الهدوء إلى إنسان ينقصها . إنسان  
شاذ مثلها ، يشاركها شذوذها ، ويجلس معها ليرقب ما ترقب  
ويسمع إلى ما تسمع ، دون أن يسخر منها أو يهزأ بها .  
كانت تحس بحاجة إلى مخلوق غريب ، غير السائرين في  
القطيع ، المتشابهين في السخف ، المتماثلين في التفاهة .  
أترى يوجد في الحياة مثل هذا المخلوق الذي يماثلها في  
الشذوذ؟ أم أنها الوحيدة الشاذة في هذه الحياة ؟  
ومرّ بها الزمن وهي في وحدتها القلبية ووحشتها  
الذهنية تشارك أصحابها حفلاتهم الراقصة دون أن يشاركها  
في مشاعرها أو تفكيرها مخلوق ، حتى تملكها اليأس من  
العثور على شبيهها في الحياة .  
ونجاة ، وبعد طول يأس وانتظار وجدته .  
أجل ! وجدت نصفها الآخر .. زميلها في الحس المرهف  
والشاعرية الذائبة والشعور الرقيق .  
لقد رآته بضع مرات ، قبل أن تبين حقيقته .. رآته  
يرقبها من بعد فلم تجده ما يميزه عن سائر الناس .. لقد كان  
يرقبها كما يرقب سواها وكما يرقبها سواه .  
وحاول مرة أن يمدتها بطريقة صيدانية ، فصدته ..

كما صدت غيره من قبل .. ثم دفعته الظروف إلى الجلوس  
معها ذات مرة فتكشفت لها نفسه .

لقد تبين لها أنه كاتب ، وأهداها بعض كتبه ، فاستشفت  
من كتابته .. عمق نفسيته وشاعريته .. واندفعت في القراءة  
له بشغف .

وما من شك هناك في أنها كانت مخلوقة سيئة الحظ ..  
قد نقش لها القدر في لوحه بالخط العميق العريض كلتي :  
« شقاء وفشل » .

وسط هذا الخضم المتلاطم من البشر التافهين الماديين  
الآنانيين ، وفي هذا الفراغ العريض من الوحشة والوحدة  
يلوح لها .. المخلوق الفرد ، الذي طال بها التلهف عليه والذي  
نادته في كل ترقب لها للنجوم ، وسمعت صوته في تغريد كل  
طير هادل .. وورقاء هتوف .. ذلك المخلوق الذي أبصرته  
بعين الوهم في كل شفق منمق ، أو زهرة موشاة ، والذي  
أحسنت بأنفاسه في كل هبة نسيم ونفحة طيب .

ذلك المخلوق التوهم الصنو من بين كل هذا القطيع  
الغريب المنطلق الذي لا يمت لها بصلة ولا شبه .. يلوح لها  
أخيراً .

فاذا به .. من بين البشر جميعاً .. محرّم عليها .

# أما من نظرة



لربنا من يفتون . . . ليقين له زه  
 ؟ قد لك قداه رالحا الياجوع  
 ثلبلعه انه راقيا في لمر . . . ان انه آريضا طلك نلا له أ  
 في كالة ليه هيج منض لا له في تبه له انفة ، ثابته أبال  
 ؟ يا ايها طلكه مايا ، ثليلك هو في مايا . . . لا . . . لا . . . لا  
 . . . آسيع في شفقتا  
 . . . ما رانه في رانه ، ما كالأمر في رانه لا

١٢

بنا الياجوع يا ليا . . . عسقا رال له ريمه هيتا تنالا بقا  
 في شفقتا منض في شفقتا ليه في الياجوع ليا  
 . . . آالفاء في شفقتا ليه في شفقتا ليا  
 ملو ، في شفقتا ليه في شفقتا ليا  
 ليا في شفقتا ليه في شفقتا ليا . . . شفقتا ليا  
 ليا في شفقتا ليه في شفقتا ليا



لله في شفقتا ليه في شفقتا ليا  
 في شفقتا ليه في شفقتا ليا  
 في شفقتا ليه في شفقتا ليا . . . شفقتا ليا

يا للسخرية !  
أما كان أولى بالقدر أن يعده  
عن طريقها . . . ويخفيه عن عينها



ويجعلها تظل هائمة شاردة ؟  
أما كان ذلك خيراً من أن يلوح لها به ليقول هذا مطلبك  
وتلك أميتك ، فإذا ما مدت يدها لأخذه سحبه منها قائلاً في  
سخرية . . . لا . . . لا . . . إنه محرّم عليك ، إنه ملك لغيرك ؟  
لقد شغفت به حباً . . . شغفت به هو ، وليس بكتبه ،  
كما ظن في بادئ الأمر ، وكما كتب في مذكراته .

لقد كانت كتبه معبرها إلى نفسه . . . إنها لم تحب الكتب  
لذاتها ولكن لأنها عرفتها بنفسيتها وبقلبه وبذهنه وبشخصيته  
العميقة التي تفيض حباً وسكينة وإيماناً .  
لقد كانت تبصره في كل كلمة وبين كل سطر ، ووراء  
كل صفحة . . . كانت تقرأ كتابته وهو في ذهنها . . . ما قرأتها  
قط كما يقرأ كل إنسان أي كتاب ، بل كانت تقرؤها كأنها  
تستمع إليه ، وكأنها تراه يتحرك فيها  
ولسكنها مع ذلك لم تملك إلا أن تقول إنها معجبة بكتابته  
وأنها تحب كتبه . . . فقد كان ذلك هو الشيء المباح الذي  
تستطيع أن تقوله له بلا حرج . . . بل كان الشيء الذي

استطيع أن تعزى به نفسها عنه .  
أجل .. لقد عرفت منذ اللحظة الأولى أنه زوج ، ولم  
يكن في وسعها إلا أن تصد نفسها عنه .. وأن ترغم قلبها على  
اليأس منه فهو كفرد ملك مخلوقة سبقتها إلى امتلاكه . إنه  
بشخصه .. شيء خاص ، وليس ملكاً مشاعاً .  
أما بكتبه ، وبوصفه مؤلفاً ، فقد كان ملكاً مشاعاً ..  
يشارك فيه آلاف القراء والقارئات المعجبين والمعجبات ..  
وما أظن أن هناك ما كان يمنعها أو يحرم عليها مشاركة هذه  
الآلاف في تقديره والإعجاب به .  
وشغعت بهذا ، أو على الأصح لم يكن لها مفر من القناعة  
بهذا .. فقد كان شيء .. خير من لا شيء ، ولا أظن المهجر  
الصادى الذى يتلف على غدیر يروى ظمأه ، برفض ورود  
الغدیر .. عندما يقال له إن الغدير يشاركه فيه بقية البشر .  
ولا أظن المرتجف المقرور برفض طلوع الشمس إذا  
عرف أنها ستطلع لتدفئه وغيره من المخلوقات .  
كذلك كانت محاولاتها في إقناع نفسها ، لقد قالت إنها  
طالما تافت إلى أن تمجد إنساناً يشبهها في الشذوذ والشاعرية  
والإرهاق ، أفلا تحمد الله على أنها قد وجدته ؟ وعلى أنه  
يستطيع أن يغمرها بشاعريته وإرهاقه وحساسيته كما يغمر  
غيرها من الناس ؟

أم أنه لا يقنعها إلا أن تمتلك شخصه ؟  
لا .. لا .. حمداً لله أن عثرت عليه ، وحمداً لله أنها  
تستطيع أن تمتع نفسها به ، وأن تذهب وحشتها بكتابته .  
هكذا أقنعت نفسها ، وأدخلت الطمأنينة إلى قلبها .  
ولكن القدر الساخر ، لم يرد أن يتركها في قناعتها ، بل  
أبى إلا التدخل حتى يتم سخريته إلى النهاية .  
وأية سخرية هناك أكثر من أن يجعل — هذا المخلوق  
العجيب — أمنيتها وأملها بعد طول تمن وهيمان !؟ أية سخرية  
أكثر من أن يجعل هذا المخلوق الذي قنعت بأن تشارك فيه  
آلاف المعجبين به .. يحبها هي ، من دون سائر البشر ؟  
إنها مسألة عجيبة !

لم تحاول أن تصدقها في بادئ الأمر ولم تجترى على  
أن تقنع بها نفسها فقد ظنته يتسلى بها ، ولكنها بدأت  
تشاهد الدلائل الواضحة على أنه يحبها مخلصاً صادقاً .  
ولم يكن هناك بعد هذا سبيل للمقاومة .  
إنها حاولت أن تقاوم .. ولكن ماذا تقاوم ؟ وكيف  
تقاوم ؟  
أتقاوم الحنان المتدفق والحب الجارف الفياض .. بعد  
أعوام قحط مرت بها منذ وفاة أمها كانت فيها محرومة من  
كل عطف وحنان ؟

أقاوم أشواق من طال بها الشوق إليه؟!  
أقاوم لهفة من باتت تذوب لهفة عليه؟!  
أقاوم هوى من تفتدى بالدنيا هواه؟  
أقاوم الهبة التي أضحت لا تحتاج في الحياة سواها  
ولا تطلب غيرها؟!  
أقاوم الحياة التي دبت فيها، والروح التي سرت إليها؟  
أجل.. لقد كان هو الروح، وكان الحياة، وكانت من  
قبله، جسداً بلا روح ولا حياة.  
أبعد كل هذا يمكن أن تقاوم؟  
أترفض الماء وهي ظمأى؟ والزاد وهي مسغبة؟  
والكساء وهي مقرورة؟ والملجأ وهي ضالة شاردة؟  
عبث! عبث!  
ما من إنسان يستطيع أن يقاوم فيض السعادة إذا  
ما غمره! ما من وسيلة هناك إلى المقاومة!  
نحن أمام السعادة والنعيم لا نملك سوى الاستسلام  
بلا تفكير في عاقبة أو خشية من نتيجة.  
وهكذا لم يكن أمامها من سبيل إلا الرضوخ والتسليم.  
ليكن كيف يكون، زوجاً أو غير زوج، ملكها أو  
ملك غيرها.. إنه أمنيتها وأقصى أملمها، وإنه يعطيها ذوب  
نفسه وعصارة قلبه، وهي أشمن ما تريد وأعز ما تبغى.

واندفعت في حبه ، اندفاعاً لا يتصوره عقل ، حتى عقلها  
هي ، أو عقله هو ، لقد احتل ذهنها وقلبيها ، بل لقد احتل  
كيانها وروحها ، احتل كل ذرة في هيكلها وفي كل نقطة في دمها .  
لم يكن ما أصابها حب .. أيداً .. أبدأ !

إن الحب شيء يمكن وصف أعراضه ، ويمكن حصر  
مظاهره ، أما ما أصابها فكان شيئاً لا يوصف ولا يحصر  
ولا يدرك كنهه ولا تفهم خفاياه .

أهو عبادة؟ !

أبدأ .. إنه فوق العبادة .. فهو قد عليها العبادة ..  
عبادة الله .

هذا ليس كفرأ ، بل هو الواقع ، ولولاه ما عرفت الله  
ولا الدين ولا العبادة .

كانت تجلس معه ذات مرة وقد وضعت رأسها على  
صدره وأحست بسكينة عجيبة وأخذ هو يتحدث إليها فأنبأها  
أنه رآها في حلم في الليلة الماضية وقد ارتدت ثوب عرس  
وأخذت أهبتها للزفاف ، فأصابه حزن شديد وسأل ممن  
ستزوج فقيل له فلان .. فتساءل في دهش واستنكار :  
كيف تزوجه؟! إنها مسلمة وهو مسيحي؟

وضحكت عندما سمعت ما رواه وقالت له في رفق :

— إني آسفة ، لأنني أزعجتك في أحلامك

ولم يمر حديثه عليها بسهولة . . بل استقر في أذنها قوله  
إنها مسلمة .

أحقاً هي مسلمة ؟ لقد مرّت بها الحياة وهي لا تعرف  
إن كانت مسلمة أم غير مسلمة ! إن أحداً لم يحاول أن يلقنها  
ديناً ، ولا رأت هي أحداً يصلي أو يعبد الله . . إنها لم يخطر  
لها ببال قط أنها مسلمة ، وما عرفت عن الإسلام شيئاً .

ولكنه يقول إنها مسلمة . . إنه يؤكد أنها مسلمة ،  
ويرتاع لأنها تزوجت في الحلم مسيحياً . . إنه إذا يحبها أن  
تكون مسلمة . . .

ولأول مرة في حياتها تحس برغبة في الدين ، ولهفة على  
أن تكون كما تصوّرها وكما يود أن تكون . . مسلمة .

لقد كانت من قبل تحس بالله كقوة مطلقة يلجأ إليها  
الإنسان إذا أصابه ضرر أو مسه سوء ، ولكنها لم تحاول أن  
تهتم بأية تفاصيل أكثر من ذلك . . لم تعرف الصلاة إلا بقلبيها  
ونظراتها إلى السماء . . أما الركوع والسجود والتحيات فلم  
تعلم عنها شيئاً ، ولا عرفت شيئاً عن محمد ورسالته ولا عن  
القرآن والحديث .

أما بعد أن قال لها إنها مسلمة ، فقد أحست بحنين إلى  
الذين الذي ينتمى هو إليه والرسول الذي يؤمن به . .  
إنها أحست بسعادة تغمرها لأنها مسلمة مثله . . إنها أضحت

تقدّس محمداً ودين محمد .

إنها أجت الإسلام لأنها يتشاركان في التبعية له  
والإيمان به .

أيسكون ما بها بعد كل هذا .. مجرد حب ؟  
لا .. لا .. إنه شيء .. فوق الحب ، وفوق العبادة ..  
شيء لم يوجد له اسم في قواميس المشاعر بعد .  
واندفعت في تيار مشاعرها .. أشبه بالمسحورة .. أو  
بالسكرى .. كانت تفتيق بين لحظة وأخرى .. فيذهلها  
أمرها ، ويثقل عليها ضميرها فتجد أنها سارقة ، وأنها مذنبه  
خاطئة ، وتندفع في بكاء أليم ، ولكنها لا تكاد تهدأ ..  
حتى يعاودها الحنين إليه ، وتود لو قضت العمر بين يديه .  
وكانت تقاسى من مرارة الغير .. الغيرة من الأوهام  
والحقائق .. الغيرة من أبطال كتابته ومن زوجته .. كانت  
تشعر أن كل هؤلاء يشاركونها في ملكيتها له .. أو هم يملكونه  
دونها .

وبين كل هذه المعامع من المشاعر والانفعالات ..  
كانت تخرج مثقلة بالسعادة .. كانت النتيجة النهائية .. ربّما  
من الهناء .. لا يقدر ولا يقاس .

لقد دفعها حبها الجنوني إلى أقصى قمم النعيم .  
ومرّت بها حينذاك أسعد أيام حياتها ، وكانت أشبه

بالمغامرة التي تندفع وراء هدفها مغمضة عينيها عن كل ما حولها  
من أخطار .

كانت تحس أن فرصة السعادة لا تسنح كثيراً في هذه  
الحياة ، وأنها إن سنحت فمن الحق ألا تغتنمها ، وكانت واثقة  
أن هذه هي فرصتها في الحياة . . قد تكون فرصة مبكرة ،  
وقد تكون غير خالصة ولا دائمة ، ولكنها مع ذلك فرصتها  
الوحيدة . . فلتقدم عليها وليكن ما يكون .

وهكذا أسكتت عقلها وأغمضت عينيها وتركت لقلبيها  
العنان . . يرتع في أخصب مرعى وينهل من أعذب مورد .  
أغمضت عينيها فلم تبصر التغامز حولها ، وأصمت أذنيها  
فلم تسمع الهمسات . . حتى هبت من سكرتها بجأة . . فاذا  
بالهمس قد أضحي طينياً ، والتغامز أضحي قولاً صريحاً .

بدأ الأمر بسخرية من ابنتي عمها وكلام أجوف لا يعنى  
شيئاً ولكن يشتم منه رائحة خطر .

قالت لها إحداهما :

— لقد كثرت غطساتك أخيراً . . أين تذهبين ؟

— أفضى الوقت مع صاحبتى فاطمة .

وصاحت بها الأخرى شامتة :

— كذابة . . في كل مرة كنت تخرجين . . كانت فاطمة

تسأل عنك .

— ربما أكون قد تأخرت لذهابي إلى إحدى المكتبات.

— أنت كاذبة .. إنى أعرفك أين كنت .

— ماذا تقصدين ؟

— أنت أدري بما أقصد .

ومرة أخرى سألتها إحداهما :

— إننا سنذهب إلى « بارقي » .. ألا تأتين معنا ؟ .

سنستمتع بوقت لطيف وحفلة راقصة .

ولم يمكن أكره عليها من حفلاتهم الراقصة الصاخبة .

فقد كانت تشعرها بالفارق الكبير بين غنائهم وعلو قيمته

وتفاهتهم وعمقه .

فأجابتها :

— إنى أحس صداعاً ، ولن أستطيع الذهاب معكم .

— أنا أعرف من سيزيل صداعك .. أعرفه جيداً .

وتدخلت الأخرى قائلة في سخرية :

— إنك تضرين في العالى .. فقبك على شونة .

وأخست بالغضب يفعم صدرها وتمنت لو رفعت كفها

وهوت به على صدغها وأسكتها .. ولكنها لم تملك سوى

التمسك بالصبر .

وعادت الثانية تقول :

— ماذا تريدن منه ؟ إنه كبير عليك .. وهو مزوج ؟

ولا شك أنه يضحك عليك .

رصاصت هي في حق :

- من هذا الذي يضحك عليّ ؟

- على أية حال . . . إني أنصحك لوجه الله . أوكد لك

أنه لو عرف عمك بما تفعلين لكانت النتيجة وبالا عليك .

وأحست بالأرض تبيد تحت قدميها . . . واشتتت أن

الخطر مقبل لا ريب فيه . . . وقضت ليلة سوداء مليئة

بالوساوس والهموم والآلام .

وعادت إلى المدرسة حزينة النفس ، كسيرة القلب . . .

لقد أيقظها ناقوس الخطر من غفوتها ، فأبصرت حقيقة

ما هي منغمرة فيه ، وأبصرت الأفق أمامها مظلماً لا بارقة فيه

ولا هداية .

إن النهاية تو شك أن تحل . . . فما من شيء بلا نهاية ،

ونهاية المتعة لا بد أن تكون الماء .

إن الخطر لن يحيق بها وحدها . . . بل سيشمله أيضاً . . .

وما روعها شيء مثل تصور مضايقته أو جرحه أو إيلامه .

إن الناس لا شك يتقوّلون عليه كما يتقوّلون عليها .

وهكذا أفعمت بالخوف والقلق ، وكان أكثر ما يزعمها

هو تصوّر ماذا يمكن أن يقول عمها لو بلغه الأمر ؟ وماذا

يمكن أن تقول خالتها القاسية ؟ إنها لا شك ستشتت فيها

وتقول لمن حولها إنها كانت محقة في سوء ظنها بها ، وإنها لو لم تخرجها من بيتها لاقتنصت منها زوجها .

وبين هذه الوسوس والأحزان والحيرة والقلق ، كانت تلتف على لقائه .. ولكنها باتت تخشى هذا اللقاء وتتوجس منه خيفة على نفسها وعليه .

وأضحى اللقاء متعذراً بعد أن أخذت الفتاتان الخبيثتان تضيقان عليها الخناق وتلازمانها في كل ذهاب لها وإياب . وكما قال هو في مذكراته « إن سوء الحظ إذا ما دس بأفنه لا يخرج حتى يتلف كل شيء » .

لقد بدأ بينهما سوء تفاهم لم تقصده هي قط .. لقد نتج عن القصة التي أثارته والتي لم تكن تعنى هي بها أي شيء . واستمر سوء الحظ يكيل ضرباته دون أن يمكنهما من تفاهم أو تسوية ، حتى انتهى الأمر بالضربة القاضية التي قضت على كل شيء .

إنه يتساءل في مذكراته عن سر هجرها له ويقول « إنها جعلته يفقد ثقته بالبشر والحياة » . ويتساءل : « كيف كانت تحبه هذا الحب العجيب ثم أقدمت على نسيانه بهذه السرعة؟ » ولكنه لو علم لعادت إليه ثقته بكل شيء .. ولا يقن أنها ما زالت تحبه كما كانت بل أكثر مما كانت .

ولكن ما الفائدة في أن يعلم .. وأية قوة هناك كانت

تستطيع أن تسوي الأمور وتعيدها إلى نصابها؟ . لم تكن  
هناك وسيلة للتصرف في المسألة إلا كما تصرفت . . . كانت  
المسألة كلها يأساً في يأس .

بدأ الأمر بأن عادت إلى البيت في يوم ما ، فوجدت  
خالتها وزوجها ، وقد جلس الجميع يتسامرون ، ودار  
الحديث طبعياً ، حتى فوجئت بقول عمها :

— لقد جاءك خطيب اليوم .

وتلفتت حولها إذ لم يخطر ببالها أن القول موجه لها .  
ولكنه عاد يكرر قوله :

— أقول إنه جاءك خطيب اليوم . . مبروك .

وتساءلت في دهش :

— أنا؟ خطيب لي أنا؟

— أجل أنت . . وما الغرابة في ذلك؟ لقد اكتملت

أنوثتك ونمت وأصبحت فتاة جميلة تستحق الزواج .

وتملكها الاضطراب ، وقالت منلعشة :

— ولكنني لم أتم دراستي بعد؟

— الدراسة لا تهم كثيراً . . إن أمل كل فتاة هو

الزواج من رجل يصلح لها .

وأحست من قوله بصدمة شديدة . . وألم مرير . .

دفعها إلى الرغبة في التيء لولا أن تمالكت نفسها .

كان الزواج هو آخر ما ترجو وتتوقع .. كانت تعرف  
أنه شيء لا بد منه ، ولكنها كانت تراه بعيداً .  
كانت تراه كالموت .. أمراً واقعاً .. ولكنه مكروه  
ومستبعد .

إلى هذا الحد كانت تكرهه ، بل كانت ترجف منه  
وتخشاه . وكيف لا ونتأججه والموت سواء .

إن الموت يحرم الإنسان حياته ، ويأخذ منه روحه .

والزواج سيحرمها حياتها ويأخذ منها روحها .

أفلا يحق لها أن تكرهه وتستبعد وقوعه ؟ أفلا يحق  
لها أن تصدم ، وهي ترى عمها يتحدث عنه كأمر واجب ..  
لا بد منه !

ويحجم ! . ألا يتركونها بضع سنوات ؟ . إنها مازالت في  
السادسة عشرة ، وما زالت أمامها فسحة من الوقت كبيرة .  
ولكنها كانت تدرك أنهم يتوقون كلهم إلى زواجها ..  
والتخلص منها في أقرب وقت .

كانت خالتها تريد أن تتخلص من عبء مصروفاتها ..  
وكان عمها وزوجته يجدان فيها عقبة كأداء في سبيل زواج  
ابنتيهما ، وكان لا بد من التخلص منها وإزالتها من طريقهما ،  
حتى تستطيعا الزواج ، وحتى لا تظهر دمايتهما واضحة  
جليّة بالمقارنة بها .

وهكذا أخذ الكل يرمقونها ، كأنها فريسة بين الذئاب .  
ولم تستغرق أفكارها كثيراً .. حتى عاد يقرع أذنها صوت  
عنها قائلاً :

— إنه خطيب محترم .. موظف في السلك السياسي ..  
ومن عائلة طيبة ، كريم المنبت ، عريق الأصل .  
وكانت تعلم أن الواقعة لا محالة واقعة .. ولكنها أرادت  
أن تبذل محاولة يائسة .. فتمتعت في صوت خفيض :  
— إن الوقت ما زال مبكراً .. وأنا أريد أن أتم  
الدراسة .

وتدخلت خالتها في صوت ناهر :  
— أي وقت هذا الذي ما زال مبكراً ؟! إنك أضحيت  
امرأة .. والعريسان لا يصادفهم الإنسان في كل وقت ! ثم  
إنك لا بد أن تتحملي عبئك في الحياة ! .. إلى متى ستظلين  
طفلة ؟ . إنك لم تعودي في حاجة إلى المدارس .  
ولم يكن هناك بعد هذا مجالاً لقول شيء .. لم يكن هناك  
وسيلة خير من الصمت والتسليم !

ولم تحاول بالطبع المناقشة أو السؤال أو الاستفسار ..  
لأنه لم تكن هناك فائدة .. ولأنه لم يكن يهتما أمر الخطيب  
كثيراً أو قليلاً .. لقد كان كالقضاء .. واقفاً .. واقفاً ..  
لا وسيلة هناك لدفعه .. وعند ما يلقى الإنسان الموت لا يهمه

كثيراً أن يناقش في كفيته أو صورته .. فالموت هو الموت  
مهما تعددت صورته ، وتباينت وسائله .  
وعاد عمها يقول :

— إنه يقول إنه قد رآك في إحدى الحفلات ، وقد  
أعجب بك كثيراً ، وسيحضر اليوم لتناول الشاي معنا ..  
فكوني على استعداد لاستقباله في السادسة .  
هذه الأقدار لا شك مجبونة .. أم ترى الإنسان هو  
المجنون ؟

مثل هذا الخبر كان ولا شك يسعد أية فتاة .. خطيب  
محترم في السلك السياسي .

ولقد كان خليقاً أيضاً — على الأقل — بالأىزعجها  
كل هذا الإزعاج .. فقد كانت تعلم جيداً أنه لا أمل لها في  
المخلوق الذى اختارته ليحتل قلبها من بين جميع البشر ..  
فهو نفسه متزوج .. ومتعلق بزوجه كزوجة ، وما حاول  
قط أن يهبها أى أمل فى زواج ، وهى تحترمه وتجله من أجل  
ذلك .. فقد كان دائماً صريحاً معها فى شرح مشاعره إلى  
أبعد حدود الصراحة .

وهى نفسها لم تحاول حتى فى أفكارها أن تضع نفسها  
منه موضع الزوجة .. لأنها كانت تفهمه جيداً ، وتعرف  
أن قيمتها الكبرى عنده هى كحيية .. وأنها لا صلة لها

قط بالزوجة .. بل إنها قد تتعارض منها أشد تعارض ..  
فقد قال لها إن الحبيبة شيء والزوجة شيء آخر ، ولا يمكن  
للحبيبة أن تكون زوجة ، ولا للزوجة أن تكون حبيبة .  
مع كل هذا اليأس منه .. كانت تحس من خطبتها بصدمة  
كبيرة .

وحلت السادسة .. ولم تكلف نفسها مشقة التزين ..  
ولم تقف أمام المرأة لتفحص نفسها جيداً .. كما كانت تفعل  
قبل أن تذهب للقاء الآخر .. فقد كانت تبدو لها المسألة  
كأنها لا تعنيها في قليل ولا كثير .

وأتى الخطيب وجلس مع الأهل لتناول الشاي ، وكان  
ذهنها شديد الشرود ، فلم تأبه كثيراً لما حو لها ، وإن كان  
شرودها لم يمنعها من أن تاقى بضع نظرات فاحصة على ذلك  
الرجل الذي دفعه القدر إليها لتشاركه حياته .

كان إنساناً عادياً كبقية خلق الله .. وكان يربو على  
الثلاثين .. بين الثلاثين والخامسة والثلاثين ، يكاد يبلغ سن  
صاحبها .. وقد يكون في حقيقته أصغر منه قليلاً ، ولكنه  
في مظهره يبدو أكبر كثيراً .. كان على شيء من البدانة ..  
أكثر قليلاً .. وكان منظره بطربوشه مقبول بعض الشيء  
ولكنه لم يكده يخلعه حتى أضاعت صلته ما بمنظره من قبول .  
وأي ذهنها إلا أن يصنع صاحبها مكانه .. وتخيلت

اندر قد كرم معها .. فبدل كل ما حولها من ظروف ..  
وساقه إليها لخطوبتها بدل هذا الغريب الجالس قبلتها ..  
وأبصرته بعين الوهم .. بضحكته المرححة ، وأسنانة المتلاثلة ،  
وعينيه الصافيتين ، وشعره الذي لم يكن يمتعها شيء أكثر  
من أن تعبت فيه بأصابعها وتتركه ناثراً فوق رأسه .

وأبصرت جسده الفارع الممشوق ، وكتفيه العريضتين  
وقد جلس واضعاً ساقاً على ساق في ثقة وكبرياء .

وعادها الشوق واستبد بها الحنين .. وساءلت نفسها :  
أيمكن أن تكون حقاً قد حرمت منه إلى الأبد؟ أيمكن أن  
يقف هذا الشخص الغريب حائلاً بينه وبينها؟ أمعقول أن  
يكون لهذا الدخيل من الحقوق عليها .. ما يجرّم عليها لقاءه؟  
سخف وحمق ! من الذي يستطيع أن يجرّمها من نفسها؟  
إن صاحبها أقرب إليها من نفسها .. إن له الحق في كل قطعة  
من جسدها .. إنها ملكه وحده .. لا شريك له فيها .. إنها  
لا تحس بينه وبينها أي فارق أو كلفة .. إنه ناقد إلى قرارة  
نفسها .. مسيطر على كل جارحة فيها .

إنها لم تكن تجد أي حرج عند ما تتصور أن يضمهما  
فراش واحد ، بل كانت تلك أمنية طالما نأقت إليها نفسها ،  
وهي تقلب على فراشها وحيدة .

أما هذا الشخص الغريب .. فهي تعجب لنفسها كيف

يمكن أن تسمح له أن يضع فمه على فمها . . . ويقرب أنفاسه  
من أنفاسها .

ولكن هذا هو ما ستجبر عليه ، ليس أمامها مفر منه .  
إن أسعد أيام حياتها قد شارفت النهاية . . . وليس أمامها  
إلا أن تعد نفسها لاستقبال سود الأيام وحالكات الليالي .  
ليس أمامها إلا الاستسلام الأليم والصبر المرير . . . إنها  
لم تعد تملك من وسائل العزاء . . . سوى التفكير واستعادة  
ما باشرته بالأمس حقائق ورددته اليوم ذكريات .  
أجل ! أجل ! حمداً لله . . . أن ترك للإنسان أحلاماً  
وذكريات .

وانتهى القوم من تناول الشاي . . . دون أن تسمع كلمة  
من أحاديثهم أو تعي شيئاً من أقوالهم .  
كانوا في واد ، وكانت في واد آخر . . . كان جسدها معهم  
وروحها بين أحضان صاحبها .

وأخيراً انصرف الخطيب ، واستطاعت هي أن تعود  
إلى غرفتها وأن تخلو بنفسها .  
وفوق الفراش وضعت رأسها بين كفيها . . . وانهمرت  
دموعها كالسيل . . . إنها لم تعد تملك إلا الدموع .  
ما أحقرها ! علام الحزن والبكاء ؟

أتبكي على حب يائس لا أمل فيه ؟ أم تحزن لمصير

مقرر معروف لا شك فيه؟

يجب أن تتجلد وتناسك ، وتجتاز المحنة .

إن الظروف لا شك ستساعدنا على ذلك ، فحالة سوء

التفاهم ما زالت قائمة الآن بينها وبينه ، لقد حدثها آخر مرة

في التليفون غاضباً حائماً عندما قالت له إنها لن تستطيع مقابلتها

لأنها لم تعد حرة في تصرفاتها ، فقال لها إنه لا يريد أن يراها

لشد ما أجزنها قوله .. فقد كان يجب عليه أن يفهم ..

وأن يقدر ، ولكنه كان ثائراً مهتاجاً .. لقد قال لها إنها

عودته الإفراط في المشاعر ، وجعلته كالطفل المدلل ..

ورجاها ألا تقتصد في مشاعرها حتى تنتهي فترة حنقه وقلقه

الناجمة عن القصة التي كتبها .

لعنة الله على تلك القصة .. وعلى الساعة التي كتبها فيها

لشد ما أثارت وساوسه وهمومه بلا أدنى سبب ولا مبرر .

ولعنة الله على الظروف السيئة المزعجة ، التي أبت إلا

أن تحرم عليها أن تهبه من مشاعرها ما تعودت أن تهبه ..

أر كانت تتلف على أن تهبه .

أهناك أمتع عندها من أن تهمس في أذنه بمناجياتها

وتدليلها وحبها؟

ولكن كيف تلقاه ، وقد أمسكوا بتلابيبها وضيقوا

عليها الخناق؟

تم .. ما الفائدة في أن تلقاه أو تناجيه أو تدله ، والأمر  
بينهما قد وصل ، أو يوشك أن يصل ، إلى نهايته .

لا .. لا .. لا فائدة من اللقاء .. لا فائدة من التراجع ،

إن خير ما فعله هو أن تسير في طريق القطيعة التي بدأها هو .

أجل .. يجب أن تكره نفسها عليها ، يجب أن تحمل .

إن المسألة لن تحتاج إلا لجلد وتماسك بضعة أيام ،

وبعدها ستتجدد وتماسك مكرهه لا بظلة .

وهكذا عزمت على القطيعة وأرسلت إليه خطاب

الوداع الذي نشره في مذكراته بعد أن استقر رأيها على أن

تقنع منه .. بكتبه ، وأن تعود إلى موقفها السابق .. قارئه

بين آلاف القراء .

ورد عليها بخطاب وداع أيضاً ، أبكاها ليلة كاملة . لقد

أحست بالآلم يحز في نفسها وهي تراه يتألم .

ولكن لم يكن هناك سبيل إلى التراجع .. إن الألم

واقع لا محالة ، والفرقة آتية لا ريب فيها .

فليقع الألم ، ولتأت الفرقة .. ولينته كل شيء .

لقد قال لها : إن كل شيء إلى الزوال مآله ، حتى الحزن .

ولكن .. أجباً سينتهي الحزن ؟ إن في صدرها أكداً

من الحزن . لن يقدر الزمن على تبديدها .. ولن تجسر

كف النسيان على إزالتها .. شيء واحد هو الذي سيمحوها ،

وهو الموت .. الذى ستركها بلا شعور ولا حساسية .  
وهكذا انتهى كل ما بينهما .. من حيث الشكل ، ومن  
حيث الظواهر .. أما ما فى القلب .. فقد كانت جذوره أعمق  
من أن تقتلع .. إلا إذا اقتلع القلب نفسه .  
وساعدتها الظروف إلى حد .. على الاحتمال .. ففقدت  
تمت الخطبة بسرعة ، وكان الكل متعجلين متلهفين على إنهاء  
كل شيء ، فقد كان الخطيب أو الزوج يريد أن ينهى كل  
الإجراءات قبل سفره إلى مقر عمله فى إحدى الأقطار  
الشقيقة حيث عين ملحقاً بالمفوضية المصرية هناك .. وكان  
يرغب فى أن يتم الزواج ويصطحبها معه فى سفره .. ولم يكن  
الأهل أقل منه لطفة فى إتمام الزواج .. للتخلص منها .  
وفى بضعة أيام ، كان كل شيء قد انتهى ، وهى مشدوها  
مأخوذة .. تباشر أعمالها فى شروء .. كأنها تشاهد رواية أو  
تقرأ قصة .. وفى النهاية وجدت نفسها فى المطار تسير إلى  
الطائرة والأهل يلوحون لها بأيديهم .  
وفى الطائرة .. جلست بجواره وقد أغمضت عينها  
واستغرقت فى صمت عميق .  
وأخيراً وصلت إلى مقرها النهائى .. الذى فرض فيه أن  
تجعل منه ملاذ العمر وملجأ الحياة .  
ولكنها كانت فيه ضالة تائهة شاردة .

لم يكن هناك قط ما يسئها .. على التقيض ، لقد وجدت  
أقصى ما تأمل فيه فتاة .. بيتاً جميلاً هادئاً .. وزوجاً محباً  
طيباً محترماً .

لقد وجدت الشيء الطبيعي ، الذي تتمناه الفتاة الطبيعية ،  
وجدت حياة طبيعية وزوجاً طيباً ، ولكن المصيبة لم  
تكن فيما حوّلها .. بل كانت في نفسها .. كانت هي غير  
طبيعية .. أحببت إنساناً غير طبيعي .  
لو أنها مخلوقة طبيعية .. أحببت إنساناً طيباً ، وخذلها  
القدر فلم يهبها إياه .. وأعطاهما بده آخر .. لا بأس به ..  
لما أثر ذلك في نفسها كثيراً .. ولتقبلت مصيرها بنفس  
راضية قريرة .

ولكنها .. هي بالذات .. كانت بلا جدال .. شاذة بين  
البشر .. بحسبها المفرط في الإرهاف ، ونفسها المفرطة في  
الاهيام والوله والشاعرية والرقّة .

وأحبت من ؟ مخلوقاً .. كانت واثقة أنه تسيح وحده ..  
مخلوقاً ليس به من صلة ولا شبه ببقية المخلوقات .

لقد كان يخيل لها ، أن الله عندما خلق البشر خلق  
الملايين المحتشدة في هذا العالم الواسع من طينة معينة وبطريقة  
مخصوصة ، فلما انتهى من خلقهم ، وجد لديه قطعة طين مختلفة  
فصاغ منها مخلوقين بطريقة مختلفة أيضاً ، ثم ألقى بهما فكانا

شديداً غريباً بين البشر، كنا هذين المخلوقين، كنا إياه وإياها .  
كانت تجد فيه مخلوقاً لا يقارن .. وما الداعي للمقارنة .  
وليس هناك وجه للمقارنة ؟

ذلك هو مبعث عدم استقرارها النفسي ، وعدم قدرتها  
على الرضا بفعل القدر والرضوخ لسلطانه .  
ولم يكن عدم رضائها أو عدم رضوخها .. فعلاً .. بل  
كان مجرد حس .. كان شيئاً في الباطن . ، فقد كانت ذات  
إرادة على فعلها وعلى مظهرها .

كانت تقوم بواجبها الشكلي نحو زوجها خير قيام ..  
ولكنها كانت في تصرفاتها معه سلبية .. كانت تؤدى كل  
ما يطلب منها ، ولكنها لا تفعل ، قط ما لم يطلب .. كانت  
تجيب على حديثه ولكنها لا تبدو الحديث ولا تسأله .

كانت تجد حياتها فارغة خاوية لا يملؤها سوى شيء  
واحد .. هو مجموعة رسائله التي احتفظت بها في صندوق ،  
وكانت تستعيد قراءتها كلما زاد بها الحنين أو عاودها الشوق .  
« وكانت تكره الخيانة والكذب ، ولكنها لم تكن تجد  
في احتفاظها برسائله نوعاً من الخيانة لزوجها .. بل كانت  
موقنة أن هذا من حقها على نفسها ، أو من الظلم أن تحرم  
نفسها بالناسئة العزاء الوحيد الذي يمكن أن تتعزى به .

ورآها زوجها ذات مرة وقد اختلت بنفسها وأقبلت

على قراءتها في لهفة فسألها في هدوء :  
- ما هذه ؟  
- رسائل خاصة .  
- ممن ؟  
ورفعت رأسها عن الرسائل ونظرت إليه نظرة بها  
بعض التبرم والضيق واليأس :  
- إنها رسائل خاصة بي .  
- أقول ممن ؟  
- من مخلوق عزيز لدى .  
- أما زال عزيزاً إلى الدرجة التي تحتفظ فيها برسائله  
وتقبلين عليها بمثل هذه اللهفة !  
ولم تكن ترغب قط في تحديه أو إثارة أية مشكلات  
بينها وبينه ، وكانت تراه دائماً هادئاً طيباً ودوداً . . . فبهتت  
لمحاولته التحدي والبحث عن المتاعب .  
ووجدته قد أثارها بسؤاله وأحست منه بما يشبه الإهانة  
فأجابت في حدة :  
- أجل . . . إنه ما زال عزيزاً لدى . . .  
واقترب منها وجلس قبالتها ، وأجابها بصوت أكثر  
رقة وهدوءاً :  
- اسمي . . . إني أعرف كل شيء . . . ولم أقدم على

خطبتك إلا ليقيني أن المسألة لم يكن فيها فائدة .. وأنه  
لم يكن هناك أمل في أن تزوج فتاة مثلك رجلاً ذا زوج ..  
إني لم أقدم على زواجك إلا وأنا واثق أنني لن أحرملك  
هدفاً تأملين فيه .. بل كنت واثقاً أنك سرعان ما تنسين ،  
وأنى سأستطيع أن أمنحك حياة سعيدة وأجعلك تحبينني ،  
ولكن يبدو لي أنني قد فشلت .. إنك دائماً الشرود  
والذهول .. أنا أعرف أنك تمنحيني كل ما هو مطلوب من  
الزوجة شكلاً وعملاً ، ولكن لا تمنحيني حساً ، وأنا لا أستطيع  
إلا أن أشكرك على ذلك ، ولا أملك أن أجبرك أن تمنحيني  
الحس .. فذلك شيء لا يجبر عليه إنسان وإلا منح في غير  
صدق وبلا رغبة ، منح في تظاهر وادعاء .. فكأنه لم يمنح .  
إني أفضل ألا تمنحيني حساً .. من أن تمنحيني حساً كاذباً ،  
ولكني أيضاً أكره أن أراك لا تبذلين جهداً في النسيان ..  
أكره أن أراك تستثيرين مشاعرك وتتكئين جراحك .  
إن من حقي كزوج أن أمزق هذه الرسائل ، ولكني لا أريد  
أن آخذك بالعنف .. فهذه طريقة لا فائدة منها .. فهي تزيد  
الهوة بيننا .. وكل ما أرجوه أن تبذلي بعض الجهد .. لا من  
ناحية الشكل والمظهر .. فهذا قد بذلت فيه أقصى الجهد .  
ولكن من ناحية الحس والباطن .. لا بد أن تحاولي .  
وكان حديثه كريماً معقولاً .. زادها الماء على ألم ..

ولم تستطع أن تجيبه بأكثر من قولها في حزن :  
— إني شديدة اليأس ، ولن يضيرني شيء بأكثر مما أنا  
فيه .. وهذه لحظات عزاء أتعزى بها .. إني أكره الخيانة  
والكذب ، ولكنني أعتبر هذا حقاً لي نحو نفسي ، ومع  
ذلك .. إذا كنت تجد فيها نوعاً من الخيانة .. فسأطويها ،  
ولن أفتحها بعد ذلك .  
وفعلاً ، طويتها فلم تفتحها أبداً .

ولكن لو كان يدري .. لما حرّم عليها قراءتها !  
ما الفائدة في أن يحرم عليها قراءتها .. وهي تحفظها عن  
ظهر قلب ، وتستطيع أن تتلوها كلمة كلمة وحرفاً حرفاً ؟  
إنه لم يزد على أن يمنعها من مجرد الشكليات والمظاهر ،  
ولم يكن هناك أقدر منها ، ولا أقوى إرادة في هذه الشكليات  
والمظاهر .. أما في الذهن وفي القلب .. فقد كانت مغلوبة  
على أمرها مقهورة في باطنها .

وأخذت الأيام تمر بها هادئة طبيعية .. فحملت بعد  
بضعة أسابيع .. ومرت بها شهور الحمل كما تمر بكل امرأة ،  
وفي نهايتها وضعت طفلاً .

وما من شك هناك في أن البعد واليأس ومرور الزمن  
والحمل والولادة ومتاعب الطفل وغيرها من مشاغل الحياة  
قد هدأت نفسها كثيراً ، وخففت من حدة أحزانها ، وإن

كان الحب والتقديس ما زال رأسين في أعماقها .  
وما من شك أيضاً في أن الأمور لو سارت على ما هي عليه  
لزادت من تهدتها ، ولجعلتها أكثر استقراراً وقناعة بحياتها ،  
ولجعلت من حبها ... شيئاً سامياً علوياً ، لا يقض مضجعها  
ولا يقرح جفنها ، ولا يشوقها ولا يعذبها . . . ولكن يضيء  
لها الحياة ، ويهيء لها السكينة والطمأنينة ، وتشعر به كمنحة  
منحه الله لها في فترة من فترات حياتها ، لتهدئها سواء السبيل .  
هذا هو ما كان يمكن أن يحدث ، حياة هادئة ، تضيئها  
ذكراه ، وتنعشها القراءة له ، وتصوره فيها ، كما كان يطلب  
هو منها ، مثلاً أعلى ، وقدوة حسنة .

ولكن القدر يأبى غلينا ، حتى تعود المصائب .. فهو في  
البلايا مجدد مبتكر يكره الركود ويأبى الاستكانة .  
لقد عادت مع زوجها إلى القاهرة في أول عطلة ..  
عادت وهي أشبه بالناقمة . . ناقمة القلب .  
والنقامة تحتاج إلى الراحة والهدوء ، والبعد عن الإجهاد  
والإرهاق والإثارة ، حتى لا يصاب المريض بنكسة ، تعيد  
إليه الداء .

وهي في نقاهتها الحسية . . كان يخشى عليها التعرض  
لأقل انفعال أو إثارة . فقد كان قلبها يكاد يستقر في موضعه ،  
كان ضعيفاً مترنحاً ، وكان جرحه يكاد يلتئم .

وكانت هي مازمة .. أن تقي نفسها شرّ التجارب ، وأن  
تبعد بها عن كل ما يشير مشاعرها ويرهف حسها .. عازمة  
أن تقضي المدة التي ستقضيها في القاهرة وهي مغلقة على  
نفسها وقلبها كل السبل .

كانت تعرف أن عليها أن تقاوم الحنين ، وكانت تعرف  
أن عليها أن تبذل جهداً في المقاومة ، ولكنها كانت مصرّة  
على هذا البذل .. مصرّة على أن تخرج من التجربة بسلام .  
وبدأت المقاومة ، بمجرد أن وطئت قدماها أرض مصر ،  
بل بمجرد أن لاح لها النيل والمزارع والصحراء في نهايتها .  
لعن الله هذه المرثيات ، إنها تأتي إلا أن تلصق نفسها  
به .. كل شيء تراه .. لا بد أن يمت إليه بصلة .

هذه الصحراء كانت تلقاه فيها ، وهذه الأرض وطئتها  
قدمها ، حتى هذه العربة التي بدأت التحرك لحملها هي وزوجها  
إلى البيت ، وجدت فيها ما يذكرها به .. إذ أبت العربة أن  
تتحرك وأخذ السائق يضغط على « المارش » فأخذت صوتاً  
جعلها تذكر كيف كان يحاول إدارة عربته فلا تقوم لأول  
وهلة .. ثم يخبرها ضاحكاً أن العربة بردت ، ويسألها :

— أمستعدة للزق ؟

فتجيبه ضاحكاً :

— وللجسر .. وللحمل .. ولكل شيء معك .

وخيل إليها أن السائق سيسألها نفس السؤال ، ولكن  
العربة دارت أخيراً واتخذت طريقها إلى البيت .

ووصلت العربة إلى بيت أبي زوجها حيث كانا سيقضيان  
مدة العطلة ، وكان البيت يقع في أحد أطراف مصر الجديدة ..  
بيتاً منعزلاً صغيراً ، وكان الأب يقطنه وحيداً .

وأحست في البيت نوعاً من الطمأنينة .. فقد أحببت  
عزله وسكونه ورحب الأب بهم ترحيباً شديداً .

ولم تجد هناك ما يضايقها أو يقلقها .. فقد كان العجوز  
هادئاً ميالاً للعزلة .. وكان بالبيت خادمة كبيرة تستطيع أن  
تحمل عنها أعباء الطفل .

وهكذا استقر بها المقام في أمن واطمئنان ودعت الله  
أن يجعلها تقضى بقية المدة دون أن تعرّض لأى إثارة ..  
أو على وجه أصح .. دعت الله .. ألا يعرضها للقاء ..  
وألا يلتقي بأحدهما في طريق الآخر .

هكذا دعت الله بذهنها وعقلها .. دعت به برغبة قوية  
أكيدة وإن كان ذلك لم يمنع قلبها المريض المترنح من أن  
يهتف في صوت خافت :

أما من نظرة؟! أما من لقاء؟! ..

كان يهتف في شبه توسل .. كان أشبه بالسائل .. بين  
مخلاء قساة .. أو باليتيم في مأدبة اللثام .

# نكاح...

هذا كتاب في النكاح...  
 في بيان حكمه وأحكامه...  
 وما يتعلق به من...  
 في النكاح...  
 في النكاح...  
 في النكاح...

١٣

حال النكاح...  
 في النكاح...  
 في النكاح...  
 في النكاح...  
 في النكاح...  
 في النكاح...  
 في النكاح...



في النكاح...  
 في النكاح...

وبدأت زيارتها لأقربائها  
ولصديقاتها .. ومرت الزيارات  
مروراً عادياً ، بما فيها من ترحيبات



ودعوات وولائم وحفلات ، حتى زارتها ذات يوم صديقتها  
العزيزة عليها ، التي كانت السبب في تعريفها به .

كان الوقت صباحاً حوالى الساعة العاشرة ، وكان اليوم  
من أيام الصيف ، ولكن الجو مع ذلك كان لطيفاً ، وكانت  
بعض السحب المنخفضة تحجب الشمس من آن لآخر فيبدو  
الجو كأنه في يوم من أيام الخريف .

كانت تجلس تحت خيملة في ركن الحديقة ، وكانت تتسلى  
بعمل التريكو .. معدة ثياب الشتاء لطفلها الرائد في عربته  
محوارها .

ودق جرس الباب الخارجي ، ورفعت بصرها فلمحت  
من خلال الأشجار صديقتها وقد وقفت بالباب .  
وفتح الحارس الباب ونهضت هي من مقعدها لاستقبالها  
مرحبة بها .

وأقبلت عليها الصديقة تحتضنها وتقبلها وتصبح بها مؤنبة :  
يا خاتنة .. أتمضى عليك هذه المدة وأنت في القاهرة  
دون أن تخبريني .. يخونك البسكوت والجلاس ؟

كنت أنوى أن أزورك اليوم .  
وكانت كاذبة في قولها . . فمى لم تكن تنوى زيارتها  
أبدأ . . فقد كانت تعتبرها ضمن مناطق الخطر ، إذ كان لقاءه  
عندها أمراً محتمل الوقوع ، وحتى لو لم تلقه فإن بيتها نفسه  
شر مثير لذكريات دفينته .

وعادت صاحبها تقول مؤنبة :  
- أتذهبين لزيارة « عفت » ، قبل أن تزوريني . . ولو لم  
ألقيها مصادفة لما علمت بوجودك ؟  
- كانت زيارتي لها مصادفة . . كيف حالك ؟ وكيف  
حال المدرسة ؟

- كيف حالك أنت ؟ لقد أصبحت أما . . ومع ذلك  
فلا يبدو عليك أى تغيير ، ولو عدت إلى المدرسة تحملين  
الحقيقية لبوت طفلة كما كنت . . لا بد أن تكبرى قليلاً وإلا  
لمن يحترمك ابنك

وانطلقتا تضحكان وتبادلان تافه الحديث وغث الأسئلة  
وكانت تتمنى لو مرت الزيارة بمثل هذه التفاهة والغثافة .

كانت تسكت بشدة وحزم ذلك الهاتف من أعماقها باسمه  
المتسائل عن أخباره ، المتلهف على أنبائه .

وحمدت الله أن ألزم صاحبها جادة العقل . . فلم يجر  
لسانها بذكره ، والواقع أن ذلك كان منها غريباً فما اجتمعتا

قط إلا وكان هو محل حديثهما .. بل لقد كانت هي نفسها

تدفعها إلى الحديث عنه حتى تمل صاحبها وتصيح بها :

— أرنجوك ، دعينا نتحدث عن شخص آخر .. لقد

مللت من ذكره .

— ولكن لا أمل أبداً .

كيف إذا استطاعت أن تجلس معها طوال هذا الوقت

دون أن تلفظ عنه كلمة واحدة !

ولكن حمداً لله .. إنها فتاة عاقلة .. وهي تعلم أنها قد

أضحت زوجة ، ونبش ماضي الزوجات أمر غير مستحب .

واستمر الحديث يطرق كل موضوع إلا هو ، وكانت هي

ما زالت مكبة على عمل التريكو ، وقد طاف بذهنها عبثه المستحب

في نزع الإبرة من الصوف ، وتخيلته بجوارها يرمقها بنظراته

المشوقة اللهنى .. ولكنها سرعان ما طردت طيفه من ذهنها .

ويبدو أن صاحبها كانت قد سألتها سبواً .. خلال

شرودها ، فلم تسمعه ، إذ قالت لها ضاحكة :

اللى واخذ عقلك .. يتخنى به .

وكان لهذه الجملة وقع شديد .. كأنها مطرقة هوت على

سندان .

كانت جملة « شهيرة » إذ كانت لا تفتأ ترددها لها كلما

وجدتها شاردة الذهن .. وكانت إجابتها الدائمة لها هي قولها

في استسلام : « واخذ عقلي بس .. دا واخذ عقلي وروحي  
وقلبي .. وكل حاجة في .. »  
وساد صمت عجيب .

صمت هو أبعد ما يكون عن الصمت .. صمت صارخ  
صائح .. مليء بصخب الصدور وضجيج القلوب .

ولم تبس بينت شفة .. ولم تقل بالطبع جملتها .. التي  
تعودت أن تقولها .. ولكنها كانت تترجح تحت وطأة حنين  
ملتهب وشوق متأجج . وكأنما القدر أراد أن يحكم إخراج  
الموقف المرهب المستعر .. فانبعث في تلك اللحظة لحن من  
ناى في الإذاعة .. لحن سمعته في أول لقاء لهما على حدة ..  
وأنبأها هو أن هذا اللحن يطربه وينشيه ويذيب نفسه .

ورفعت عينيها إلى وجه صاحبها .. فإذا بسحابة حزن  
معتمة قد طافت به .. كأنما هي قد تذكرت أمراً أليماً .  
ونجاة ألفت صاحبها بسؤالها المروع .. قائلة في صوت  
خافت يملؤه الأسى والألم :

— ألم ترى ... ؟

ولم تذكر الاسم ، ولكنها أدركت من تعنى .. ولم تجب  
بشيء ، ولكنها هزقت رأسها بالنفي .

وغادت صاحبها تسأل :

— ألم تسمعي بما حدث له ؟

- حدث له ؟
- ولم تستطع أن تتمالك نفسها فهتفت متسائلة :
- ماذا حدث ؟
- أحقاً لم تسمعي ؟
- أسمع بماذا ؟ قولي أرجوك !
- إنه راقد في المستشفى .. في حالة خطيرة .
- كيف ؟ .. ومتى ؟ .. ولمه ؟
- لقد تصادم بعربته .
- وماذا أصابه ؟
- يقولون إن الصدمة أصابته بارتجاج في المخ .. أو كسر في العمود الفقري .. لست أدري .. ولكن النتيجة أن نصفه الأيسر قد أضحي عاجزاً .
- وأحسيت بأطرافها تتلجج وبأعصابها تنهار .. ووجدت نفسها قد باتت عاجزة عن فعل أى شيء .. لا دموع .. ولا صراخ .. حتى صيحة دهشة لم تستطعها .
- ووضعت منديلها بين أسنانها وأخذت تضغط عليه ..
- محاولة كبت ما بها من ألم والسيطرة على نفسها .
- وبعد فترة صمت أليمة .. استطاع صوتها أن يخرج متحشراً من شفيتها متسائلاً :
- في أى مستشفى ؟

— الإسرائيلى .

ونهضت فى تناقل وانجحت إلى البيت فى بطاء وصاحت :  
— فاطمة .

وظهرت الخادمة بالبواب فأمرتها بحمل الطفل إلى الداخل  
وإحضار حذاءها . . . ودست قدميها فى الحذاء . . . ثم سارت  
إلى صاحبها كأنها شبح يتحرك ، وقالت لها فى هدوء :

— هيا بنا !

— إلى أين ؟

— إلى المستشفى .

وبدا التردد على وجه صاحبها وقالت معترضة :

— ولكن . . . ؟

— ماذا ؟ . . . أتخشى زوجته ؟

— لا . . . ليست زوجته هى التى أخشى . . . إن زوجته

راقدة فى دارها . . . إنها لا تستطيع النهوض . . . فهى كما  
تعلين مريضة من قبل ، ولم تستطع احتمال الصدمة لشدها  
فأقعدتها فى الفراش .

— علام ترددك إذا ؟

— إن زوجك قد . . .

وجذبتها من ذراعها نحو البواب وقالت فى يأس شديد :

— زوجى ؟ إنى أكره زوجى . . . وابنى . . . أكره الناس

كلهم .. وأكره الحياة .. لن يستطيع أحد أن يفعل بي شراً  
نما بي .. أنا ميتة .. وما لجرح بميت إيلام .

واندفعت في عزم إلى الخارج ، ولم تملك صاحبها إلا أن  
تسير خلفها .

كانت تسير بلا وعي وبلا إرادة .. لقد أفقدتها الصدمة  
كل سيطرة لها على نفسها وعلى عقلها .

كانت تتحرك بدافع خفي مجنون .. كانت لا ترى شيئاً  
ولا تسمع شيئاً .. ولا تحس بشيء .. إلا أنه هو .. راقد  
بلا حراك .

هو .. الذي ظنته قد انكمش في قلبها على مر الزمن ..  
لم تكذب تسمع نبأه .. حتى وجدته قد تضخم وعاد ليحتل  
مكانه .. في كل ذرة في كيانه وكل نقطة في دمه .  
هو .. كل شيء .. وسواه لا شيء .

هو .. في جانب .. والدنيا كلها في جانب .  
هو .. هو .. وإذا لم يبق هو .. فلا بقيت هي .. ولا  
بقيت الأرض .. ولا السماء على الأرض .

ووصلتا إلى نهاية محطة الأتوبيس رقم ١٠ ، واتخذتا  
مجلسيهما متجاورتين .. وكانت العربة خالية تماماً إلا من  
الكمساري والسائق .

وهمست صاحبها في أذنها معيدة النصيح :

— أما كان يجب أن تنتظري زوجك .. و .. و ..  
ولم تجب عليها بكلمة ولكنها نظرت إليها نظرة أسكتتها .  
وتحركت العربة وتتابع المحطات ، وتزاحم الركاب ،  
وهي شاردة بعينها لا تبصر شيئاً ، وسمعت صاحبها نصيح  
بالسائق :

— محطة السلم .  
ووقفت العربة وجذبها صاحبها من يدها ، وهبطنا إلى  
الطريق .. عابرتين أسفل الكوبرى .. متجهتين إلى المستشفى  
الإسرائيلي .

وعبرنا الباب الحديدي ثم صنعنا السلم الرخامي العريض  
وقادتها صاحبها يمينا في ممر بين الحجرات .. وأخذت تمر  
ببصرها على الأرقام الصغيرة التي على الأبواب .. ثم توقفت  
أمام باب مغلق .. وبدت عليها الحيرة .. ولم تدر أتطرق  
الباب أم تنتظر .. وأخذت تتلفت حولها ، علمها ترى أحداً  
خارج الحجره .

وأقبلت إحدى الممرضات في خطوات سريعة حاملة في  
يدها « طاقة ثلج » واقتربت من الباب هامة بالدخول  
وسألتها صاحبها :

— أنستطيع أن تراه  
— إنه نائم .. لقد مضت عليه بضع ساعات وهو في

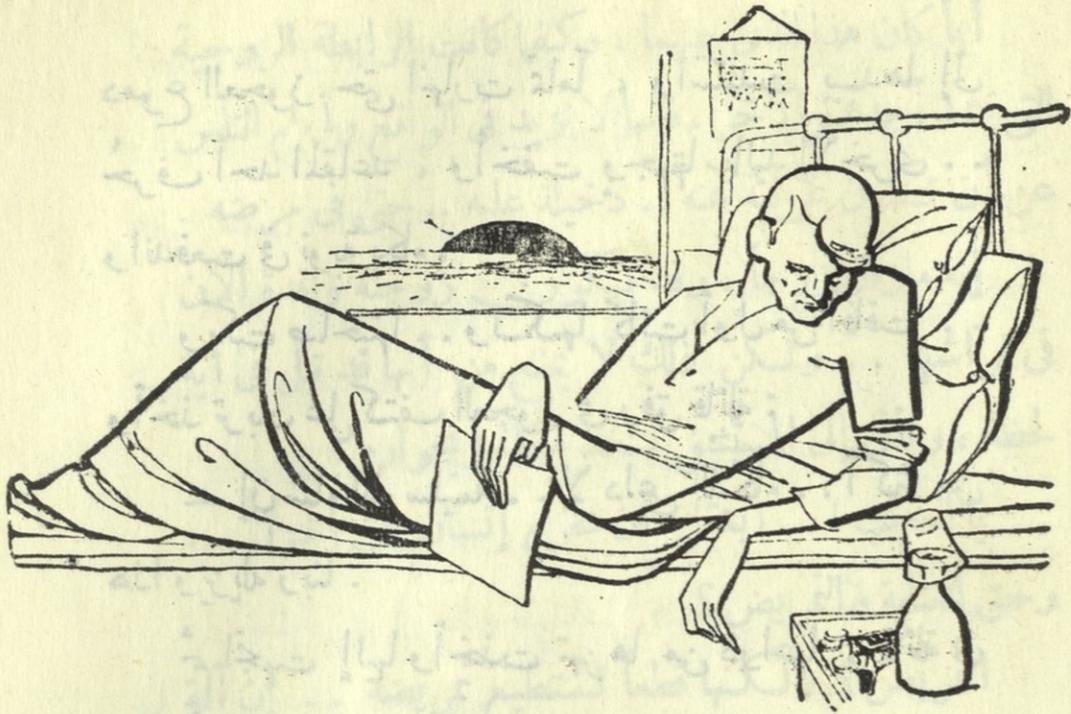
غيبوبة تامة . . إن أباه في الداخل ، وسأخبره بوجودكما . .  
استريحاً قليلاً في الردهة .

واختفت الممرضة داخل الحجرة ، وتهاوت هي على  
أحد المقاعد فقد أحست بقدميها تكادان لا تحملانها .  
وأخذت صاحبها تسير جيئة وذهاباً بجرمة عصية  
متوترة . وأخيراً فتحت الممرضة الباب ودعتهما :  
— تفضلاً .

وتقدمت صاحبها أولاً . . وسارت هي خلفها .  
وهي لا تدري حتى الآن . . كيف لم تخر مغشياً عليها . .  
وكيف استطاعت الوقوف على قدميها . . والإحساس  
بما حولها .

وقع بصرها على الحجرة البيضاء الجدران والسقف ،  
وفي وسطها الفراش بملاءاته البيض ، وجسده الطويل مسجى  
تحت الملاءات ، وقد بدا وجهه شاحباً هزيباً رقيقاً ووضعته  
فوق رأسه « طاوية ثلج » وامتدت إحدى ذراعيه وقد اتصلت  
بخرطوم رفيع تدلى من حقنة « جلوكوز » مدلاة من أعلى .  
وبجوار الفراش . . وقف عجوز أشيب الرأس ، بادي  
الهنزال ، يمد إليهما يده مرحباً .

كان الرجل ولا شك أباه . . إذ كان الشبه بين الاثنين  
واضحاً في ملامح الوجه ، وطول القامة وعرض الكتفين .



وقامت صاحبها بواجب التعريف في كلمات مقتضة  
سريعة خاطفة قائلا :

— والد محمود بك .. صديقتي .

ثم تساءلت .. ل مجرد السؤال :

— كيف الحال ؟

ولم يجب الرجل .. بل بدأ تشنج خفيف في نهاية شفثيه  
وفي ذقنه ، وحاول جهده أن يمنع نوبة البكاء التي توشك أن  
تمسك بتلابيبه ، ولكنه لم يفلح .. فقد احمر جفناه ، وهمى  
الدمع من مقلتيه ، وتهاوى على مقعده ودفن وجهه في كفيه .  
ولم تستطع هي المقاومة .. وكانت أحزانها المكبوتة في  
صدرها تتحين الفرصة لتجد لها مخرجاً .. فلم تكذب بصر

دموع العجوز حتى انهارت تماماً ، واستندت بيدها إلى  
حرف أحد المقاعد ، وأخفت وجهها باليد الأخرى ..  
واندفعت في نوبة بكاء .

وبكت صاحبها .. ولكنها كانت أول من أفاقت ..  
وأخذت تربت على كتف العجوز في رفق قائلة :  
— إن شاء الله سليمة .. لا داعي للبكاء .. أكثر من  
هذا ويزيله ربنا .

ثم اتجهت إليها وأخذت تهزها من ذراعها ، قائلة في  
شبه تأنيب :

— كفى .. كفى هذا .. يجب أن تتماسكى .  
وكان يجب أن تتماسك وتتجلد .. فكفت عن البكاء ..  
وتهاوت على أحد المقاعد ، وبعد برهة صمت سألتها صاحبها  
في همس :

— أظننا يجب أن نعود الآن ؟

— نعود ؟ !! إلى أين ؟ .. وإلى من ؟

لقد كانت تعرف أن مقرها بجواره .. وأنه هو كل  
ما لها في هذه الحياة . فكيف أتتركة ؟

أتتركة ملقى هكذا ؟ لا كانت .. ولا كانت الحياة .

ولكن أى حق لها في البقاء بجواره ؟ بل أى حق لها  
في أن تبكيه كما يبكيه ؟

أياً كان هذا الذي بينهما ، وكيفما كانت الرابطة الروحية  
التي تشد أحدهما بالآخر ، فإنها لا تزيد في الواقع وأمام الناس  
عن أن تكون غريبة عنه .. دخيلة عليه .. حتى في مرضه .  
إنه مازال زوجاً ، وقد تكون زوجته راقدة الآن  
في فراشها .. ولكن ذلك لا يمنع من أنها قد تبل في أية  
لحظة ، وتأتي إلى المستشفى لتتخذ مكانها بجواره .

يا للعجب ! .. أيعقل أن يحرم إنسان حق الحزن ..  
وحق العناية والتمريض ؟

التمريض ؟ ولكنها قطعاً تستطيع تمريضه .. إن أية  
مرضة هنا تستطيع تمريضه .. وهي لن تقل بحال عن أية  
واحدة منهن .

أجل . إن يستطيع أحد أن يمنعها من تمريضه والسهر عليه .  
واستمرت الأفكار تطن في رأسها ، وعادت صاحبها  
تستحشا :

— أظن الوقت قد حان للذهاب !

ولكنها لم تجبها بكلمة ، واستمرت متهاوية في مقعدها  
مغرقة في شرودها .

وانتظرت صاحبها برهة أخرى ثم قالت هامسة في حزم :

— يجب أن تعودى .. ماذا يقول زوجك ؟

وأخيراً نهضت متحاملة على نفسها ، وألقت نظرة

أخيرة على الوجه الذابل الساكن ، وشدت على يد العجوز ،  
واستدارت متجهة نحو باب الغرفة ، ولكنها لم تكذب تبليغه  
حتى سمعت هتافاً باسمها .

هتافاً حاراً متوسلاً متلهفياً .. نفس الهتاف الذي  
تعود أن يتبادلاه فيما بينهما .

وأصابها رجفة شديدة وجمدت في مكانها .  
حمداً لله .. لقد أفاق .

واستدارت في بطاء لتستقبل هتافه .. ولكنها وجدته  
ما زال مغمض العينين .

وتكرر الهتاف ، وهو مستغرق في غيبوبته .  
لقد كان يهذي .. باسمها .

وقال الأب مفسراً بصوت متهدج في شبه اعتذار :

— إنه يهذي .. منذ أن راح في غيبوبته ، وهو لا يفطن  
يهذي بهذا الإسم .

ومرة أخرى أحست بأنها تنهاوى ، واندفعت ثانية  
في نوبة بكاء مزيرة .

وهمس الأب متسائلاً في دهشة شديدة :

— أهو أنت التي يهتف باسمك؟

ومدت صاحبها يدها فسحبها من ذراعها ، وأخذت

تهرول بها إلى خارج المستشفى ، وهي تقول مؤنبة :

— ما كان يجب أن تحضري .. ولكني أنا المسئولة ..  
كان يجب ألا أوافقك ، وأن أمنعك عن الحجى . . . بل ما كان  
يجب أن أخبرك بالنبا أصلا .

وصمتت برهة ثم عادت تقول وهي تهز رأسها في دهشة :  
— ولكنني كنت أظنك قد نسيت ولم أكن أظن أنك  
ستتهارين بهذه الطريقة ، ولا كنت أظن أنه قد بلغ هذه  
الحال من السوء .

وأخيراً بلغت الدار وهي تكاد تكون فاقدة الوعي .  
وعلى باب البيت لقيها زوجها .. فأذهلته حالها وأدهشه  
أحمرار جفניה وهتف بها متعجباً :  
— أين كنت ؟!

ولم تجبه ، واتجهت إلى داخل البيت وارتمت على أقرب  
مقعد ، ووضعت رأسها في كفها وأخذت إلى الصمت .

وتبعها زوجها وعاد يلاح عليها بالسؤال :

— أين كنت ؟ أجيبني ؟ أين كنت ؟

ورفعت رأسها وأجابته في هدوء وقد تمالكت نفسها ،

— في المستشفى .

— أي مستشفى ؟

— الإسرائيلي .

— لم؟ . ماذا حدث؟ . هل أصيب أحد من أهلِكَ

بسوء؟

— ليس من أهلي!

— من يكون إذا؟ ! من يكون هذا الذي أزعجك كل

هذا الإزعاج؟

— إنه هو...

وعرض زوجها بأسنانه على نواجذه ، وأحس بثورة

شديدة تهب بين جوانحه .. وحاول جهده أن يتمالك أعصابه

وقال في غيظ مكتوم :

— أذهبت الآن لزيارته في المستشفى؟

— أجل .

— أنت لاشك مجنونة!

ولم تجبه بكلمة .. وعادت تضع رأسها في كفها ..

فازداد غيظه ، ولم يستطع أن يكبت ثورته وصاح بها :

— أجيبي ! ما الذي دفعك إلى زيارته؟

— لأنه مصاب .

— ومالك به؟ إنك تنسين نفسك .. تنسين أنك

متزوجة .. فبأى وضع تزورينه؟ وما علاقتك به حتى

تزورينه ، وهو رجل متزوج .. أتزورينه كعشيقة؟

ولم تكن حالتها تسمح كثيراً بالمناقشة أو بالرد .. ولم

تسكن تضييرها أقواله .. بل إنها كانت لا تكاد تفهمها .  
واستمر هو في ثورته قائلاً :

— يجب أن تفهمي أني لن أسمح لك بهذا العبث .. لقد  
صبرت عليك كثيرآ .. هذا الشرود والوجوم .. الذي أنت  
فيه .. شيء لا يحتمل ، ومع ذلك فقد احتملته ، وقلت لنفسى  
إن الزمن سيعيدك إلى رشذك ويرد إليك صوابك ، وإنك  
ستردعين من تلقاء نفسك . لقد قلت لك إنى لن أحاول  
التدخل فى مشاعرك الخفية ، ولكن هذه الفضاخ التى تحاولين  
إثارتها ، وهذا الجنون الذى أنت مندفعة فيه .. لن أقبله قط  
بحال من الأحوال .. لن أسمح لك بأن تجعلين مضغة فى  
الأفواه ، وأضحوكة بين الناس . إنى سأغفر لك لوثتك وحمقك  
هذه المرة ، ولكن إذا عدت إليها ، فسأعرف كيف أتصرف .  
ولم يكن لهذه العاصفة من أقل أثر فى نفسها إذ لم يكده  
ينتهى من حديثه حتى رفعت رأسها وأجابت بنبرات هادئة  
وفى عزم وإصرار :

— خير لك أن تتصرف من الآن .. فإنى سأذهب إليه  
غداً وكل يوم ، وسأبقى بجواره حتى يبلى أو ينتهى .. اعلم  
هذا جيداً .. وافعل كل ما يبدو لك .

— ما هذا الذى تقولين ؟ . إنك لا شك مجنونة ؟

— مجنونة أو غير مجنونة .. من الغد .. سأقوم .

بتمر يرضه .. إني لن أفعل نحوك ما يمكن أن يسمى خيانة ،  
إن ضميري مستريح .. لأن كل ما سأفعله هو أن أمرّض  
مريضاً على فراش الموت .. مريضاً لا يحس بشيء مما حوله ،  
لا يحس حتى بي .. فإذا كان ذلك يفزعك ويسبب لك مثل  
هذه الثورة والانفعال .. فلتفعل ما تشاء ، ولكن لن يشيني  
عن عزمي شيئاً .

وصمت برهة تمالك فيها نفسه ، ثم قال في حزم :

— اسمعي .. إذا خرجت من هذا البيت فلن تعودى  
إليته ؟

— سأخرج .

— ولن ترى ابنك ؟

— سأخرج .

— يجب أن تفكري جيداً ؟

— سأخرج .

— إنك مجنونة ؟

— سأخرج .. سأخرج .. دعني وشأني .. أرجوك ..

كفي ما بي .

وعادت تخفي رأسها بين كفيها مخلدة إلى الصمت .

وقال لها قبل أن يوليها ظهره :

— على أية حال سأترك لك فرصة تفكرين خلالها

حتى الغد .. فر بما تعودين إلى رشذك و تصرفين هذا الشيطان  
الذى يركب رأسك .

وأحست أنها لم تعد تستطيع احتمال كلبه منه ، فرفعت  
إليه رأسها محدقة فيه برهة ، ثم نهضت فجأة قائلة :

— لا داعي لهذه الفرصة .. سأذهب من الآن .

ثم اتجهت إلى الباب بخطوات ثابتة .. ولكنه أسرع  
فوقف بينها وبين الباب وصاح بها :

— إذا خطوت خطوة واحدة نحو الباب فأنت طالق ؟

— دعني أخرج .

— وابنك ؟

— دعني أخرج قلت لك .

— لن أتركك تخرجين من هنا حتى تكتبي لي تنازلا عن

كل شيء .

وخرجت من بين شفقتها ضحكة مريرة ساخرة :

— لست في حاجة إلى شيء ، ولا أريد منك أي شيء .

دعني أخرج .

— لن تخرجي .. حتى تكتبي التنازل .

— سأكتب لك ما تريد .

وبعد لحظة كانت توقع على ورقة قدمها إليها وهي

منمضنة العين وقذفت إليه بها وبالقلم ، ثم أخذت طريقها

إلى الخراج متجهة إلى بيت صاحبها .  
ووصلت إلى بيت صاحبها وقد استمدت من يأسها

شجاعة

إنها تشعر أنها قد أضحت حرة طليقة .. تشعر براحة  
لأنها وجدت في نفسها من القوة ما جعلها تقدم على  
ما أقدمت عليه .

ولقيتها صاحبها صائحة في دهشة :

— أنت !! ماذا أتى بك ؟ !

— لقد أصبحت حرة .. وسأذهب إلى المستشفى .

— ماذا تعنين محررة ؟ !

— حرة طليقة .. أو طالقة .. كما يسمونها .

ونددت عن صاحبها صرخة فزع وصاحت :

— ماذا فعلت بنفسك أيتها المجنونة ؟ ما الفائدة من

كل هذا ؟

وأجابتها في ضيق وملل :

— مجنونة .. مجنونة .. هو أيضاً قال لي ذلك ،

وسيقول الناس جميعاً عني مجنونة ، ومع ذلك فلن أراجع .

أى جنون هذا الذي ترينه في عملي !! ألم تسمعي عن أحد

دخل الدير .. إني سأعمل ممرضة .. بدل دخول الدير ..

أى جنون في هذا ؟ !

- ومستقبلك؟! ..
- ليس لي أى مستقبل .. كل هذه الظواهر لم أعد أعبأ بها .. إني ذبيحة في باطنى .. إني ميتة .. أى مستقبل هناك لامرأة ميتة؟
- وابنك؟! ..
- هو أعز لدى من مائة ابن .. إذا كنت على استعداد لأن أفقديه بروحى .. أفلا أترك من أجله ابنى؟
- ولكن ...
- أرجوك . وفري نصحك .. لقد انتهى كل شيء .. لقد كتبت له إقراراً بالتنازل عن كل شيء .. ولا فائدة من الجدل .
- وماذا تنوين الآن؟
- سأعمل ممرضة ، وسأقوم بتمريره .
- كيف تعملين ممرضة .. إن التمريض يحتاج إلى دراسة .
- يجب أن تهدي وتبروي .
- إذا سأقوم بخدمته .. أظنهم لن يرفضوني مجرد خادمة؟
- ثم تهدج صوتها وقالت بتوسل :
- أرجوك .. لا تعقدى الأمور .. أرجوك أن تساعدنى .. كل ما أطلبه هو أن أكون بجواره .

وأغرورقت عينا صاحبها فضمتها إليها . . . وهمست في  
أذنها :

— لا تحزني . . سأفعل من أجلك كل شيء . . اعتمدى  
على الله وعلى . . . وليساعدك الله . . سأخرج معك ، ولكن  
بعد تناول الغداء . . إنك لاشك لم تتناوليه . . فيها بنا الآن  
نأكل لقمة تقيم أودك .

وتناولت بضع لقمات ، ثم خرجت وصاحبها إلى المستشفى .  
ولم تكن صاحبها تعرف كيف يمكن أن نفعل لها  
ما تريد ، ولكنها دعت الله أن يوفقها في سعيها .

ودخلا إلى المستشفى ، واتجهتا إلى حجرة المريض ،  
وهناك وجدتتا الأب والطبيب المشرف على العلاج .

وسألتهما صاحبها أن تبقى خارج الغرفة ، ودخلت هي  
وبدأت في عرض مطلبها .

ودهش الرجلان . . وهز الطبيب رأسه في حيرة وقال :  
— ولكن يجب أن تكون لديها شهادة .

— يا دكتور أرجوك . . إنها ستسهر على خدمته هو ،

ولن تقوم بعمل من الأعمال الفنية . ستكون ممرضة شكلا .

لقد تركت زوجها وابنها من أجله . . فيجب ألا تتخذها . .

ولا أظن هناك أي شيء يمكن أن يحول دون تطوع إنسان

لخدمة مريض !

وهز الطبيب كتفيه وقال لها :  
- أمرك .. دعها تلحق بي في المكتب .. حتى أتفاهم  
مع مدير المستشفى .

واتجه الطبيب إلى المكتب .. وبعد برهة لحقتا به ..  
ولم يستغرق الحديث وقت طويل .. حتى كان كل شيء  
قد انتهى .

وأخست وهي ترتدى ثياب الممرضات البيضاء أنها  
تقذف من فوق كتفها عبئاً ثقيلاً .. وتملكها إحساس  
المؤمن يبدأ جهاده .

وتركتها صاحبها عائدة إلى بيتها .. وهي تقول لها  
في حزن :

- ليعاونك الله .. إن ما فعلته .. غريب على البشر ..  
إنه عمل لا أتوقعه من مخلوق على الأرض .. ولكن منك  
أنت محتمل الوقوع .. لقد كنت دائماً أراك مخلوقة عجيبة ..  
ليرحمك الله .. وليجعلك لا تندمين على ما أتيت .

- لن أندم على شيء قط .. ما من شيء كان يمكن أن  
يسعدني في هذه الظروف إلا ما فعلت .. كل ما أطلبه من الله  
هو أن يحفظه ويرده سليماً .

يحفظه !! من أجل من؟!  
ويرده سليماً؟! .. لمن؟!!

لها هي؟ .. أم لزوجته الراقدة في فراشها؟  
أية سخزية هذه .. لقد ضحت بكل شيء .. لكي يتقده  
لغيرها؟! .

إنها الخاسرة في جميع الأحوال .  
لو ذهب إلى ربه .. فهي الخاسرة .. ولو عاد إلى بيته  
فهي الخاسرة أيضاً .

لو ذهب .. فسيذهب عنها .. ولو عاد فلن يعود إليها .  
لو عاد .. فسيعود إلى زوجته .. وستعود هي .. إلى  
أين؟! الله وحده أعلم بمصيرها .  
إنها ضائعة ضائعة .. مفقودة مفقودة .

ومع ذلك .. فما استقر في ذهنها شيء من هذا .. فقد كان  
ذهنها لا يتسع لشيء قط .. كان لا يملأ ذهنها إلا الجسد  
المسجى ، والوجه الشاحب ، والرأس المثقل بطاقة الثلج ،  
والذراع المربوطة إلى السقف بخرطوم الحقنة .. وبعد كل  
هذا .. الصوت العميق .. الهاتف باسمها .

إنه لم ينسها حتى في غيبوبته .. فكيف تنساه؟  
إنه ينادى .. فلا بد أن تلي ندائه! .. إنه لا شك في  
حاجة إليها .. في حاجة إلى حبها وعطفها .. وإجابتها هتافه  
باسمها .. بهتافها باسمه .. لقد كان ذلك هو أحب شيء إلى  
نفسها ونفسه .



وسارت بخطى ثابتة إلى حجرته  
ودفعت الباب برفق فوجدت الأب  
قد أسند برأسه على كفه .. وراح



في إغفائه .. فلم يكدر يسمع وقع أقدامها حتى تنبه من  
غفوته ، وهمست به في رفق :

— يجب أن تستريح الآن .. سأخذ دورى فى الخدمة .  
— بل سأبقى معك .

— يجب أن يريح أحدنا الآخر .. حتى نستطيع أن  
تتناوب الخدمة . أرجوك أن تذهب لتستريح الآن .  
ونفض الأب متحاملا على نفسه .. وقال ، وهو يفتح  
أحد الأدراج :

— عند ما تنتهى حقن الجلوكوز .. ستحضر الممرضة  
لإعطائه واحدة من هذه الحقن .. إنها موجودة هنا فى  
هذا الدرج .

ونظرت إلى داخل الدرج فوجدت أنه قد صفت فيه  
بضع « أمبولات » ، ووجدت بجوارها رزمة ورق .. لم  
يصعب عليها تمييز الخط الذى كتب عليها .

ولاحظ الأب نظرتها إلى الورق ، فقال فى صوت خافت :  
— هذا آخر ما كتب .. إنها قصته الأخيرة .

واغرورقت عيناه بالدموع وتهدج صوته ، وهو يتمتم  
قائلاً :

— لقد كانت السبب في انتكاسه ، وفي مضاعفة حالته ..  
لقد أمره الطبيب ألا يجهد نفسه ، ولكنه أصر على الكتابة  
ولو علت بما سيحدث ، لقتلت نفسي قبل أن أدعه يكتب .  
وغادر الأب الحجرة ، وأغلق الباب .  
وأخيراً .. أصبحت في خلوة .  
سخرية أخرى .. من نوع بديع .. لاشك أن القدر  
يصفق لها ، طرباً وإعجاباً .

أجل ! لقد باتا في خلوة .. وأية خلوة ؟  
ألم يكن هذا ما يتوق إليه ، وما طلبت هي منه في خطابها  
أن يقلع عنه ؟ فلما غضب أنباته بأنها ستذهب معه إلى آخر  
الأرض ، بل إلى آخر العمر ؟  
ها هي قد أتت إليه .. لا لتذهب معه إلى آخر الأرض  
بل إلى آخر السماء .

من كان يصدق هذا ؟  
إنه أضحي ملكها أخيراً .. ملكها وحدها .. هي خادمتها  
وعبدته .. ألا تجمعهما الآن وحيدتين غرفة واحدة ؟ !  
ألا يرقد أمامها على الفراش وحده .. وهي التي لم تكن  
تتمنى شيئاً قدر أن ترقد بجواره وتختبئ بين أحضانها ؟

ماذا تراه بقائل لو فتح عينيه ووجدها أمامه؟ لقد قال  
لها فيما مضى إنه لاشيء أحب إليه من التطلع إليها ومناجاتها ..  
أما يستطيع أن يتطلع إليها الآن .. ويناجيها؟  
وعلا صوته مرة أخرى هاتفاً باسمها .. هتافاً حاراً  
مخلصاً ، يذوب من الصبابة والوجد .. ومس الهتاف جسدها  
كما يمس تيار كهربائي ، وانتفضت مرتاعة ، وأخذت تقترب  
منه في بطة ، ولم تملك إلا أن تجيب هتافه .. بأحر منه .  
وأخذ يهتف باسمها ، وأخذت تجيبه ودمعها ينساب من  
عينها كالسيل المنهر .

آه لو يسمعها ! آه لو يحس بها !

واستمر في هذيانه قائلاً في رجاء حار :

— تعالى .

وأجابت باكياً :

— إني بجوارك يا حبيبي .. إني بجوارك .

وأخيراً عاد إلى صمته .

وانحنى عليه تمس بشفتيها وجنتيه .. وتغرق بدمعها

وجبهه ، وحتى أحست بأنها تكاد تنهاوى فهبطت فوق المقعد .

ومضت فترة سكون عجيب كانت تبدو كأنها في غيبوبة .

فلم تفق إلا على صوت الباب يفتح ، والمرضة تدخل

لتعطي الإبرة للمريض .

وبعد لحظات انتهت الممرضة من عملها .. وغادرت  
الغرفة .. ومرة ثانية ضمتهما الخلوة .

وجذبت المقعد بجوار الفراش ، وجلست ملاصقة له ،  
واضعة كفه بين كفيها .. مقبلة إياها بين آونة وأخرى .

وأتى بعض زوار .. ثم انصرفوا ، وهم أشد حزناً ..  
ثم أقبل الليل ، وأخذت الممرضة تلقنها بعض الواجبات  
التي يجب عليها عملها .. ثم تركتها وحدها .

وجلست ترقبه .. وكانت تجده بين آونة وأخرى يقلب  
رأسه يمنة ويسرة في تمليل وضيق .. ثم يطلق تهيدة حارة ،  
أو آهة متوجعة ، فتحس كأن نياط قلبها تتمزق .

ومضت الساعة تلو الساعة ، وهي جالسة في مقعدها  
لا يغمض لها جفن .. وأحست بصداع شديد يطرق رأسها  
فقامت إلى الدرج الذي به « الحقن » تبحث فيه عليها تجد  
قرصاً من الإسبرين .

ولم تجد سوى الحقن .. والورق .  
وأخذت تحرق في الورق .. وخيل إليها أنها تسمع  
صوت الأب يقول : ..

— هذا آخر ما كتب .. إنها قصته الأخيرة .

« القصة الأخيرة » .. لقد قال لها إنه سيكتب قصتها ..

وسيسميا القصة الأخيرة ، وأنبأها أنه سيجعل كاتبها يكتبها

وهو على فراش الموت ، يلفظ آخر أنفاسه .

أيمكن أن يكون قد حدث هذا ؟ !

لا . . . لا . . . إنه لم يلفظ آخر أنفاسه .. ولن يلفظها !

إنه يتنفس بانتظام .. وسيفيق من غيبوبته قريباً . قد يصيبه الشلل ، ولكنه سيقبض على قيد الحياة .. سيتحدث ويضحك وسيبقى حياً .

ولكن ترى ماذا كتب ؟

أتراه قد كتب عنها حقاً . . أم تراه قد نسيتها فيما نسي ؟ !

أطواها قلبه كما طوى غيرها ؟ . لقد قال لها إنه لا يستطيع

أن يعيش بغير حب . . فهل استطاعت واحدة سواها

أن تحتل مكانها كما احتلت هي مكان سواها ؟

من يدري ؟ .

ترى ماذا كتب ؟

ومدت يدها فأمسكت بالأوراق . . وبدأت في قراءة

بضعة الأسطر الأولى .

وضغطت بأسنانها على شفيتها حتى كادت تدميها .

إنها قصتها هي . . بل إنها رسالته إليها !

إنه يناجها .. ويعتب عليها هجره ونسيانه .

لقد كتبها من أجلها .. وفاء بوعدده لها .

وعاد قول أبيه يطن في أذنيها :

— لقد أصر على كتابتها .. وكانت السبب في انتكاسه  
ومضاعفة حالته .

ليتها مارجته أن يكتبها .. ليها ماتت قبل أن تسبب ذلك  
الجهد له !

وأمسكت بالورق ، وجلست على المقعد تقرأه بنفس  
مضنية ، وقلب محروق من اليأس والعذاب .

\*\*\*

وأخيراً انتهت من قراءتها .  
وسقطت رأسها على صدرها في إعياء ويأس .  
وعادت تستعيد ما قال :

— لا بد أن أضع لها خاتمة من عندي .. أجعلك مثلاً  
تعودين في اللحظة الأخيرة نادمة مستغفرة .. ولكنك  
تجديني قد ذهبت .

لقد عادت إليه .. غير نادمة ولا مستغفرة .. لأنها لم  
تنس قط .. ولم تهجره ولا تسلوه .. إنها ما كفت عن حبه  
لحظة واحدة .. ولا شغلت نفسها بغيره .

إنها عادت إليه .. ولكن قبل أن يذهب .. إنه لن  
يذهب قط .. إنها ستعيده إلى الحياة .

إنه لن يذهب أبداً وهي بجواره .

إنه سفيق من غيبوبته ويراها .. ويعرف أنها تحبه كما

أحبه دائماً .. وكما ستجبه إلى الأبد .  
أجل ! ستدفع عنه ما أحزنه .. وتعيد الثقة في نفسه ..  
فيها وفي البشر ، وفي الحياة .. ستجعله سعيداً .. سعيداً ..  
ومن غيرها أقدر على ذلك ؟  
إنها لن تتخلى عنه قط .. ستكون له كما يشاء .. وعلى  
أى وضع يريد ..  
ما أشد حمقها لو حاولت بعد ذلك أن تتمسك في هذه  
الحياة القصيرة الزائلة المعقدة .. التي لا منظم لها سوى قدر  
ساخر ، ولا محرك فيها سوى قوة جائرة لا تبغى سوى الهزل  
بنا والعبث بمشاعرنا وبرغباتنا !  
ما قيمة حياة طويلة رتيبة مملة قاتلة .. إذا قيست بلقاء  
بين ذراعيه واستسلام تحت شفتيه ؟  
ما قيمة حياتها لو لم تتخللها بضعة الأشهر التي تمتعت فيها  
بجبه ؟ لقد منحها من السعادة ما يجعلها تشعر أنها قد أخذت  
أكثر من نصيبها من الحياة .. وما جعلها تشعر أنها الراححة  
مهما لقيت من صنوف العذاب والشقاء .  
إنها ستعيده إلى الحياة .. وتعيد نفسها إليه .. ليفعل بها  
ما يشاء ، ولن تحاول صده أو هجره أو البعد عنه .. ليقل  
الناس عنها ما يقولون .. إنها مجنونة شاذة .. ولن تعبأ  
بأقوال العقلاء الطبيعيين .

فقط .. لو يعود إلى وعيه .. لو يحس بها ويراهها ! ..  
ويغفر لها ما قد ظنه بها !

ولكن لم يبد لها أن هناك أية فائدة .. فلقد استمر  
في رقدته محرراً رأسه يمنة ويسرة في ضيق وتمليل .. مرسل  
الآهة تلو الآهة .. فإذا ما كف عن التمليل والآهات ..  
اندفع يهذي .. تارة باسمها ، وتارة بخليط مشوش من  
الأقوال والنداءات ..

ومرت بها الأيام وهي مشدوهة تائهة .. تمر بها أشباح  
الزائرين ، الرائحين والغادين دون أن تميز لهم وجهاً ، فما كانت  
تبصر إلا وجهه الذي يزداد هزالاً وشحوباً يوماً بعد يوم .  
واستمر الجلو كوز وغيره من الحقن تدفع في دمه وهو  
مسحى لا حراك به ، وبدأ يداخلها إحساس أليم باليأس ..  
فما كانت ترى من حولها ما ينبئ بأن هناك بادرة رجاء ،  
أو بارقة أمل .

كانت الوجوه كلها عابسة مقطبة والنفوس تفيض  
باليأس والمرارة .

وجلست ذات ليلة في مقعدها ترقبه في حزن وهو  
يتمليل ويتأوه .. وطاف بذهنها كيف قال لها ذات يوم :  
إنها مسلبة ، وكيف حاولت بعد ذلك أن تكون مسلبة  
وكيف تعلمت الوضوء والصلاة ، وقراءة القرآن .

ولقد نسيت كل ذلك بعد زواجها .. لقد جعلها اليأس  
تكفر بكل شيء ..

تري لم لا تعاود صلاتها الآن .. وتجرب أن تلجأ  
إلى الله عسى أن يعيده لها؟

وأحست من تفكيرها بسكينة كبرى ، وبدت لها في  
الظلمات بارقة أمل ، ولم تفتأ حتى قامت إلى الحوض الأبيض  
الصغير فتوضأت .. ثم افترشت منشفة على الأرض ..  
وأخذت في الصلاة .

ولم يكن في ذهنها إلا هو .. كانت تردد صلاتها برجاء  
واحد .. هو إعادته إلى الحياة .

وكانت تحرق في سقف الغرفة وهي راكعة ، وكأنها  
تبصر الله من خلاله ، وأخذت تتمم هامسة :

— يارب .. أنت تسمعني . أعده إلى يارب ، ولو بضعة  
لحظات .. لست أطمع في كثير .. بضعة لحظات فقط ..  
ألقاه خلالها قبل الفرقة الأخيرة .. لقاء أخير يارب هو  
كل ما أرجو منك .. أريد أن أمسك يده ، وأحدثه ..  
أريده أن يشعر بي .. ويعرف أنني عدت إليه .. وأني  
أحبه ، وسأحبه حتى أموت .. وبعد أن أموت .. لو يكون  
في قدرتي أن أشعر وأن أحب .. أريده أن يموت قريباً  
هائلاً سعيداً .



أعده إلى يارب .. لحظة واحدة .. دعه فقط يراني ثم  
يذهب .. يارب اغفر لي ولا تؤاخذني بما سبق من خطاياي -  
ارحمي الآن فقط ، وعذبي بعد ذلك كما تشاء .. أريده  
يارب .. بضع ثوان .. ليس هذا عليك بكثير .

وقطع عليها همساتها الداعية .. صوت تهيدة طويلة  
انطلقت من صدره ، وأعقبها آهة حارة .. وازداد تمليل  
رأسه وحركته فوق الوسادة .

ونَهضت بسرعة فوقفت بجواره وانحنت عليه تسمع  
بكفها جبينه .. كانت أنفاسه تتلاحق ، وبدا عليه كأنه يبذل  
جهداً .

وتلاحقت أنفاسها كأنما قد شدت إلى أنفاسه .. وخفق  
قلبا بشدة .

أيمكن أن يكون الله قد استجاب إلى دعائها ؟ !

أيمكن أن يكون في طريقه إليها ؟

أيمكن أن يعود حقاً ؟

وبلا إرادة .. أخذت تهتف باسمه .. كأنما تراه مقبلاً  
من بعيد وتتعجل قدومه .

أخذت تهتف ، وتهتف .. هتافاً من أعماق الأعماق ..

لم تكن تهتف بشفتيها .. بل بروحها وقلبا .

إنه لا بد أن يسمعها ، ولا بد أن يعود !

و فجأة كفت عن الهتاف .

فلقد كف هو عن التمليل ، وكف عن التأوه .

إنه لا شك عائد .. عائد .. إنه سيفتح عينيه ، ويرأها  
ويتحدث إليها ...

وأحست به يأخذ شقيقاً طويلاً .. بلا زفير ، وشقيقاً  
ثانياً ، وثالثاً .

وبعد ذلك ساد سكون عجيب .. لا شقيق ولا زفير ..  
ولا تمليل ولا تأوه .

وساءلت نفسها في فزع : ما سر هذا السكون ؟ . لقد  
خيل لها أنه عائد إليها .

أيمكن أن يكون قد ذهب ؟ !

ذهب نهائياً .. بلا أمل في عود .. أو رجاء في لقاء ؟  
وملئت أصابعها مشنجة في دعر شديد ، وبمنتهى البطء ،  
وضعتها على طاقى أنفه .

لقد كانت هذه الوسيلة الوحيدة التي تعرفها لتميز  
الموتى من الأحياء .

ولم تحس بهبة نفس تصدم أصابعها الباردة .  
ولكنها لم تقتنع .

إنه لا يمكن أن يذهب .. لقد كان عائداً إليها .  
وأحست بجسدها ينهار ، وتهاوت فوق الجسد المسجى

تضمه إليها وتضع وجهها على وجهه .. كانت تتشبث به .  
وشعرت ببرودة وجهه تحت لحيب وجهها ، واندفعت  
تنشج في بكاء عنيف .

ولم تشعر بالباب حين فتح ، ولكنها أحست بيد تمس  
كتفها ثم تجذبها من ذراعها محاولة دفعها عن الفراش .  
وسمعت صوتاً يسألها :

— ماذا بك ؟ ! ماذا حدث ؟

وتحاملت على نفسها ونهضت عن الفراش ، وأشارت إلى  
الجسد الساكن وهي تضغط بأسنانها على شفيتها وهمست :  
— لقد ذهب .. انتهى كل شيء .

وأقبلت الممرضة الأخرى تتحسس الرافد ثم جذبت  
الملائة البيضاء .. فغطت وجهه ، وجذبتها من ذراعها خارج  
الغرفة وهي تقول أمرة :

— تعالى .. لا فائدة من بكائك .

وسارت معها بلا مقاومة .. فقد كانت لا تملك المقاومة .  
كانت بلا وعي ، ولا حس ، ولا قوة ، ولا إرادة .  
ومن العبث أن تحاول أن تتذكر كيف مرت بها الفترة  
التالية بعد ذلك .

كانت أشبه بالضائعة .. الضالة .  
بل كانت فعلاً ضائعة ضالة .. كانت أشبه بالمتحركة

في سحب ثقيل معتمات سود .  
لقد غادرت حجرته ، وجلست في حجرة المرضات  
صامتة واجمة .. لا بكاء ولا دموع ، ولا صوت ولا حركة .  
لقد انتهى كل شيء .

كان هذا هو ما يسيطر على ذهنها .

انتهى .. انتهى

ليت مرضه قد طال ؟ . ليتسه استـ . في غيبوبته إلى  
ما لا نهاية ؟ ! لقد كانت على الأقل .. راه ، وتسمع أناته  
وتتحسس يده .

كانت تخدمه وتسهر عليه .

كانت تشعر أنه لها ، وأنها تابعة له .

أما الآن .. فقد فقدت كل شيء .

إنها لا تستطيع أن تضم جسده .. أو تشيعه .. إنها  
لا تملك إلا التباعد والازواء .. فهي لا تملك حتى حق البكاء  
عليه ، فهي بالنسبة إليه .. لا شيء .

لا شيء أكثر من ممرضة .

ولم تك تعرف إلى أين تذهب ؟ وماذا تفعل ؟ وهي  
شريدة منبوذة .. لقد تركت بيتها وزوجها وابنها ، وهي  
لا تندم على ما فعلت ولا تفكر قط في العودة إليهم ، وهي  
كذلك لا تستطيع العودة إلى أقاربها ، فهم لا شك قد لعنوها

وتبرءوا منها . واعتبروها مجلبة للعار .  
ليفعل القدر بها ماشاء .. فلا تظن أنه قد بقي لديه شر مما  
أعطاه .. لقد وهبها أسوأ ما عنده ، وكل ما يهبها لها بعد ذلك  
محمّل .

وفي وسط مغممة الموت .. خيل لها أنها أضحت عند  
الجميع نسياً منسياً .. ولم تمض برهة حتى أقبل عليها الأب  
العجوز الذي لم تنسه الهمّة القاتلة أن يسأل عنها ويذهب  
إليها فيضمها إليه باكياً ويقول لها :  
— لست أدري ماذا أقول لك ؟ ولا كيف أكافئك ؟

فلست أملك ما يساوى فعلك ، ولكن ...  
ثم مدّ إليها يده برزمة الأوراق التي كانت في الدرج  
وأزدف قائلاً :

— خذي هذا فإني أظن أنك أحق الناس به . لقد قرأت  
ما به ذات ليلة . فلم أشك في أنه قد كتبه من أجلك .. خذيه  
إنه ملكك ، وليرعاك الله .. فإنك لم ترتكبي إثماً ، ولم تأتي  
ذنباً ، ولا تستحقين إلا كل عطف ورعاية .

وملأها قوله بعزاء عجيب .. كانت المرة الأولى التي  
تسمع من إنسان .. أنها لم تخطيء ولم تذنّب ، وأنها  
تستحق كل عطف ورعاية .

الحمد لله أن جعل هناك من يفهم مشاعرهما ويقدر تضرّفها .

ولم يكده العجز بودعها .. حتى أقبلت صاحبها  
فضمتها إليها ، وقالت لها في لهجة شفوقة وإن كانت لم تحل  
من تأنيب :

— كنت أعلم أن هذا سيحدث ، والآن ماذا أنت فاعلة ؟  
هيا بنا إلى البيت لتتدبر الأمر .. فلا أظنك تستطيعين  
الجلوس والتفكير إلى ما لا نهاية .

ولم تكن هناك فائدة من مقاومة صاحبها .. بل لم يكن  
هناك موجب للجدال والمناقشة ، وإلا فأين ستذهب إذا لم  
تذهب معها ؟

وأضمت بضعة الأيام التالية في بيت صاحبها ، وهي في  
حالة ذهول تام .. منهارة النفس ، متداعية الجسد .. لا تكاد  
تتناول إلا ما يقيم أودها ، ولا تذوق النوم إلا لماما .  
وأخيراً .. بدأت تفكر .

ما المصير ؟ وما النهاية ؟ إلى متى ستظل هكذا عبثاً على  
صاحبها ؟ . إنها لو احتملتها اليوم فلن تحتملها غداً ، وإذا  
احتملتها غداً فلن تحتملها بعد غد .. إن لكل شيء نهاية .  
والكرم إذا طال .. انقلب ضيقاً وتبرماً ، وهي لا تستطيع  
قط أن تفكر في أن ترغب أحداً على إيوائها وإطعامها .  
يجب إذاً أن تفكر في حل لمصيرها .

ولكن علامَ كل هذا الإجهاد والحل ميسور؟  
لماذا لا تعمل ممرضة كما كانت .. لمَ لا تستمر في العمل  
بالمستشفى؟! إنهم لا شك يقبلون إيوائها وإطعامها .. نظير  
خدماتها .

إنها لا تريد سوى الكفاف ، من المأوى والمأكل  
والملبس .. إنها تريد أن تقبع بعيدة عن الناس ، وستهيء  
لها خدمة المرضى الكثير من راحة البال والضمير .  
وفي ذات ليلة أنبأت صاحبها بعزمها على الرحيل في الغد  
لكي تعمل في المستشفى .

وذهلّت صاحبها ورفعت حاجبيها متسائلة في دهشة :

— تعملين؟ أين؟

— في المستشفى .. ممرضة أو خادمة .. أو أى عمل  
يضعونني فيه .

— ما هذا الذى تقولين؟ ألم يكفك كل هذا الهوس

الذى مضى؟ يجب أن تعودى إلى رشدك الآن .

— وماذا تريدني أن أفعل .. وأى عمل أستطيع أن

أعيش منه سوى هذا؟

— عمل؟! وما الذى يجبرك على العمل؟ ولماذا

لا تعودين إلى بيتك أو إلى ذويك؟

— بيتي؟ وذوي؟ إنك حسنة النية جداً .

— بل أنت الحقاء المجنونة .. إن كل شيء يمكن أن  
يغتفر . لم لا ترجعين إلى بيتك ؟ ولا شك أن زوجك  
سيغفر لك وسيسمح لك بالعودة !

— أولاً .. هو لن يغفر ، وثانياً ، أنا لن أقبل غفرانه  
ولن أعود إليه بعد ما فعلت .  
— وذويك ؟

— ولا ذوى ، إني لست محتاجة لأحد . إني أعرفهم  
جيداً .. إنهم قوم نفعيون ، أنانيون ، كفاني ما رأيت منهم .  
لقد نشأت بينهم كأي في صحراء أجدبت من قطرة خنان .  
إني لم أعد صغيرة ولا عاجزة ، وسأعرف كيف أعول  
نفسى .

— على أية حال ، ليس هناك وجه للعجلة .. إنك في  
بيتك ، ولن أضيق بك ذرعاً . امكثي معي حتى يحلها ربنا .  
« يحلها ربنا » وانطلقت منها ضحكة قصيرة ساخرة  
وأجابت :

— ربنا يأبى أن يحلها في وجهي .. لا بد أن أحلها أنا .  
سأذهب غداً إلى المستشفى .

— لا تكوني عنيدة .. امكثي بضعة أيام !

— لا داعي للتأجيل .. لن يكون هناك فارق كبير بين  
اليوم وبعد بضعة أيام .

— ابقى على الأقل إلى ما بعد غد ، حتى يدبرها المولى .

— قلت لك لن يدبرها المولى !

— سأدبرها أنا .. صبرك على ..

ولم تملك إلا أن ترفع كتفها في يأس وتجيب :

— كما تشائين .

ولم يكن يخطر على بالها كيف تتوى صاحبها أن تدبرها ،

بل لم تكن تظن قولها أكثر من مجرد رغبة في استبقائها ، ولم

تشأ أن تستمر في جداولها ، قائلة لنفسها إنه لن يضيرها أن

تمسكت يوماً أو يومين أو حتى بضعة أيام ، لا سيما وأن

البيت لا يحتوى إلا على أمها العجوز الطيبة التي لا يكاد

يحسن بها أحد .. فهي والأمر كذلك .. لا تثقل على أحد .

ولكنها في اليوم التالي فوجئت بصاحبها .. وقد أقبلت

عليها قبيل الظهر بعد غيبة ساعتين خلال الصباح ، وتبينت

في وجهها تهماً وضيقاً .

ولم يكف يستقر بها المقام حتى سألتها مستفسرة :

— ما بالك ؟ ! إنك لا تبدين مسرورة ! .. هل هناك

ما يضايقك ؟

وهزت صاحبها رأسها في أسف وأجابت :

— لم أكن أظن البشر يمثل هذا الحقد والسوء .

— كيف ؟ ماذا حدث ؟

— لقد ذهبت إليه .. وحاولت استغفاره .. ولن  
أحاول أن أصف لك كيف قابلني .. لقد ازدراني كما يزدرى  
متسوّلاً حقيراً .. ولم يجلس معي سوى بضع لحظات  
ثم نهض بعدها قائلاً لي : « إن الأمر قد انتهى .. أخبريها  
أن لا أمل يرجي لها في العودة .. وأنبئها أنها لن ترى ابنها  
ما دمت على قيد الحياة .. ومن الخير لها .. أن تبقى في  
المستشفى لخدمة المرضى » .

وأحست من قولها بطعنة أليمة .. ليست من الخذلان ،  
بل من الإذلال .. ولكنها كتمت ما في نفسها .. إذ لم يكن  
من العدل أن تثور على صاحبها .. وهي التي عرضت نفسها  
للخذلان من أجل ما ظنته مصلحتها .

وتمالكت نفسها وقالت في هدوء :

— كان يجب عليك ألا تذهبي .. على أية حال ..  
الحمد لله أن خذلك هو .. لأنه لو رضيت عودتي .. لخذلك  
أنا ورفضت العودة .

وكانت تقولها في عزم وصدق ، رغم أنها كانت تعتقد  
أن صاحبها لن تصدق إلا أنها مجرد « مقابحة » .  
وفي اليوم التالي كانت تسير وإياها إلى المستشفى ، ولم  
يستغرق الأمر كثير جهد .. حتى عيّنت بالخدمة فيه ..  
وارتدت ثياب المرضات .

ومضت بها الأيام وهي مجدة في عملها .. مخلصه فيه ،  
وكان لديها من ذكائها وثقتها .. ما يجعلها تهيء لنفسها  
مركزاً طيباً ، حتى أضحت في بضعة شهور ممرضة ممتازة .  
وعاشت حياتها في المستشفى شديدة الانطواء على نفسها  
مكبته على عملها .. لا تكاد تجد لحظة للخروج أو التفكير .  
ومنحها عملها الجديد .. خير ما يمكن لمثلها من عزاء  
وتهدئة وصبر .

ووطنت نفسها على أن تقضى حياتها في المستشفى .. ولم  
تعد تطمع في أى شيء .. حتى ذلك الحين إلى ابنها الذى  
كان يخزها بين آونة وأخرى استطاعت أن تسكته تماماً ،  
لا سيما وأنها كانت تعرف أنه قد سافر مع أبيه .. وأن من  
المستحيل رؤيته .

لقد أدركت أن أكثر ما يشقى الإنسان في حياته هو  
رغباته .. حقيقة أنها قد تمتعه قليلاً .. ولكنها تحمل وراء  
تلك المتعة كل مسببات الشقاء .. شقاء السعي ، وشقاء الخيبة  
وشقاء الحرمان .. وحتى بعد الحصول عليها .. تحمل  
شقاء الملل .

فلو أمكن للإنسان أن يجد من رغباته .. من  
شقى الأنواع .. وأن يعيش بلا رغبات .. فقد سيطر على  
حياته وملك زمامها .

وكذلك عزمت هي على أن تكون .  
كانت تحيا بلا رغبة . . في أى شيء .  
لقد كانت لها رغبة وحيدة . . ذرتها ربح الزمن . .  
ومزّقا القدر . . فيجب أن تعيش بلا رغبة ولا أمل . . إنها  
الرابحة . . فلقد تناولت مرة واحدة كل ما يخصها من متعة  
والم ، وعليها الآن أن تقطع طريق الحياة بلا أمل ولا رغبة  
ولا متعة ولا ألم ، ولا سعادة ولا شقاء .  
وقد بدا لها أنها على هذا النمط قد استقرت حياتها ،  
وإلى هذه النهاية قد انتهى أمرها .  
حتى أقبلت عليها إحدى الخادمت ذات يوم . . تنبهها  
أن هناك من يطلبها في المكتب .  
ولم تشك في أن صديقتها قد أتت لزيارتها ، فتمد كانت  
لا تفتأ تزورها بين آونة وأخرى ، حاملة لها بعض الهدايا .  
وسألت الخادمة من باب تحصيل الحاصل :  
— من الذى يريدنى ؟  
— رجل .  
— رجل ؟ !  
قالتها فى دهشة شديدة . . وعادت تسأل نفسها . .  
رجل ؟ ! ! أى رجل هذا الذى يسأل عنى ؟ ومنه ؟  
ونم يطل بها التساؤل . . حتى وصلت إلى المكتب ،

ودفعت الباب فإذا بها تجد نفسها أمام الأب العجوز .  
ونفض الرجل ومد يده إليها مرحباً ، وبادلته الترحيب  
مخلصة . . فقد كانت تكن له حباً عميقاً . إنه الشيء الوحيد  
الباقى من روحها الذاهبة .

إنها تبصر في وجهه المتغضن ، وشعرة الأشيب . .  
وقامته المهيبة . . صورة حبيبا . . إن عليه سيماء الكبرياء  
التي كانت تلازم ابنه ، الكبرياء الظاهرة التي ملؤها الدماعة  
واللطف والرقه والمرح

وجلس الاثنان ، وبدا الحديث متعذراً في أول  
الأمير ، وقطعت هي الصمت الذي ران بسؤالها . . ذلك  
السؤال التقليدي :

— كيف الحال ؟

وأجابها هو الإجابة التقليدية :

— الحمد لله . . وأنت ؟

— الحمد لله الذي لا يحمد على مكروهه . . الدنيا

تسير :

ومرة أخرى ساد الصمت ، وأخذت الأفكار تتزاحم  
في مخيلتها . . ماذا حدث ؟ . وماذا يريد ؟ وفيم مجيئه لها ؟  
أريد أن يعطينا شيئاً ؟ . . أوراقاً أخرى كتبها حبيبها  
الراحل ؟ أم ترى يريد أن يأخذ الأوراق التي أعطاهما

إياها .. زادهما في الحياة ، وتعلتها في الوحشة والفراغ ؟  
أم تراه يريد أن يمنحها أجراً .. ولكن متى ؟ .. بعد  
هذه الأشهر ؟ .. ولكنها لن تقبل منه شيئاً .. إنها ليست  
مرضة مأجورة ، وماذا تكون إذا ؟ ! وماذا تسمى هذه  
التقود التي تتناولها آخر كل شهر .. أليست أجراً ؟ أليست  
هي ، مرضية مأجورة ؟ .. ولكنها لم تكن كذلك .

وقطع الرجل عليها سيل أفكارها بقوله :

— لقد أتيت إلى هنا لأنني أريد مرضية ، ولم يخطر ببال  
أنك ما زلت هنا .. حتى أنبأتني الخادمة التي قابلتها بوجودك  
فأحسست بغبطة لأنني أستطيع رؤيتك .

— أنا أيضاً أحسست بنفس الغبطة .

— وإني لأرجو أن تساعدني في الحصول على مرضية .

— لأجل من ؟ أبعده الله الشر ؟

— لأجل زوجة ابني .

— أما زالت مرضية ؟

— إنها توشك أن تضع .

وكان قوله آخر ما كانت تتوقع .

تضع ؟ ! لماذا ؟ .. لماذا تضع ؟ وكيف ؟ .. إنها تذكر أنه  
قال لها إنه ما من سبيل له إلى الأبناء .. وأن امرأته لن  
تضع .. لأنها أجرضت في أول حمل لها ، وقد قرر

الأطباء أنها لو حملت بعد ذلك فستعرض حياتها للخطر .  
كان ذلك من أسباب تنغيص حياته .. فلشد ما كان  
يتوق إلى الأبناء ، ولقد أمضى حياته بلا أبناء .. فلم يكده  
يذهب حتى قرر القدر أن يرزقه بهم  
ولم تملك إلا أن ترفع حاجبيها في دهش وتقول لنفسها  
« برافو أيها القدر » .

ثم أخذت تردد للرجل قوله في ذهول :  
— إنها توشك أن تضع ؟  
— أجل .. لم يبق سوى بضعة أيام ، وحالتها تزداد  
سوءاً يوماً بعد يوم .  
— ولكنني أعلم أن الأطباء أمروا ألا تحمل .. خشية  
على حياتها ؟

— لقد أمضت عشر سنوات بلا حمل ، وقبل الحادثة  
ببضعة أيام .. تركت نفسها تحمل .  
وران الصمت برهة وعاد الرجل يتساءل :  
— أستطيع أن أجد ممرضة جيدة ؟ إنني وحدي معها  
في البيت .. وليس معنا سوى خادمة وطاه ، ولا بد أن  
يعتنى بها إنسان يعتمد عليه .. ولا شك أنك تعرفين  
الممرضات هنا جيداً ، وتستطيعين أن تدليني على واحدة .  
وجأة .. أجابت :

— سأذهب أنا معك .  
قالتها بلا سابق إنذار .. لا له .. ولا لها .. لقد فاجأته  
بقولها .. كما فاجأت به نفسها .

وحملق فيها الرجل وتساءل في عجب :  
— أنت ! .. تذهبين معي ؟ . أنت تقومين بتمريرها ؟  
وفي إصرار وحزم أجابت :

— أجل .. سأذهب .. إذا لم يكن لديك مانع .  
— مانع !! أبا .. أبدأ .. أيمكن أن أصطحبك  
حتى الآن ؟

— انتظري برهة حتى أعد نفسي .  
وتركت الرجل وسارت في عجلة لتستبدل ملابسها .  
وانطلق ذهنها يصيح بها :  
قفي .. أيتها الحمقاء .. ماذا تفعلين ؟ . وإلى أين أنت  
ذاهبة ؟ علام تذهبين من دون سائر المرضات ؟ ولم قرجين  
بنفسك مرة أخرى في معمعة قد تخلصت منها نهائياً ؟ مالك  
ولزوجته وأبيه وبيته ؟ اقبعي في مقرك .. وكفى اندفاعاً !!  
أهدئي في حياتك الرتيبة الراضية .. أعيني نفسك على البرء  
والنسيان ! ؟

أية مخلوقة أنت ؟ إن الرجل لم يسألك الذهاب ، ولكنه  
سألك أن ترشديه إلى مرضة .. فلم زججت بنفسك

في الموضوع .. إن هذا آخر ما كان يجب أن تفعله؟  
تمرضين زوجته؟ .. وتلقين ابنه؟ .. وتأمين في بيته؟  
وربما على فراشه؟ .

استريحي يا بنية! . استريحي! . وكفاك ما لقيت من  
أنفعال وعناء .. إرسلي أية ممرضة أخرى .. أية مخلوقة على  
ظهر الأرض سواك .. ستكون أصلح منك .. فلن تحس  
بأى إحساس لما حولها .. ولكن أنت؟ .. تتجولين في بيته  
وتعيشين مع زوجته .. هذا جنون!

كوني عاقلة .. أرجعي إلى الرجل .. وقولي له .. إنك  
وجدت ممرضة جيدة ستذهب معه .. أجل! أجل! إذهبي  
إلى إحدى الممرضات وكلفيها بالذهاب معه .  
وهكذا ظل الذهن يهتف بها ملحاً مقنعاً ، وظلت هي  
في الوقت نفسه تواصل ارتداء ملابسها ، وإعداد نفسها ،  
وكان صيحات الذهن ليست لها .

إنها مخلوقة عنيدة .. لا ترجع عن غيرها . .  
ولو لم تكن كذلك .. لما صارت إلى ما هي فيه الآن .  
وبعد لحظات كانت تهبط الدرج معه .. ثم استقرت  
في العربة بجواره .

إنها نفس العربة ، ونفس الجلسة التي كانت تجلسها فيما  
مضى .. لا فارق بين أمس واليوم .. إلا أنها استبدلت

بالابن الأب .. أجل لافارق بين الجالس أمس والجالس  
اليوم .. إلا جيل واحد .

وأخذت الدور تمر عليها بسرعة ، وهي جالسة في العربة ،  
مرت غمره ثم السكاكيني وشارع الملك والعباسية ، ودلفت  
العربة في طريق الخليفة المأمون .. عابرة مزلقان العباسية .  
ثم سارت بجوار ثكنات الجيش حتى منشية البكري ..  
ثم اتجهت يساراً في أحد الشوارع الجانبية ، وبعد دورة أو  
دورتين وقفت العربة أمام فيلا بادية الفخامة .

ونزل من العربة وتبعته إلى الداخل عابرة الحديقة  
الأنيقة الوارفة الظلال ، ودق الجرس ، ثم وقفا برهة أمام  
الباب الداخلى .. حتى فتح الباب خادم صغير ، وتحنى عن  
الباب مفسحاً الطريق للداخلين .

وأحست بأنفاسها تتلاحق وبقليها يخفق بشدة ، وقبل  
أن تخطو إلى الأمام مجتازة الباب .. تمنّت لو استطاعت أن  
تنكص على أعقابها وتفر هاربة من حيث أتت .

لقد أصابها إحساس المقدم على خطر لا يعرف كنهه  
أو مبلغه ، فهو يظل مندفعاً إليه غير هيب .. حتى إذا  
ملاح الخطر وصادفه وجهاً لوجه .. خارت عزيمته ..  
وخذلت قواه .

هذا هو ما أصابها ، وهي تخطو الخطوة الأولى إلى الباب .

لقد أحست بمبلغ حقها وجنونها ، وخيل إليها أن الكل  
سيمسكون بتلابيبها ثم يقذفونها خارج الدار .  
أجل ! .. إنهم سيعرفونها .. سيقولون .. هذه هي  
حبيبته .. هذه هي التي كانت تريد أن تنزعه من زوجته  
ومن بيته .

لقد تملكها إحساس عجيب بالخطيئة ، وكأنها توشك أن  
ترج بنفسها إلى القصاص .

ومع ذلك لم تملك إلا أن تسير وراء الرجل فتجتاز  
الممر القصير المفضى إلى الردهة .. ثم تقف مترددة برهة  
وهي تراه قد صعد درجاً خشبياً مفضياً إلى الدور العلوى .  
ولاحظ ترددها فنادها في أدب :

— تفضلي اصعدى .. إنها راقدة في الدور العلوى .  
ما كان عليها من هذا كله !؟ أما كان خير لها أن تقبض  
آمنة في المستشفى بين مرضاها المجبولين ؟  
وصعدت السلم .. ووصلت إلى القاعة العلوية ، فوجدت  
خادمة عجوزاً في انتظارهما ، وقال الرجل للخادم الصغير وقد  
وجدتها ما زالت تحمل حقيبة التمريض :  
— خذ الحقيبة من الهانم .

الهانم ؟! لا .. لا .. يجب أن يكون الرجل أكثر  
حرصاً .. إنها ليست بهانم .. إنها مجرد ممرضة .

رمد الخادم يده فتناول الحقيبة ووضعها على منضدة  
وسط القاعة ، وسأل الرجل الخادمة العجوز :  
- كيف حال سيدتك ؟

- كما هي .. لقد نامت نصف ساعة .. تم استيقظت  
ثانية ..

- أمي الآن يقظي ؟

- أجل .

ووجه الحديث إليها قائلاً :

- تعالي .. تفضلي .. هذه هي حجرتها

ومرة أخرى أصابها نفس الخور والانهيار الذي  
أصابها عند ما همت باجتياز باب البيت ، ولكن هذه المرة  
كان أشد .. حتى لقد همت بأن تقول صارخة :

« لا .. لا .. أعيدوني . ارحموني . لا أريد أن أراها

إننا غريمتان .. طالما كرهتها ، وحقدت عليها ، وتمنيت لها

الموت .. طالما تخيلتها جالسة فوق ساقيه ، أو راقدة بين

أحضانها ، كان ذكرها يقتلني قتلاً .. كلاً .. كلاً . لن أدخل

إليها ، ولن أمرضها ، ابجثوا لها عن مرضة أخرى واركوني

أعد .. أطلقوا سراحي .. لقد تبت إلى الله .. ما عدت

أفكر في مثل هذا الحق مرة أخرى .»

كان الهاتف يصيح بها في داخلها ، وكانت قد ماها تعبران

الغرفة كأنها منساقة بدافع داخلي ، لا قبل لها على وقفه أو  
مقاومته .

وأخيراً وقفت في الغرفة .. غرفة غريمها .. أو غرفة  
حبيبها .

وكان أول ما صدمها ، صورة مكبرة له بالألوان ،  
نفس الصورة التي أعطها لها مصغرة والتي ما زالت محتفظة  
بها مع خطاباته وأوراقه ، وهداياه .. ذخيرة العمر ، وزاد  
الحياة . أجل إنها نفس الصورة التي لا يغمض لها جفن كل  
ليلة إلا عليها ، ولا يستقر لها بدن حتى تضمها يديها وتضعها  
على شفيتها .

ويبدو أنها حملت في الصورة أكثر مما يجب ، حتى  
أنها لم تبصر المريضة ، وحتى اضطر الأب أن يلفت نظرها  
بقيامه بواجب التعريف بين المرأتين مرفقاً اسميهما بكلمة  
هانم .

أما زال يصر على أنها هانم؟ .. يجب أن تلفت نظره  
إلى ذلك ، كما يجب أيضاً أن تحذره من أن يفصح - دون  
أن يقصد - عن حقيقتها وعن أصلها .

ورحبت المريضة بها بصوت رقيق عطوف خافت قائلة

وهي تبسم ابتسامة باهتة :

- أهلاً وسهلاً .

إذا فهذه هي غريمتها ، التي طالما أقضت مضجعها .  
ولكنها ليست كما كانت تتصور ، ليست كما تعودت ،  
أن ترسمها في ذهنها . . إنها توحى بالمحبة والسلام والسكينة  
والهدوء .

إن الإنسان — كائناً من كان — لا يملك إلا أن يحبها ،  
فقد كانت تفيض من وجهها الطيبة والرفقة .  
ما أعجب هذا الزمن !

أكان يخطر ببالها يوماً ما وهي تتقلب على الفراش مسهدة  
متخيلة حبيبها بين أحضان زوجته ، أنها ستقف أمامها يوماً  
وجهاً لوجه ، وتشعر لها بالعطف والحنان ؟

أكان يخطر لها ببال وهي التي كانت — عند ما يملكها  
شيطان الغيرة — تتمنى لها الموت ؟ . . أكان يخطر لها ببال  
أنها ستتمنى لها البقاء . . وستبذل كل ما في وسعها لإنقاذ  
حياتها ؟

كانت تحس في قرارة نفسها أنها ستقدم على عملها ذاك  
وهي أشد ما تكون رضا وغبطة . .

ومدت يدها فأمسكت بيد المريضة وضغطت عليها برفق  
وهتفت في إخلاص وحرارة : ر

— إن شاء الله تقومين بالسلامة .

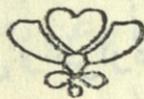
وتم التعارف بينها وبين غريمتها . . تعارف رقيق ودود

ما كانت تتخيله قط .  
وران الصمت برهة .. ووقفت تنظر إليها .  
وقالت المريضة للأب :  
- دعها .. ترى حجرتها .. وتغير ملابسها ..  
وتستريح .

عجبا لهذه المرأة !! .. إنها أبدأ .. تبحث عن راحة  
غيرها !

وعلا صوتها الضعيف ، تنادى الخادمة قائلة :  
- أعدى الفراش في الحجرة التي بجوار السلم ، وضعي  
المنضدة .

ولكنها قاطعتها برفق قائلة :  
- لا داعي أن ترهقي نفسك بشيء .. سأذهب أنا  
وأتولى كل شيء .. استريحى الآن .. وسأعود إليك  
بعد برهة .



# ساكنة الزمن

١٥



وهكذا استقبلت في بيته ،  
استقبالا طيباً بدد كل مخاوفها ،  
وملاها شجاعة ورغبة وإخلاصاً .



وذهبت إلى الحجرة التي قادتها إليها الخادمة .. كانت  
حجرة صغيرة نظيفة أنيقة مرتبة .. ذات فراش ودولاب  
ومنضدة وبدت كأنها معدة دائماً لاستقبال أي ضيف .  
كانت الحجرة غربية بحرية تطل على الحديقة ، وكانت  
تواجهها حجرة بدا من بابها المفتوح نصف فتحة أنها حجرة  
مكتب .. حجرته هو التي كان يجلس للكتابة فيها .

وجلست على الفراش وانطلقت منها تنهيدة طويلة .  
لشد ما كانت تحس بالراحة والطمأنينة ، والعزاء .. إنها  
هنا في بيته ، وكل شيء يقع عليه بصرها قد وقع عليه بصره  
من قبل ، وكل شيء تمسه يدها قد مسته يده .  
تطلعت يبصرها من باب الشرفة المطلة على الحديقة ،  
فوجدت الشمس تنساب وراء الأفق .. لم تكن تبدو  
كالشمس ، ولم تكن أشعتها تذهب بالبصر .. بل كانت  
قرصاً أحمر قانياً ، كأنه قرص جمر ، وكان يفيض من حمرة  
الصافية على كل ما حوله ، على قمم البيوت ، وعلى رؤوس  
الشجر وأطراف الأعمدة المتناثرة على بعد .

وعادت تذكر خلوتها معاً ، يرقبان القرص الهاوى ،  
وتذكرت قوله :

« أذكرى هذا المنظر واذكرينى .. أذكرىه جيداً ،  
فسأستوعبه فى رأسى حتى أذكر كلاً رأيتة .. »

إنها تذكره جيداً ، تذكره كلاً رأت شمساً غاربة ، أو  
نجماً هاوياً .. فما أشبهه شكلاً وموضوعاً .

وأخرجها من شرودها طرق خفيف على الباب ودخل  
الخدوم يسألها :

— ماذا ترغبن فى العشاء ؟

— أى شىء .. أنا لم أعود إلا عشاء خفيفاً ، وما زال

الوقت مبكراً .

— إنى أسأل حتى نستطيع إعدادة .. إذا كنت تريدن

شئاً معيناً ؟

— شكراً .

— أتريدن الآن الشاى ؟

— لا أريد شئاً .. لا تزعجوا أنفسكم من أجلي .

— إن السيدة أمرتنا بأن نعد لك كل ما تطلبين .

— شكراً للسيدة .. ولكم جميعاً .. شكراً لله أن متحنى

بضعة أيام فى داره وفى مقره .

وبدأت حياتها فى دار الحبيب الراحل ، وتمريضها

لزوجته الراقدة .. وهي قريرة النفس ملء قلبها العزاء  
والسكينة .

وأحبت هي المريضة ، وأحبتها المريضة .  
تحابت الغريمتان حباً خالصاً في بضعة أيام .  
لم يكن عجباً أن تحبها الزوجة وتأنس إليها ، وقد  
وجدت منها تفانياً في خدمتها وسهرت على راحتها ، ورقة في  
جلستها ، وجمالاً في خلقها وتكوينها ، ولطفاً في عشرتها ،  
ولم يكن عجباً أيضاً أن تحب هي الزوجة .. الطيبة  
الودودة ، المسالمة الأمانة التي نأبى إلا أن تعاملها كأخت ..  
لا كمرضة مأجورة .

كانت قريرة النفس .. لإحساسها أنها تخدمه هو ..  
بطريقة غير مباشرة .. إنها تخدم شيئاً متعلقاً به .. إنها تخدم  
ابنه الذي يوشك أن يرى النور والذي طالما تاق هو  
إلى رؤيته .

وكانت تمر بها أوقات يستبد بها الحنين ويهفو بها  
الشوق .. كانت أوقات عسيرة أشبه بالأزمات .  
عندما تجلس في حجرة المريضة في الليل ، والسكون  
سائد ، والصمت مخيم إلا من أنفاس المريضة النائمة تتلاحق  
في هدوء ، ويطوف بصرها في أنحاء الحجرة باحثاً منقباً حتى  
يستقر على الفراش الخالي بجوار المريضة .

هنا كان يرقد . . . كم تخيلت فراشه في أرقها ، وكم تخيلت  
الحجرة بأكملها . . . كانت تسأله كيف ينام ، وكان ينيبها  
ضاحكا :

— كبقية خلق الله .  
— أتنام على ظهرك أم على جنبك ؟  
— أبداً بالنوم على جانبي الأيمن واضعاً ذراعي اليمنى  
تحت الوسادة وذراعي اليسرى مشنبة من المرفق فوق رأسي  
هكذا أبداً ، ولست أدري على أية صورة مضحكة ينتهي بي  
الوضع إذا ما استغرقت في النوم ، على أية حال أنا لا أستريح  
إلا على جانبي الأيمن .

كانت دائماً تتخيله في نومته ، وكانت لا تنام إلا على  
جانبها الأيسر كأنها تواجهه ، وقد وضعت إحدى الوسائد  
بين أحضانها كأنها تشاركه الفراش . كانت سعيدة بالتخيل  
وكانت لا تفتأ تحدث الوسادة وتناجيه ، وعند ما قبل يدها  
أول مرة . . . كانت تنظر إلى يدها وتقبلها في حسد ثم تمس  
موضع قلبه بشفتيها وتهمس ليدها قائلة :  
— أنت يد محظوظة لأنه قبلك . . . سأظل دائماً  
أعتز بك .

كانت تطوف برأسها كل هذه الذكريات ، وهي تجلس  
صامتة في بهمة الليل ترقب الفراش الخالي ، ويعودها الشوق

فترفع يدها وتمسها بشفتيها كما مستها في زمن خلا .  
وينتقل بصرها من الفراش إلى الشرفة . هذه هي الشرفة  
التي كانت تنتظره فيها زوجته حتى يعود .

كانت قنذاك تحسدها على انتظارها له وقلقها من أجله  
وكانت تقف هي في شرفها متوهمة أنها تنتظره . . متوقعة  
قدومه في كل وقع خطوات تسمعها في الطريق .  
كانت مجنونة .

كانت ؟ ! بل إنها مازالت . . وستبقى مجنونة به ، حتى  
الرمق الأخير .

وينتقل بصرها من الشرفة إلى المشجب إلى الدولاب  
إلى التسريحة . . فتتخيله في كل وضع له في الحجرة . . ينشف  
رأسه بالمنشفة ، أو يعلق بدلته في الدولاب ، أو يمشط  
شعره أمام المرآة . .  
وأخيراً يستقر بصرها على صورته . . وتهتف باسمه كما  
تعودت أن تهتف ، ولكن في صوت هامس خافت خشية  
أن توقظ النائمة . . أو خشية أن يضبطها أحد متلبسة بجريمة  
التهاتف باسمه .

ألا تعتبر جريمة ؟ !

ماذا إذاً يمكن أن يعتبر ما يجول برأسها . . وما يستعر  
في قلبها ؟

يارب حمدك أن طويت الصدور على خباياها وأطبقت  
الرءوس على أفكارها وخفاياها .

يارب حمدك أن تركت للبشر حرية الشعور والتفكير ..  
تلك هي الحرية التي لا يستطيع أن يسلبها إياها مخلوق .

\* \* \*

عندما كان يرهبها الجهد ويضئها السهر .. كانت تأوى  
إلى فراشها فترقد عليه مستسلمة مسترخية .

كانت تحب حجرتها ، إذ كانت تمس فيها بهدوء وطمانينة  
وكان يتمتعها أن تجلس في المقعد الكبير المواجه للحجرة  
المقابلة حجرة مكتبه .

كانت تبصر من مكانها طرف المكتب ، وقد وضع مائلا  
في إحدى زوايا الحجرة ، وكانت تبصر رف الكتب في  
مواجهتها ، وزهرية على منضدة صغيرة بها زهور زاوية .

لم تكن تجرؤ على دخولها .. بل لم تكن تجرؤ على  
التحرك في البيت إلا فيما بين حجرتها وحجرة المريضة ..  
حتى سأها الأب أن تناوله قرصين من الإسبرين ، وأمسكت  
بالزجاجة الموضوعه فوق المنضدة التي في القاعة لتخرج له  
قرصاً فوجدتها فارغة .  
وببساطة قال لها :

— أظن أنه كانت توجد زجاجة أخرى .. في درج  
المكتب الأوسط .. لقد تعود أن يحتفظ بها .. إذ كان  
كثيراً ما يصاب بالمصداع .

وترددت برهة .. لقد كان قوله بمثابة أمر بأن تذهب  
لإحضار الزجاجة ، وكانت تهيب دخول الحجره ، ولكنها  
كانت أيضاً لا تجرؤ أن تقول ذلك .. فلم تملك إلا أن تتجه  
إلى الحجره متحركة في تناقل ، ودفعت الباب الذي كان  
مغلقاً نصف إغلاقة واتجهت إلى المكتب وفتحت الدرج  
الأوسط فلنحت بعض صور له ، وأوراقاً بخطه متناثرة في  
الدرج ، وتمنت لو تستطيع البقاء في الحجره برهة ، ولكنها  
لم تجرؤ .. فتناولت الزجاجة وعادت بها إلى الرجل .

وكانت الحجره قد غلقتها الأتربة ، وبدت كأن لم تمتد  
إليها يد التنظيف منذ أن رحل صاحبها .

وسألت الخادمة ذات مرة :

— لم لا تنظفون حجره المكتب ، وترفعون الزهور  
الذابلة من الزهرية ؟

— لقد أمرتنا سيدتي ألا نقرّبها .. إنها كانت دائماً  
تنظفها بيدها .. لأنها كانت تخشى أن نعبث بأوراقه أو كتبه  
أو لانضع شيئاً في موضعه فتسبب له ضيقاً وإزعاجاً . أما  
الزهور .. فقد قالت إنه هو الذي نسقها آخر مرة ولا تريد

أن تزيد لها من موضعها .

وتعودت بعد ذلك أن تتسلسل بين وقت وآخر فتجلس في حجرته ساكنة صامته .. مجرد جلوس .. دون أن تحاول أو تفتح درجاً .. أو تعبت بورقة .. كانت تتوق لأن تقرأ كل كلمة مكتوبة في هذه الحجرة .. ولكنها لم تجرؤ مع ذلك على أن تمس ورقة واحدة .

ويوماً بعد يوم أخذ تهيئها من الدار يزول .. وبدأت ترتاد الحديقة بين آونة وأخرى ، وتنتقل في الدار كأنها دارها واطمأنت إلى كل شيء .. عدا شيئاً واحداً .. هي الخادم العجوز .. التي كانت دائماً التقطيب والعبوس .. تنظر إليها في ريبة وشك .. كأنها توجس منها خيفة .

ولكن حتى هذه .. ما لبثت حتى أقبلت عليها في ثقة واطمئنان .. بعد أن ثبت لها فرط إخلاصها لسيدتها . وأخذ موعد الولادة يقترب .. وكلما اقترب الموعد ازدادت الأعصاب توتراً .. والنفوس قلقاً .. والقلوب رجفة ورعباً .

كانت حالة المريضة لا تنبئ بخير .. وعندما زارها الطبيب آخر مرة .. غادر غرفتها وهو يحاول جهده أن يخفي قلقه ، وعندما شرع يهبط الدرج سمعته يتمم :  
- ربنا يسلم .

ثم التفت إليها وهز رأسه في ضيق وقال لها :  
- كنت أعرف هذا من قبل .. لقد توقعت كل  
ما حدث .. وحذرتها من الحمل .. وأوضحت لها مدى  
خطورته على حياتها .. وقلت لها إن حياتها في ناحية .. والحمل  
في ناحية أخرى .

وأحست بالمرارة تملأ نفسها ، ولم تملك إلا أن تجيبه :  
- ربنا يسلم .. ليس أمامنا من ملجأ غيره .  
وعادت إليها بنفس مهمومة .. بعد أن ودعت الطبيب  
على الباب .

وجلست بجوارها على الفراش .. ونظرت إلى وجهها  
الشاحب وعينيها الغائرتين ، وقالت مطمئنة :

- الحالة جيدة بإذن الله ، وستكون الولادة طبيعية .  
وضحكت المريضة ضحكة صفراء ، وتمتمت قائلة :

- الحالة جيدة .. حالة من ؟ .. حالي أنا ؟ لا .. لا ..  
قولي شيئاً غير هذا .. إنى أدري بنفسى منك .  
- إنك بخير .

- بخير أو بشر .. إنى لا أرجو لنفسى شيئاً .. وأنا  
أحفظ جيداً ما سبق أن قاله الأطباء .. لقد حذروني من  
الحمل ، وقالوا إنى سأقضى على حياتى لو حملت ، ومع ذلك  
فقد أقدمت على الحمل راضية ، وأنا أعرف كل عواقبه .

— أحقاً فعلت ذلك؟  
— أجل! لقد أقدمت على الحمل برغمه.. بل دون أن  
يدري.. ولقد مات وهو لا يعرف أنى حامل.. لقد حملت  
من أجله.. ومع ذلك فقد تركنى وذهب.. ومن يدري  
ربما أذهب أنا.. وأترك الطفل! عجيبة هذه الدنيا! نحن  
نقدر.. وهي تقدر.. ويمحو تقديرها كل ما قدرنا..  
ويجعل أمانينا في واد.. والواقع في واد آخر.. كنت أعلم  
دائماً أنه يجب الأطفال.. وأنه يتمنى لو رزق إبناً أو ابنة،  
ولم يكن يحز في نفسى قدر أن أرانى عاجزة عن أن أهبه  
مطلبه.. المطلب الطبيعى الذى تهبه كل زوجة لزوجها.. إنه  
لم يحاول قط أن يظهر ضيقاً أو تبرماً.. بل كان معى رقيقاً  
إلى أبعد حدود الرقة.. ما سألته شيئاً إلا وأجاب.. بل إنه  
لم يدع لى الفرصة أن أسأله شيئاً.. فقد وفر لى كل شيء..  
كان حنوناً ودوداً.. مرحاً لطيفاً.. ما ذكرت أنه غضب  
على.. أو لامنى أو عنفنى.. إني لم أكن معصومة من  
الهنات البسيطة.. ولكنه كان دائماً كريماً متسامحاً..  
ومع هذا — ورغم أنه لم يحاول الإفصاح — لم يغب  
عنى لحظة واحدة.. حينه إلى الأطفال ولهفته عليهم..  
ولكن كان يعلم ألا سبيل إليهم إلا على حساب حياتى..  
كان واثقاً — بناء على تحذير الأطباء — أنى سأكون الثمن

الذي يدفعه لأول ابن .. ولذلك لم يحاول قط أن يدعى  
أحمل .. بل كان أشد مني تحرزاً .. ومرة السنة تلو السنة  
وأنا أراها وحيداً .. وأراها مقصرة في حقها .. هو يعطيني  
كل شيء ، وأنا لا أعطيه الشيء الوحيد الذي يجب أن  
أعطيه له .. وأخيراً بدا لي أن أقدم على المغامرة .. لقد  
بت أخشى عليه من الملل والسامة .. بل بت أخشى على  
الرابطة بيننا أن تنفصم عراها .. وما قيمة حياتي بعد  
ذلك بدونها ؟ .. وساءلت نفسي : أحقاً يصدق الأطباء في  
أقوالهم ؟ ! أم يعرفون كل شيء ؟ أم أن هناك رباً عليه فوق  
علمهم ، وتقديره فوق تقديرهم ؟ أيكثر على الله أن يهبني  
من لدنه رحمة ، ويهيء لي من يأسى أملاً ؟ ! ألا يجب أن  
نسلم أمرنا لله ، وهو يدبره !!

وبهذا الرجاء ، وبهذا الإيمان والأمل في الله ، وبرغبتى  
القوية في أن أنجب له إبناً ، وبقلقي على الرابطة التي تضمنا  
أقدمت على الحمل .. لقد كانت مقامرة .. اندفعت فيها قائلة :  
إما حياة هنيئة ، أو لا حياة .. إني لا أستحق العيش إذا لم  
أنجب له ولداً .. أما إذا ذهبت .. وأنجبت له الإبن ، فإن  
حياتي لن تذهب سدى بل سيكون لها ثمن .

هذه هي الاحتمالات التي افترضتها .. كانت كلها تملؤني  
شجاعة وإقداماً ، ورغبة في التضحية .

شيء واحد هو الذي لم يخطر لي ببال .  
احتمال وحيد .. هو الذي أسقطته من حسابي فلم أدخله  
مع غيره من الاحتمالات .

أن يذهب هو .. ويتركنا .  
كان هذا هو الشيء الذي لم أقدره .. وما كنت لأقدره  
أبدأ .. فقد كنت من فرط حبي له .. أراه شيئاً خالداً  
باقياً ، لا يجسر الموت أن يمد له يداً .  
كنت أود أن أفاجئه بالأمر .. ولكنه فاجأني قبل أن  
أفاجئه .. فاجأني وذهب .

لقد صرعتني الصدمة .. ولكنني مخطئة .. يجب عليّ أن  
أتحمل .. يجب أن أثق في الله .. وأن أومن بحكمته .. يجب  
أن أذكر قوله « الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا  
إليه راجعون » .

الحمد لله على كل حال .. إنه هو الذي يملك المصاب .  
وهو الذي يملك العزاء .. أما نحن البشر .. فما حيلتنا سوى  
الخضوع لمشيئته .. وحمده على كل ما وهبنا .

عجبة هذه المرأة ! ما كل هذا الإيمان والسكينة  
والطمأنينة ؟ وهي التي لو كفرت بالله وملائكته ورسوله ..  
ما لامها الأم ! ؟

فيم كان الخمل .. وفيم كانت التضحية .. إذا كان المضحي  
من أجله قد تركها وولى؟!!

فيم كل هذا العناء؟ وهي ترقد الآن بحملها في جوفها،  
وبحياتها في مهب الريح .. وصاحب المطلب قد خذها وفر؟  
ومع ذلك فهو تحمد الله .. علام؟! ماذا يمكن أن  
يفعل بها شر من هذا؟

ولم تملك إلا أن تخفي مشاعرها الشائرة في صدرها ..  
إذ كانت ترى واجبها هو أن تزيد سكينه المريضة ..  
لا أن تزيد لوعتها ..

وأمسكت بيد المريضة المستسلمة الطيبة وربت عليها  
برفق وقالت:

— ربنا يعوضك بولدك خيرآ .. إن شاء الله تقومين  
سالمة ، وتتمتعين به ، إن الله لا بد أن يكافئك على تضحيتك .  
كانت تقولها قول المتمنى المخلص .. فقد أحست بحب  
شديد للمريضة .. كانت تجد أن مصابهما واحد .. وأنهما  
شريكتان في ضربة القدر القاسية .. لقد كرهتها عندما كانت  
تشاركها المتعة .. وأحبها وهي تشاركها الألم .. غارت منها  
وهي تزاحمها على الحى .. ورثت لها وهي تقاسمها الميت .  
وفي الليلة التالية بدأت الولادة ، وكان الطبيب قد أعد  
نفسه لكل الاحتمالات .. وجهاز أدوات العملية .. كان

يعرف أن المسألة لن تمر بسلام ، وكان بودّه لو وضعها  
من أول الأمر في المستشفى . . ولكنه كان يعرف أن في  
نقلها خطورة عليها .

بدأت الولادة . . ومن بدايتها أحست أنها بدأت  
تخوض المعركة الثانية ضد الموت .

مالها هي وليكل هذا . . لو لم تأت إلى هذه الدار ، لو قت  
نفسها كل هذا الأسى والألم . . إنها باتت تخشى غريمتها  
السابقة أكثر مما تخشى على نفسها . . ولو بقيت حيث كانت  
ولم تغامر بخدمتها لكانت تجلس الآن مستريحة هانئة . . بل  
إن نبأ وفاتها لو حدث . . لما أحدث في نفسها أى تأثير ، بل  
من يدري ؟ ربما كان قد سرّها وأطربها !

أما الآن فهي تخوض معمعة الموت وكأنها طرف فيها .  
كانت تشعر أنها هي التي تقاوم الموت لا المريضة المستسلمة .  
وبدأ الطلق ، وعلت بضع صرخات ضعيفة . . ما لبثت  
حتى خفتت ، وراحت المريضة في إغماء ، واشتد شحوب  
وجها . . لقد كانت في حالة شديدة من الضعف .

وتشاور الطبيب برهة مع مساعده ، ولم يكن هناك بد  
من إجراء عملية ، وبدىء بإجراء العملية ، وكانت تحس  
بإرهاق شديد ، وكانت تتحرك هنا وهناك لتناول الطبيب  
أدواته . . وهي تحس أنها مغرقة في ظلمة كثيفة .

وأخيراً أخرج الجنين .  
حمداً لله .. هذه أولى بشارت الخير .. إن الجنين حي .  
إنه بنت .. كان خيراً لو كان ولداً ، ولكن لا بأس  
بنت أو ابن .. كله خير .. المهم أن تهض الأم سليمة .  
وأخذ الطبيب يتم العملية ، وقامت هي والممرضة  
الأخرى بتجفيف الطفلة ولفها .

وأخيراً انتهى الطبيب من عمله .. حمداً لله .. إن كل  
شيء على مايرام .. إن المريضة شديدة الشحوب ، ولكن  
صدرها .. يعلو ويهبط بانتظام .

وخرج الطبيب ، ووقف الأب يتساءل في لهفة :

— كيف الحال يا دكتور؟

— الحمد لله .. بخير إن شاء الله .. ربنا يتم فضله  
ويسترها .

— سليمة باذن الله .. سليمة .

وجلس الطبيب يستريح برهة في القاعة .. وبقيت في  
غرفة المريضة .. كان كل شيء يبشر بخير ، وكانت الساعة قد  
بلغت السادسة صباحاً ، وبدأ الطبيب يستعد للانصراف قائلاً :

— سأعود بعد بضع ساعات ، وإذا حدث أي شيء

فاتصلوا بي في العيادة أو البيت . ولكن إن شاء الله لن  
يحدث شيء .

وقبل أن يرحل ، دخل الحجره ليلقى نظرة أخيرة على  
المريضة .. نظر في وجهها ، ثم أمسك بيدها يجس نبضها ،  
وبدا على وجهه القلق وهمس قائلاً :  
- النبض ضعيف جداً .

وألقي على المريضة نظرة فاحصة ثم عاد يهمس في قلق :  
- الظاهر أنه قد حدث نزيف .. احضري أسطوانة  
الأكسجين .

وبدأ التنفس الصناعي .  
كانت المريضة تفلت من أيديهم رويداً .. رويداً ..  
كان الموت يذهب بها بعيداً بعيداً .  
ولم يطل بهم الأمر ، حتى أعلنوا الاستسلام .  
مرة أخرى .. انتصر الموت .  
أبعد هذا سحرية ؟!

أبعد هذا يطلب من العبد حمد الله والإيمان به ؟  
بل .. أبعد هذا .. يوجد شيء اسمه الله ؟ أوجد رب  
مدبر منظم حكيم ؟

لا .. لا .. كل هذا عبث في عبث ، إن ما حدث  
لا يمكن أن يكون من تدير مدبر ، ولو كان من تدير مدبر  
فلا مرأه في أن هذا المدبر ، يبغى السخرية والهزل ، هذا

لا يمكن أن يكون تدير جاد حكيم -  
هذا هو الطفل .. المطلب العزيز ، والأمنية المستعصية  
قد باتت ملء اليد ، وما عاد مستعصياً ولا متعذراً .  
فأين الطالب ؟ وأين المتمنى ؟

أين صاحب الأمنية .. يحملها بين يديه ، ويحمد عليها  
ربه ؟

أهذه أمنية ؟

أمنية تعسة بأئسة ، يتيمة الأم والأب .. لا عائل لها ،  
سوى جد ، رجله - كما يقولون - والقبر .

أمنية لم تكن قادمة ، بل كان المفروض ألا تأتي ،  
لولا مقامرة أمها ورغبتها في التضحية ، وإرضاء زوجها .

كانت كسكل أمنية مطلوبة .. لا تأتي ، فلما كلف طالبها  
عن طلبها ، أتت !

سحقاً لها .. ما كان أغناها عن هذا كله ، لقد زجت  
بنفسها في معركة خاسرة ، لم يكن نصيبها منها سوى التعاسة  
والحزن والدموع .

والآن خير لها أن تنسحب بهدوء ، وتعود إلى مقرها  
في المستشفى .

إنهم لم يعودوا في حاجة إليها ، وما كان بها من حاجة



إلى شهر حزيران آخره...  
تصنيفها

دروس

مخرجاتها

حثة مائدة

رغم

في

التي

تحت

التي

التي

التي

التي

التي

التي

إلى أين؟  
تحت يده إلى النسيء... لم يرد ذلك من صاحبها إلى

٤١٢

لا يمكن أن يكون قدير مادامكم

هذا هو الطالب . . . الطالب العربي . . . والأمة المستعصية

تدبأت على اليد . . . وما عدا ذلك كمنه في الأثر

عاش الطالب ذوا

أن عساه . . . ربه



في المشي

أنهم لم يوردوا في حاجة إليها . . . كما كان وما من حاجة

إلى شهود جنازة أخرى .. إنها منهارة تماماً ، وهي لا تكاد  
تقف على قدميها .

ووسط بكاء الخدم والعويل والصراخ .. تسللت إلى  
حجرتها وارتمت في الفراش دافئة وجربها في الوسادة كأنها  
جثة هامدة .

ومضت عليها فترة طويلة في رقدتها ، والصراخ يطن  
في أذنيها .. ثم أخذت تتحامل على نفسها وتنازلت حقيبتها  
وسارت تبحر ساقها متسللة إلى الخارج .. كالهاربة .  
ولم تكد تهبط بضع درجات حتى سمعت صوتاً يهتف  
باسمها .

وتوقفت .. لقد كان صوت الأب .. كان الله في عونته  
وصبره على ما بلاه .. لشد ما قاسى الرجل ، ولكن ماذا  
يريد منها ؟ لعله ينوي أن ينقدها أجرها .. ليس هذا وقته ..  
ليس الآن .. إنها تريد أن تفر ، وأن تنأى بنفسها عن هذا  
المحيط المروع .

وتلفتت بإعياء .. فوجدت الرجل مقبلاً عليها ، محطماً  
مهتماً ، مقروح الجفن ، متناقل الساقين .. وسألها في صوت  
بأس :

— إلى أين ؟

— عائدة إلى المستشفى .. لم يعد هناك من حاجة إلى ..

— عائدة إلى المستشفى؟ وتركيها وحدنا؟

«تركهم وحدهم»، وما صفتها هي.. حتى لا تركهم وحدهم؟.. إنها ممرضة مأجورة.. ليس لها من وضع بينهم سوى هذا.. إنها حقاً تشعر أن البيت بيتها، ولكن هذا شعور في قرارة نفسها.. لا يشاركها فيه أحد، ولا يقره أحد، ولا يعترف به أحد.

ولم تعرف بماذا تجيب، ولكنها نطقت بضعة كلمات مجرد الرد قائلة:

— أنا آسفة جداً، وحزينة لما حدث.. البركة فيك.

وعاد الرجل يتساءل في يأس:

— كيف تذهبين وتركيها؟

— لم يعد لي ما أعمله.

— والطفلة؟

«الطفلة»؟ كأنها هي التي وضعتها!! إنها تتمنى لو كرست حياتها من أجلها.. إذ تشعر أنها طفلتها هي. أليست ابنته؟ ألم تكن تتمنى أن تكون أم أولاده؟!

ولكن هذا مجرد تمني.. إنها ليست أمها فعلاً، لا صفة رسمية لها، ولا تستطيع أن تدعى عليها حقاً.

وعاد العجوز يتوسل:

— والطفلة من يتولى أمرها؟ أرجوك، امكثي معنا،

على الاقل ، حتى تدبر أمرنا .. إني خائر القوى .. لقد نفذ  
جهدى ، وتحطمت قواى .. إني لم أعد أصلح لشيء ..  
أريد من يتولى أمرى أنا .. لم يعد هناك فائدة ترتجى منى ،  
وليس لى من أحد أعتمد عليه .. لا أقارب ولا أصدقاء ..  
بعد أن ذهب كلاهما وخلفانى وحدى .

وهى أيضاً ، خائرة القوى ، نافذة الجهد .  
ولكن أهي مثله لم تعد تصلح لشيء ؟! ألم يعد يرتجى  
منها فائدة ؟

ونظرت إلى العجوز المتداعى المنهار ، وأحست بالندم  
يخزها .. كيف سوّلت لها نفسها العاجزة أن تفر هاربة ؟!  
كيف سوّلت لها نفسها ، أن تترك أباه وابنته ؟!  
وتساقط الدمع من عينيها وأحست بحنين شديد إلى  
العجوز والطفلة ، إنهما أقرب الناس إليه ، وبالتالى أقرب  
الناس إليها ؟ كيف تخذلها في محنتهما ؟  
أما زالت تتعلق بالأوضاع الرسمية والشكليات ؟! إن  
ثلاثتهم كل ما بقى منه !

لقد عجزت على أن تكون زوجته .. أيستطيع أحد  
أن يمنعها أن تكون أرملة ، وأن ترعى أباه وابنته ؟  
لا . لا . هنا موضعها ، فى بيته وبين ابنته وأبيه ، إنها  
لم تكن زوجته شرعاً ، ولكن كانت زوجته روحاً ،

رحساً ، ولو أنهم في السماء يقدرون الأمور بحقيقتها  
لا بشكلها ، لا اعتبروها لا محالة زوجته .

على أية حال . إنها باقية في النار . . باقية حتى يدبر الله  
أمرهم ، أو حتى لو لم يدبره .

لا بد لها أن تحتمل ، وأن تقاوم إعياءها وانهارها ، وأن  
تمالك وتماسك وتتجلد ، وتضحى سيدة الموقف ورببة البيت .  
وهكذا استمدت من ضعفها شجاعة وكفكفت دمعها ،  
وأجابت العجوز الذي ينتظر متوسلاً :

— سأبقى ، سأبقى حتى تقول لي . . اذهبي . . لم نعد  
في حاجة إليك .

— لن تذهبي أبداً ، أنت ابنتي والطفلة ابنتك ، ويجب  
أن تتولى أمرنا .

\*\*\*

وكما يمر كل شيء مرت إجراءات الموت من جنازة  
ودفن وعزاء .

وكما تهدأ كل عاصفة ، هدأت هذه العاصفة ، وساد  
الدار سكون عميق أشبه بسكون ما بعد العاصفة .

كانت الحوادث تمر بها تباعاً . وكانت تجد نفسها تعمل  
بطريقة آلية ، لا دخل للذهن فيها ، كانت تكلم هذا وتحدث  
ذاك . . كانت تأمر وتجيّب ، بلا إدراك ولا وعي . .

أو بوعى باطنى لا سيطرة لها عليه ، حتى انتهى كل شيء ،  
واستقرت مرة أخرى ، تفكر فى أمرها ، وتستعيد لذهنها  
كل ما مر بها .

أين هى الآن ؟!

عجبا !! عجبا !! أبعد هذا يمكن أن يكون عجب !؟  
إنها تقطن فى داره ، وحدها ، لا شريكة لها فيها .. إنها  
ربة بيته ، أم ابنته ، وراعية أبيه .

كل ما له أضحى لها .. من ابنته إلى أبيه .. إلى كتبه إلى  
فراشه .. إلى .. إلى .. إلى كل شيء .

إنها تملك كل شيء له ، إلا هو .  
وما قيمة كل هذا دونه ؟!

ما أشبهها بقاطنة الأطلال الخربة ، والدمن العافية !  
إنها تجلس الآن فى داره .. إن كل شيء يبدو كما تركه ،  
لم يصبه الخراب ولم تمتد إليه يد البلى ، وبالمكان أحياء  
يتحركون ، وأصوات تسمع ، ومع ذلك ، فهى لا تحس  
أثراً لتلك الحياة فى نفسها .. إن المكان قد فقد روحه ، وبغير  
الروح ، لا يبقى سوى الأطلال ، ولو بقى هو فى قفرة جرداء  
لملأها حياة ، ولكانت لها خيراً من كل هذه الدمن المحيطة بها .  
إنها فقدت الروح ، وبقيت لها الأطلال .. أما هى ..  
الزوجة الراحلة .. فقد لحقت بروحه ، وتركت لها الرماد

الخامد والأففاض الخاوية .  
ويمحها ! . إنها دائماً الراجحة ، في الحياة ، وفي الممات .  
أما كان خيراً . . لو أنها هي التي ماتت ؟ !  
ولكنها لا تملك أن تموت . . إن عليها أن تبقى لتعاود  
سيرتها في حمل الأعباء . . أعباء أحزانها ، وحرمانها ،  
ويأسها . عليها أن تبقى لتقوم بواجبها في رعاية أبيه وابنته .  
ولكن أهذا شيء يستدعي منها الحزن ؟ !  
أليست الأطلال خيراً من القفرة الجرداء ؟ ألا يقبها  
الظل من هجير الوحدة وقر الفراغ ؟ أليس شيء خيراً من  
لا شيء ؟ ! ألا تشعر بعزاء جميل ، وهي تجدد نفسها قد  
استقرت في داره ، ولتجد نفسها تتلقى الأعباء التي كان  
يمكن أن يتلقاها لو بقي هو حياً ؟  
أى شيء يمكن أن تطمع فيه أكثر من أن تتولى أمر  
ابنته ، وتجعلها ابنتها ؟ !

أهناك عزاء لنفسها أجمل من هذا ؟ !  
وأى شيء يسعدها أكثر من أن تقدم يد المعونة إلى  
أبيه وأحب الناس إليه ؟ ! ألا يسعدها أن تخفف لوعته ،  
وتذهب شجنه ؟

\*\*\*

ومرت بها الأيام . . يوماً بعد يوم ، وفي كل يوم زداد

طمأنينة واستقراراً .. حتى أضحت تحس كأنها تحيا في بيتها  
الذي ولدت فيه وقضت بين جدرانها عمرها .

وبدأت تحس بنوع عجيب من المتعة الهادئة .. وهي  
تضم الطفلة إلى صدرها وتلقمها زجاجة اللبن .. وتجلس في  
الشرفة بجوار الجد المتكى في سكينته على إحدى الأرائك ،  
والشمس القانية الحمراء تهوى في الأفق .. وكأنها تبصر في  
قرصها وجهه يتسم في رضاء وحبور .. ويكاد يهمس بها :  
« هذه ابنتنا ! »

أجل ! إنها ابنتها .. إن حقها فيها أكثر من حق أمها ،  
لقد حملتها أمها تسعة أشهر .. وهي ستحملها وحدها  
العمر كله .

ولقد رقدت بضعة الأيام الأولى على الفراش الصغير  
في الحجرة الصغيرة .. إذ كانت تحس برهبة شديدة من  
استعمال الحجرة الكبيرة .. ومن الرقاد على الفراش الذي  
كانا يرقدان فيه .

ولكن الأيام محت الرهبة .. ولم تجد هناك ما يمنعها من  
استعمالها بعد أن أح عليها الأب بقوله :

— إذا كنت مصرة على ترك الحجرة خالية .. نخير لنا  
أن نغلق البيت ونصرف عنه .

وهكذا احتلت الغرفة وركدت على نفس الفراش .

وفي أحضانه .. ليس هو بالذات ، ولكن جزء منه .. ابنته .  
وفتحت حجرة المكتب وأزالت الغبار عنها وأعدت  
ترتيبها وتنظيفها ، وأعدت ملء الزهرية بالزهور ، وحاولت  
جهدا أن تبعث الحياة بين الأطلال ، أو على الأقل ، تضيف  
على الأطلال بعض الرونق والبهاء .

وسارت الحياة بالثلاث .. هي والإبنة والأب ، وبيدة  
مترفقة هادئة ، ليس بها ما ينغص ولا ما يسيء .. وكان دخل  
الأب من ممتلكاته وعقاراته كفيلا بأن يهيء لهم كل مطلب  
ويجعلهم في رغد من العيش .

\*\*\*

وكفت الأم عن الحديث وran على المكان سكون عميق .  
وأحست « سامية » بأطرافها تتراخي ... وأعصابها  
تفتت .. لقد أنهكها طول الاستماع .. ولم تشعر إلا وهي  
تعلق بقولها :

— خاتمة عجيبة ! لقصة عجيبة ! أهذه الأشياء تحدث  
في حياتنا هذه ؟ إن تلك المرأة وذلك الحب لا يمكن أن  
يوجد على ظهر الأرض .. إنها لا شك مجرد قصة .  
ولم تنبس الأم بينت شفة .. ومدت يدها في الظلمة  
فتحسست رأس ابنتها وضمتها إلى صدرها برفق .  
وكانت القصة قد استرعت كل اهتمام الفتاة واستحوذت

على كل تفكيرها .. حتى كادت تنسيها مسألتها الأصلية .  
ولكن لم تكذب تمضي برهة وهي مستندة إلى صدر أمها  
حتى عاد السؤال يلح عليها ، وصاحت بأمرها فجأة :

— ولكنك يا أماه .. لم تجيبي بعد ، على ما سألتك  
عنه .. لم تبشيني بعد بحقيقة ما أقض مضجعي .

وصمتت الأم ، ولم تجب في أول الأمر ، ورفضت الفتاة  
رأسها إليها متوسلة بقولها :

— أريحيني يا أماه .. قولي أي شيء ! .. إني لن أقتل  
نفسى .. أهو ابنك حقاً ؟

وأخيراً جداً .. وببساطة عجيبة أجابت الأم :  
— نعم !

وندت عن الفتاة صرخة دهش وعادت تردد في ذهول :  
— نعم ! ؟

وأحست بأنها تنهار تماماً ، ولم تستطع المقاومة فاندفعت  
تنشج في بكاء عذيف دافئة رأسها في صدر أمها .  
وهتفت بها الأم :

— كفي عن البكاء .. فليس هناك ما يدعو إليه ..  
إنه ابني .. وليس ابني .. وأنتى ابنتى ولست ابنتى .. إن هذه  
المرأة التي تقولين عنها لا يمكن أن توجد على ظهر الأرض  
هي أنا .. أنا تلك المخوفة العجيبة الشاذة .. التي أفتت عمرها

بين الأطلال ، والتي ترملت دون أن تزوج ، والتي أنجبت  
ابنة دون أن تحمل أو تلد .. لقد واصلنا الحياة سوياً .. أنا  
وأنت وجدك .. حتى حانت منية جدك بعد عام أو بعض  
عام ، وبقينا في الحياة وحيدتين أنا وأنت .

بقينا وحدنا في الدار الطويلة العريضة ، وبقى لنا من  
الدخل ما أعاننا على الحياة ، وما أعانني على تربيتك تربية  
مثلى .. ولقد تركنا الدار ، فما كان بنا من حاجة إلى تلك  
الحجرات الفسيحة .. ومكثنا في هذه الفيلا الصغيرة ..  
وانقطعت كل صلة لي عن بقية الناس .. لا أزور ولا أزار ،  
حتى صاحبتى لم أعد أراها بعد أن تزوجت .. وانشغلت  
ببيتها وأولادها .

كنت أنت هدفي في الحياة وكانت سعادتك هي بغيتي  
ومطلبي .. وكنت أنت عوضى عن كل شيء .. عوضى عن  
الأهل القساة ، والحياة المضطربة المنهكة ! عوضى عن أهلك  
الحبيب الراحل ، وجدك الطيب الحنون .. عوضى عن أمك  
الطيبة التي عاشت غريمتى ، وماتت وهي أعز الناس لدى .  
لقد كرست حياتى من أجلك .. ولأول مرة شعرت  
أن القدر كافأنى وأن جهدى لم يذهب سدى .  
إني لم أر ابني الحقيقي منذ تركته ، فلقد تعاونت ظروف  
أبيه وقسوته على حرمانى منه .. كان دائماً مع أبيه خارج

القطر ، أو يبدو لي أن أباه قد قصد ذلك ، وأنه لم يرغب في  
البقاء في مصر بعد أن هجرته ، أو بعد أن طردني ، واستمر  
معناً في السفر .

ولست أظني أشعر بشوق كبير إلا رؤيته .. ولا بحنين  
إلى لقائه .

الدم يحن .. هراء .. ذلك الذي يقولون عن الدم  
الذي يحن .. إنها مسألة عشرة لا أكثر ولا أقل .. إنني  
لم ألدك .. ومع ذلك لا أطيق عن فرقتك صبراً .. وإنني  
ولدتك ، ومع ذلك فاني واثقة أننا لو التقينا ولم أعرف أنه  
ابني ولم يعرف أنني أمه .. لمررت أحدهما بالآخر مرّة الكرام .  
إنني إذا أحببته الآن .. فسأحبه كزوج ابنتي .

وأحست « سامية » بسعادة عجيبة ، وهي تسمع أمها  
تدعوه بزواج ابنتي .

إن المسألة إذاً تعتبر منتهية .

ولكنها ما لبثت حتى تجهم وجهها .. وداخلها خاطر  
أوجست منه خيفة ، وملاها بالوساوس والشكوك .

ماذا يقول أبوه إذا علم بأمها ؟ . أما زال يكرهها ؟ لقد  
رفض فيما مضى عودتها ، وحرّم عليها رؤية ابنها .. أيقبل  
بعد هذا أن يزوجه ابنتها ؟

واتخذ السؤال طريقه إلى شفيتها متردداً حائراً ..

وأخيراً لفظت به متسائلة :

— ولكن يا أماه . أترين أباه سيقبل أن يزوجه لي ؟

وقالت الأم في حدة :

— يقبل ؟ طبعاً يقبل .. أهنأك خير منك على ظهر

الأرض .. إن أباك خير منه .. وأنت مثل للزوجة .

— ولكن أترينه قد نسي ؟

— وما شأنه بي .. إذا لم يكن قد نسي فانك تستطيعين

التبرؤ مني ، ومن أمومي .

— لا تقولي مثل هذا القول يا أماه .. إنك لدى خير

من الدنيا بأسرها ..

— على أية حال لا تتعبى رأسك كثيراً .. دعى الأمر

للغد .. فقد يديره الله بحكمته .



# الخاتمة

تعددت وجهات النظر في هذا الموضوع، فبعضهم يرى أن  
نظامنا التعليمي لا يهتم بتربية الإنسان بل يهتم  
فقط بتعليمه، فبعضهم يرى أن النظام التعليمي  
له دور كبير في تربية الإنسان، فبعضهم يرى  
أنه لا يهتم بتربية الإنسان بل يهتم فقط  
بتعليمه، فبعضهم يرى أن النظام التعليمي  
له دور كبير في تربية الإنسان، فبعضهم يرى  
أنه لا يهتم بتربية الإنسان بل يهتم فقط  
بتعليمه.

١٦



استيقظت « سامية » في الصباح ، أو على الأصح غادرت  
فراشها ، فما نظن أن التوم قد قارب جفنها من فرط ما كان  
في نفسها من انفعالات صارخة صاخبة .

كانت أفكارها مختلطة مشوشة . . لا تكاد تستبين منها  
شيئاً محددًا واضحاً . . فقد هزتها الصدمة التي تلقتها في ليلتها  
الماضية هزة عنيفة . . كانت أشبه بزلزال يقرب أسفل  
الأرض عاليها ، وعاليها أسفلها .

ما كل هذه الخفايا التي كان يخفيها سطح حياتها الهادي .  
الراكد؟ . أحقاً قد احتوى الماضي المطوى كل هذه  
العجائب؟ !

أباها ، ومذكراته . . أمها الأولى ، وأمها الثانية ، أو  
الراحلة والباقية . . الميتة والحية . . الصحيحة والزائفة .

زائفة؟ ! حاشا لله ، إنها ما أحست بجهالها أقوى منه  
الآن . . لقد صدقت في قولها ، إن صلوات القربي لا تقوم  
على صلوات الدم ، بل على العشرة الطويلة والحب الصادق  
العميق .

لقد كانت أمها خلال تلك الفترة الماضية من حياتها ،  
وستبقى أمها إلى الأبد .

وابنها؟ !

عجبا! أن يكون ابنها!  
ولكن لا.. ليس عجبا! إنها أحبته - دون بقية  
خلق الله - حبا جنونيا. ألا يحتمل أن يكون ذلك مرجعه  
لأنه ابن أعز مخلوقة لديها?  
إنهما يستطيعان الآن الزواج!  
حمداً لله.

ماذا كان يمكن أن يحدث لو كان هو فعلا أخاها?  
لا. لا. إن هذا أمر لم يكن يمكن حدوثه، لأنها تحبه حبا  
عنيفا، والقلوب تستطيع أن تميز الشخص الذي يجب أن  
تحبه والمحرم عليها حبه.

إن العقدة قد حلت.. لقد عقدها القدر ثم أسرع بحلها،  
عقدها بطريقة روائية مفاجئة، وحلها بنفس الطريقة.  
كل شيء على ما يرام.. إنه يستطيع أن يتقدم الآن  
لخطبتها رسميا.. وفي بضعة أيام ينتهي الأمر.  
ولكن.. هناك أبوه، و«الحاجة»!

إن «الحاجة» لا بد قد أنبأت أباه بالأمر، وإذا كان  
قد سبق أن رفض عودة أمها إلى بيته، وحرّم عليها رؤية  
ابنها.. أيعقل بعد ذلك أن يرضى بهذا النسب؟!  
أيمكن أن يقبل هذا الوضع العجيب والصلة الجديدة؟

أيرضى بأمها .. حماة لابنه؟ أيرضى بأن تعود المياه إلى  
مجارها بعد هذه القطيعة الطويلة؟

لم لا؟!

ولم نعم؟ إنه عنيد!

ولكن ابنه سيصر .. سيزوجها رغم كل شيء.  
سيضحى بأبيه من أجلها، وستضحى هي بالعالم كله من أجله.  
وأمها!! أمها!! لا!! لا!! إن أمها أولاً.  
وهكذا استمرت الأفكار تصطبغ في رأسها حتى  
تركته يكاد ينفجر.

وجلست وأمها إلى الإفطار، ولم تتناول كل منهما  
إلا لقمة معدودات، ورشفة من فنجان الشاي.  
ولم تجرؤ «سامية» على أن تبدأ الحديث، رغم أنها  
كانت تتلف على ما تتوى أمها عمله.

وأخيراً تحدثت الأم محاولة أن تضحى على قولها شيئاً من  
المرح وأن تزيل عن نفسها ذلك العبء الجاثم من ليلة أمس،  
قالت:

— أظن من الخير أن أقوم بزيارة لهم لتسوية الأمور مع  
أبيه .. لا بد من الذهاب حتى أقنعه بأن يسدل ستاراً كئيفاً  
على ما مضى، وألا يجعل من ماضينا معاً عقبة في سبيل  
مستقبلنا، سأرجو منه أن يعتبرني غير كائنة، وألا

يعتبر أن هناك أية صلة بيننا ، وأنا بعد كل شيء .. لست  
أملك الحقيقة ، فمن الجنون أن يأخذك بجزيرتي نحوه .

— ما هذا الذي تقولين يا أماء ؟ لقد قلت لك ، إني  
أفضلك على كل شيء .. إني أستطيع أن أجد زوجاً آخر ،  
ولكني لا أستطيع أن أجد أمماً أخرى !

— يا حبيبتي .. هذه حياتك ، وهذا مستقبلك ، وأنا  
لم أبلغ من الأنانية إلى الحد الذي يجعلني أحرملك نصيبك من  
السعادة والهناء .. لقد كان كل هدفي في الحياة هو أن أبقى  
بجوارك لأسعدك ، والآن يجب أن أتحنى عنك لنفس  
السبب . إن غرضي أولاً هو سعادتك .

— سعادتى لن تكون إلا برضائك أنت ، وسعادتك  
أنت .

— على أية حال . ليس هناك ما يمنع من زيارتي له ..  
فربما يكون الزمن قد أزال ما علق به منى .. وقد تكون  
السنون أنسته الذكريات المريرة .

— لا .. لا .. لن تذهبي .. إنهم هم الذين يجب أن يأتوا .  
أنا لم أرخص بهذا القدر حتى تذهب أمى لكي تخطب لى ..  
إنك ستبقين هنا مكرمة .. وإذا كان هو يريدنى حقاً ..  
فليأت إليك .

— أوكد لك أنى لن أشعر مطلقاً بأية غضاضة

في الذهاب إليه .

- ولكني أنا أشعر .. إنك أمي ، ولا أحتمل قط  
أن تقني من أي أحد موقف الرجاء والسؤال .. حتى  
ولو كان من أجل مستقبلي .. لقد عودتني دائماً أن أحصل  
بنفسي على أريد .. فدعى الأمر لي .  
- هذا أمر أخطر من أن أدعه لك .. إنه واجبي  
نحوك .

- على أية حال دعينا ننتظر اليوم .. فقد يدبرها الله  
كما قلت بالأمس .

وسمعت كلتاهما صوت عربة تقف بالباب .. وأحست  
«سامية» برجفة شديدة .. أي يمكن أن يكون قد أتى هو لإنهاء  
الأمر .. بعد أن سواه مع أبيه ؟ ليته يكون قد فعل .. ليته  
يأتي .. حتى يجنب أمها مرارة الرجاء وذل الاستغفار .  
ونهدت إلى الباب لترى القادم ، فأبصرت سيدة كبيرة  
في مثل سن أمها تنزل من العربة وتجتاز الممر المؤدى إلى  
الدرج ، ثم ترفع بصرها إليها متسائلة في رفق وبشاشة :  
- أظنك سامية ؟

- أجل يا فندم .. أنا سامية .. تفضلي .

- ماما موجودة ؟

- أجل ! موجودة .. تفضلي .

وصعدت السيدة الدرج . وقادتها « سامية » ، إلى حجرة  
الصالون ، وعادت إلى القاعة فسألتها أمرا :

— من؟

— سيدة تسأل عنك .

وبعد لحظات قصار كانت الأم تقف بباب حجرة  
الصالون وتهتف في دهشة شديدة ، وفرحة بالغة :

— أنت؟ بعد هذه الغيبة الطويلة ، أراك أخيراً . .

أهلاً وسهلاً . . . حمد الله على السلامة . . كيف حالك؟  
وما أخبارك؟ وكيف حال أولادك وزوجك؟

— بخير كلهم .

— أي ريح طيبة قذفت بك إلي . . بعد طول غياب؟

وأجابت الضيفة ضاحكة :

— إنها ريح طيبة حقاً . . إني قد أتيت إليك . . طالبة

القرب . . أتصدقين هذا؟

وبلغ هذا القول الضاحك مسامع « سامية » ، وهي تقف

في القاعة تعد أكواب المرطبات لتقديمها إلى الضيفة . .

وتملكتها الدهشة وأرهفت أذنيها فسمعت أمرا تتساءل :

— طالبة القرب؟ حقيقة؟

— أجل حقيقة! بعد هذا الفراق الطويل يشاء الله أن

يجمعنا مرة ثانية ، وفي هذه المرة برباط نسب متين .

وكانت الأم في حالة دهشة وعجب لم تمكنها من أن  
تقول شيئاً .

واستمرت الضيفة في حديثها قائلة :

— لقد دهشت أكثر منك .. فقد كان يحدثني عنها ،  
وأنا خالية الذهن تماماً ، عن أنها « سامية » التي أعرفها ..  
ولقد أصررت على أن آتي خطبتها .. ولكن لم أشأ أن أتقدم  
إلا بعد البحث والاستقصاء .. ولشد ما أدهشني أن أعرف  
أن المسألة في بيتها .. وأني لن أخطب غريبة .. بل حبيبة ،  
وابنة حبيبة .. إنها لا تعرفني .. وأنا أيضاً لم أكن أعرفها  
إلا بالتخمين .. إني لم أرها منذ ان كانت طفلة ،  
لقد أصبحت فتاة يافعة مكتملة .. إنه معذور في  
لهفته عليها .

من هو ؟

كانت « سامية » تنصت مشدوهة مذهولة .

أيمكن أن يكون حبيبها « كال » ؟

ولكن من هي ؟ وما صلتها به ؟

أمعقول أن تكون هذه هي « الحاجة » ؟

لا .. لا .. إن هذه سيدة أرستقراطية .. و « الحاجة » ،

مجرد « دادة » لا تزيد عن خادمة .

إذا من تكون هذه ؟ وما تلك الأحاجي والألغاز ؟

وكانت الأم صامته مطرقة الرأس ، والضيقة مستمرة  
في حديثها :

— لقد قال لي إنه مذراها في أول مرة في المعهد ..  
أحس أن هذه هي زوجته .

المعهد !! عجباً !! لا بد أن يكون « كمال » ، ولعل السيدة  
خالته أو إحدى قريباته .

أجل ! أجل ! لقد وضع الشك .

وامتمرت السيدة تقول :

— لقد كان « أنور » دائم الاعراض عن الزواج !!  
كان يفضل دائماً أن يكون حراً طليقاً .

أنور !! أنور !! أنور من ؟

زميلها في المعهد .. المحامي المهذب الرقيق .. الذي ظل  
يوصلها بعربته كل يوم إلى البيت ، والذي سأها مرة أن يقبل  
يدها .. عجباً له ! أكان جاداً في شعوره نحوها إلى هذا الحد ؟  
لشد ما يسوءها أن تحذله ، ولكنها لا تستطيع إلا أن  
تفعل .. إن هناك من احتل قلبها وذهنها ونفسها .. إنها  
لا ترضى به بديلاً ، ولا تقبل عنه عوضاً .

يا للفتى الطيب اللطيف .. لشدما يحزنها أن ترده فاشلاً .  
ولكن من تكون أمه ؟ وما سر صلتها الوثيقة بأمها ؟  
وعاد صوت السيدة يقرع أذنها مرة أخرى :

— من كان يخطر له ببال .. أتى سأتى إليك في يوم ما

خاطبة؟

« ومن كان يخطر له ببال ، أتى سأردك خائبة ؟ » .

بهذا حدثت الأم نفسها ، والآسى ملء جوانحها .  
ولاحظت السيدة ما يبدو على الأم من حزن ووجوم ..  
فسألتها في عجب :

— ما بالك مطرقة ؟ أهناك شيء يزعجك ؟

وصحمت الأم فترة قبل أن تجيب في صوت ملؤه الآسى :

— الواقع أتى لا أدري كيف أجيبك .. يبدو لي أن  
القدر يأتي إلا أن يعيد مفاجآته وسخرياته بعد طول هدوء  
رسكينة .. ما كنت أظن أن هناك شيئاً يسعدني قدر أن  
أرتبط معك بصلة نسب وقدر أن ألبى لك طلباً ..  
أى طلب .. مهما كان عسيراً . ولكنى الآن بعد هذا العمر  
الطويل .. أجد نفسي عاجزة عن تلبية أبسط طلباتك .  
الطلب الذي اعتبره جميلاً منك لي وفضلاً لك عليّ .

وصحمت الأم برهة ثم أردفت قائلة في أسف شديد :

— إن ابنتي قد خطبت .

ووجعت السيدة ، وفغرت من العجب فاهها ، وتمتمت

قائلة :

— خطبت؟ .. مبروك .. كان يجب أن أعرف ذلك .  
منذ متى خطبت؟

— منذ أيام قلائل .. ليست خطوبة تامة .. إنها شبه  
خطوبة ، أو أمل في خطوبة .

— لست أدري ما تعنين؟

— قبل أن أشرح لك .. أظن أن من الخير أن أنبئك  
من يكون الخطيب؟ ومن تظنينه؟

— من يكون؟

— كمال؟

— كمال من؟

— كمال .. ابن عبد الرحمن بك .. أو ابني أنا ، الذي  
أنبأك أبوه عندما ذهبت لتسأليه الصفح والمغفرة أنه سيحرم  
على رؤيته ، وقد فعل ، فلم أراه حتى الآن .. ولكنه رأى  
«سامية» وخطبها . رأيت أشد من هذا سخرية من القدر؟!  
وهتفت الضيفة تقول مشدوهة :

— ماذا تقولين؟ .. خطب «سامية»؟ وأين التقى بها؟  
وكيف رآها؟

— رآها في المعهد .. كما رآها «أنور» .. لقد اشتغل  
معيداً في الجامعة عقب عودته من كبردج .. وكان يقوم  
بتدريس الإنجليزية لها .

— مدهش! ما سمعت أعجب من هذا قط .. هذا شئ  
لا يمكن تصديقه .

— هذا هو ما حدث .. لقد سألتها الزواج منذ أيام ،  
— وماذا قال أبوه ؟

— لا أحد يعرف بعد .. من يدري ماذا يمكن  
أن يقول !

— أتظننه سيقبل ؟

— الله أعلم .

وعاد ذهن الضيفة القهقري إلى أعوام خلت ، وتذكرت  
ذهابها إلى الرجل في بيته وتراجوه إعادة زوجته والعفو عنها ،  
وكيف صدها ونهرها وازدراها واحتقرها .. ونظرت إلى  
الأم المطرقة الجالسة أمامها في وجوم ، وأحست لها برثاء  
شديد عندما سمعتها تهمس قائلة :

— هذه المرة .. لا يعنيني الأمر وحدي .. بل يعنى  
مخلوقة أعز عليّ من نفسي .. لقد ضربت به عرض الحائط  
لأن الأمر كان أمري .. أما هذه المرة .. فإنه أمرها هي ..  
أمر سعادتها ومستقبلها وهنائها .. ولست أطيق أن أراها  
تشقى .. لا بد أن أطأ طيء الرأس .. وأرجو وأتوسل ..  
ولا أظنه سيظل حاقداً عليّ بعد هذا العمر الطويل ..  
ولا أعتقد أنه سيأخذها بجريرتي .

رساد الصمت مرة أخرى .. وعادت السيدة ترقبها في  
عطف شديد .

مسكينة ! .. إن القدر يأبى أن يتركها تهدأ وتستريح ..  
كيف تذهب لتتذلل إليه بعد هذا العمر الطويل !! إنه رجل  
حقود ممرور ، ولن يتورع عن صدها وخذلانها وإذلالها .  
ولم تملك إلا أن تلتقي إليها يبضع كلمات على سبيل المواساة  
والتشجيع قائلة :

— لا تحزني ولا تينسي .. دعى الامور لله يدبرها .  
— الله يدبر أموري أنا ؟ .. أموري أنا ؟ .. بيدولى  
أنه قد تخلى عنى تماماً !  
— لا .. لا .. لا تينسى من رحمة الله أبداً .. إني  
أسفة من أجلك .

— أنا الأشد أسفاً .. ماذا ستقولين لأنور ؟  
— لا شيء .. سأقول له إنها ليست لك ، فدعك منها ،  
ولكن أين سامية ؟ لم لم تحضر لأراها !  
رنادتها أمها .. فأقبلت وهي تحاول أن تخفى عنها ذلك  
الوجوم الذى تملكها .

إذا فهذه هى الصديقة القديمة لأمها .. التى كانت لها  
خير العون ونعم النصير ، والتى لم تحذها عندما خذها سائر  
الأهل والأقرباء .

يا للسخرية !! لقد خذلتها هي في أول مطلب لها !  
ورحبت السيدة بها ، وجرى الحديث في أمور عادية ،  
فسألتها عن الدراسة والجامعة ، ولم تشر إحداهما إلى ماجرى  
قبل ذلك من حديث .

وأخيراً نهضت منصرفة وودعهما قائلة :  
— أرجو أن أراكما قريباً ، هذه فرصة سعيدة لإعادة  
الصلة بيننا مرة أخرى .

وجلست الأم وابنتها وحدهما وقد ران عليهما صمت.  
وبدا عليهما الشroud .

وأخيراً قالت الأم :  
— أتعرفين من هذه ؟

— أجل أعرف كل شيء ، وسمعت كل شيء !  
وصمتت الأم برهة ثم عادت تقول :

— لقد ساءنى منها فيما مضى أن ذهبت إليه ترجوه  
الغفران .. أما الآن فكم أتمنى لو تعاود الكرة ، إن الأيام  
تجبرنا دائماً على أن نتلف على ما كنا نسخر منه .. إنها خير  
من تقوم بمهمة الوساطة ، ولكن كيف أسألها ذلك ، وهي  
قد أتت لخطبتك لانبها فردت مخدولة ؟ . كيف أسألها أن  
تذهب لتخطب لك ؟

وبعد الغداء نهضت الفتاة إلى حجرتها ، وجلست  
وحدها شاردة الذهن .

ترى ماذا حدث لكإل؟ هل أنبات الحاجة أباه بحقيقة  
الامر؟ وهل ثار أبوه؟ ولكن « الحاجة » نفسها لا تعرف  
الامر على وضعه الصحيح . . . إنها تظن أنها ابنة أمه . . . تظن  
أنها وإل أخوة ، وهي ستنبئ أباه بالخبر ، وسيؤكد له  
أبوه بالطبع ويقص عليه قصة أمه بمخافيرها .

أترى سيحاول « إل » بعد ذلك لقاءها؟ أتراه سيحجى  
في الموعد بعد أن أقنعوه بأنها أخته؟

إنه قد يأتي إلى الدار لرؤية أمه ، ولكن . لا . لا تظنه  
يفعل ذلك ، فلا شك أن أباه والحاجة ، سوف يسممان  
أفكاره ويقنعانه بمقاطعتها كما أقنعا من قبل بأنها ميتة .

وعلى ذلك فلن يأتي إليها .

إذا فلا بد أن تحاول هي لقاءه وإحاطته بحلية الامر  
ولكن . . . ماذا سيكون رأيه؟ هل سيستمع على حبا  
كما كان؟

لا . لا . إنه لاشك سيعرض عنها .  
أف لهذه الأفكار التي تكاد تفجر رأسها ، لو استطاعت  
النوم ، أو الكف عن التفكير .  
واستلقت على الفراش . . . إنها لن تذهب إلى الموعد ،

ولئن تذهب إلى الجامعة ، ولن تفعل شيئاً أبداً .. إنها ستظل  
راقدة هكذا .. إنها جد منهكة .. جد منهارة .

وأغمضت عينيها ، وكان الجهد والسهر قد أخذ منها  
كل ما أخذ ، فتسلل النوم إلى عينيها وراحت في إغفاءة  
طويلة ..

ورأت فيما يرى النائم أحلاماً مضطربة مشوشة ما لبثت  
حتى استبانته ووضحت ، فوجدت نفسها تجلس بجواره  
في العربة وقد سارت تطوى بهما الأرض في طريق الهرم .  
وما لبثت حتى أحست بالطريق قد غمره الماء حتى صار  
نهرًا متدفقًا ، وإذا بالعربة قد أضحت قاربًا ، وجلسا كلاهما  
متجاورين متلاصقين ، وقد سار القارب بهما في رفق  
ينساب على سطح الماء ، وهب النسيم عليلًا هادئًا ، ولكنه  
أخذ يشتد شيئًا فشيئًا حتى انقلب إلى عاصفة هوجاء ، أخذت  
تدفع القارب أمامها بشدة ، وعلى حين غرة ضربته موجة  
عالية فقلبت رأسه على عقب .. وأمسك كل منهما بالآخر  
يضمه بشدة ، وأحست بجسديهما يهويان في الماء وكأن يدا  
قاسية تجذبهما إلى أسفل ، ونظرت وراءها فإذا بوجه عجوز  
تكشر عن أنيابها كأنها عفريت وقد تشبث بهما وأخذت  
تدفعهما إلى جوف الماء .

وحاولت الصراخ ولكن صوتها خرج متحشرجاً

منحوحاً . . . وبقناة أبصرت أمها تعدو على الشاطئ . وهي  
تقترب منهما مادة إليهما يدها . . . لإخراجهما ، ولكنهما لم  
تكذ تصل إليهما حتى أبصرت برجل يطبق عليها ويحاول  
أن يصرعها وأحست بنفسها تهاوى هي وصاحبها ، وبلغ  
بها اليأس مبلغه وهي ترى أمها تقاوم الرجل محاولة الإفلات  
لإنقاذهما . . . وأخيراً كادت تغلب على أمرها لولا أن بدت  
في الألفق امرأة تعدو إلى أمها فتشاركها في صراعها مع  
الرجل حتى تتغلبا عليه ثم تهبطا إلى النهر لإنقاذهما ، وتصل  
إليها الأم وهي في الرمق الأخير وتثبت بها صائحة :

— أماه؟ . أنقذيني !

وأحست بذراعين حنونين يضمهاها وسمعت صوت أمها  
يقول في لطفة :

— لا تصرخي يا حبيبتى . . . إني بجوارك !  
وفتحت عينيها فوجدت أمها تضمها برفق وتهتف بها  
في حنان :

— لا تبكي . . . أنبئيني عما أزعجك ؟  
وجلست الفتاة في الفراش وهي تحس بفرط التعب من  
الحلم المزعج ومن صراعها في الماء .

، ووجدت على وجه أمها فرحة ظاهرة ، وأدهشها  
ألا تجد به أثراً لذلك العبء الذي كان يثقل كاهلها منذ ليلة

أمس . . لقد بدت سعيدة قريرة ضاحكة وهي تقول لها :

— انهضى يا سامية ، والبسى ثيابك بسرعة .

— لمه ؟

— هناك ضيوف في حجرة الصالون . . يريدون

رؤيتك .

وبدت الدهشة على وجه سامية ، وهتفت :

— ضيوف ؟ يريدوننى أنا ؟ من يكونون ؟

— إنها أم أنور .

— أم أنور ؟ مرة ثانية ؟ لمه ؟

— اسرعى يا سامية . . ليس هناك وقت للسؤال .

وغسلت وجهها وأبدلت ثيابها ، وسارت إلى حجرة

الصالون ، وقبل أن تبلغها فاجأ أذنيها صوت حبيب إليها . .

صوت « كمال » .

وأصابتها هزة فرح ، واجتازت الباب ، فإذا بها تبصر

صديقة والدتها ، و « كمال » ، وكهلا آخر لم تره من قبل . .

ومدت يدها محيية ، وقال « كمال » على سبيل التعريف

يشير إليها وإلى الكهل :

— سامية خطيبتي . . عبد الرحمن بك أبى .

وأزدردت « سامية » ريقها وهي تلفت حولها في دهشة !

وقال « كمال » موضحاً في اختصار وهو يتسم في جذل :

— لقد أنبأت الحاجة أبي بالخبر ، وأرته الصورة  
ولم يكن هناك مجال للشك بعد ذلك ، ولقد أصبحت في حالة  
يائسة وحيرة شديدة . بعد أن علمت أنك أختي ، ولم أكن  
أعرف كيف أتصرف .. حتى أقبلت علينا السيدة والدة  
الأستاذ «أنور» ، وطلبت مقابلة أبي ، وذكرته بنفسها  
وقالت له إنها تزوره للمرة الثانية بنفس الرجاء ، وهو الصفح  
والعفوان .. ثم شرحت له جلية الأمر ، ولم نجد هناك  
ما تفعل بعد ذلك أفضل من أن ننقل إليك لنهي المسألة  
نهائياً .. حالا .. وبلا أقل انتظار .

وضحك أبوه قائلاً :

— أمتعجل إلى هذا الحد؟

— أجل متعجل جداً .. خشية أن يظهر القدر بمفاجأة  
جديدة .. سأخذها معي الآن وسرحل عنكم ، وقانا الله  
شراً مفاجآتكم .

— إن مفاجآتنا ستكون سارة .. لا تخش شيئاً .  
واستمر الحديث يجري بينهم مرحاً ضاحكاً .. حتى  
نهض «كامل» قائلاً :

— أظن قد آن لنا الانصراف .. سأخذ سامية معي  
لألبسها «الدبلة» ! .

وقامت السيدة والدة «أنور» وشدت على يدهم في حرارة

وقالت لصديقتها:

- إني أحس الآن بمنتهى السعادة .. سعادة أكبر  
كثيراً مما لو كنت قد خطبتها إلى ابني .. سأذهب إليه الآن  
وأقول له إني خطبتها لغيره .

وانجهدت السيدة إلى عربتها، ووراءها دكال، و«سامية»،  
وفي المؤخرة سار الأب بخطوات متباطئة، وقد أخذ ينظر  
إلى الأم نظرات مترددة كأنه يود أن يقول شيئاً ..  
وأخيراً أس:

- أستيقين وحدك؟! إني على استعداد لعودتك ..  
إني آسف على ما مضى .. هيا بنا، ودعينا ننسى كل شيء ..  
وأجابته في صوت خافت يائس:

- بعد هذا العمر الطويل؟ .. لا .. لم تعد هناك  
فائدة .. لقد تعودت الوحدة، والنهاية لم تعد بعيدة ..  
ونظر إليها نظرة ملؤها التوسل، ولكنها هزت رأسها  
في أسف ويأس ..

وتحرك الركب ووقفت هي في الشرفة ترمقهم وتلوح لهم ..  
عندما اختفى الركب .. كان هناك شيء آخر يوشك  
أن يحدث ..

كان هناك القرص الأحمر الدامي يغيب ببطء وراء  
الأفق ..

ووقفت ترمق القرص ينساب في هدوء ، وأحست كأن  
ذيول الأشعة الحمراء يدتمر على جبينها برفق وحنان ..  
وبدا لها في الشفق الأرجواني شبح ابتسامة رقيقة .  
وهبت نسمة سرت في أطراف الشجر ، فأرسلت من  
الورق حفيفاً خيل إليها أنه يهمس بها :

« .. وأنت .. أنت يا توأم الروح .. يا منية النفس  
الدائمة الخالدة .. يا أنشودة القلب في كل زمان ومكان ..  
مهما هجرت .. ومهما نأيت » .

وعندما أوشك القرص الدامي على الاختفاء .. عاد  
الحفيف يردد :

« ارقبيه جيداً .. وإذا رأيت مغيبه وراء الأفق  
فاذكريني » .

واختفى القرص ، فاستدارت يبطء عائدة إلى الدار  
الخالية .. وفي حجرها مدت يدها إلى أحد الأدراج  
فأخرجت منه صندوقاً صغيراً .. أخذت تتحسس محتوياته  
بحنان شديد .

كانت المحتويات رسائل قديمة ، وصورة باهتة ، وفتاتاً  
من الشكولاتة ، وهشياً من زهور البنفسج .  
كانت بقاياها .. أو أطلاله .

كانت تلك هي كل ما تبقى لها من سلوان في الأرض ..  
وفي السماء ..

إن عزاء الياثسين من الحياة ، هو أمل في لقاء في السماء ..  
أما هي .. فلن يكون لها حق اللقاء .. حتى في السماء .

إن زوجته قد سبقتها هناك إلى اللقاء .  
يا للعمر الضائع سدى .. الذاهب هباء !

أيخلق التويمان في هذا الوجود ، فلا يلتقيان إلا لقاء  
مسافرين في قطارين متضادين .. لا يبصر كلاهما الآخر  
إلا لحظة يطويهما بعدها الفراغ ويلفهما العدم .. بلا أمل  
في عودة أو رجاء في لقاء ؟

لحظة واحدة .. تعادل العمر كله .. ورب لحظة كيوم ،  
ويوم كعام .. وعام كدهر .

لحظة واحدة .. تخلد في النفس أبد الدهر .. هي ذخيرة  
الحياة ، وما بعد الحياة ، لو كانت هناك ، بعد الحياة ، حياة .  
وأمسكت بالرسائل والزهور ، فرفعتها ببطء إلى شفيتها ،  
وبدا وجهها الحزين ، وقد نشر عليه الأسي ظلاله ، وهبطت  
من مقلتيها قطرات من دمع جموح شرود .. أطلقتها  
الذكرى ، وألهبها اليأس والجوى .

وانسابت الدموع فامتزجت بهشيم الزهور ، واختلطت  
بالسطور .. كأنها تؤكد اختلاط الروحين ، وامتزاج

المهجتين . . وإن كانت إحداهما في الأرض والأخرى  
في السماء .

وسقطت الظلمة . . فلفت في حناياها الجسد الواهن ،  
والنفس المضناة . . التي لا تملك من عزاء . . في حياتها الفانية  
والباقية ، سوى العيش بين الأطلال .

[ تمت ]



# فهرس

الإهداء... .. ٥

المقدمة... .. ٦

## الجزء الاول - موط على قلب

١ - امتحان... .. ١١

٢ - هزلت... .. ٢٧

٣ - غيبة... .. ٤٥

٤ - أمنية تتحقق... .. ٧٧

٥ - أجيبي يا أماء... .. ١١٣

## الجزء الثاني - القصة الازهرية

٦ - صراع في نفس... .. ١٣٩

٧ - غير مذنب... .. ١٦٣

٨ - ألوان من الغيرة... .. ١٩٣

٩ - بداية النهاية... .. ٢١٩

١٠ - وداعاً... .. ٢٤٣

## الجزء الثالث - شمس غاربة

١١ - النصف المحرم... .. ٢٧٩

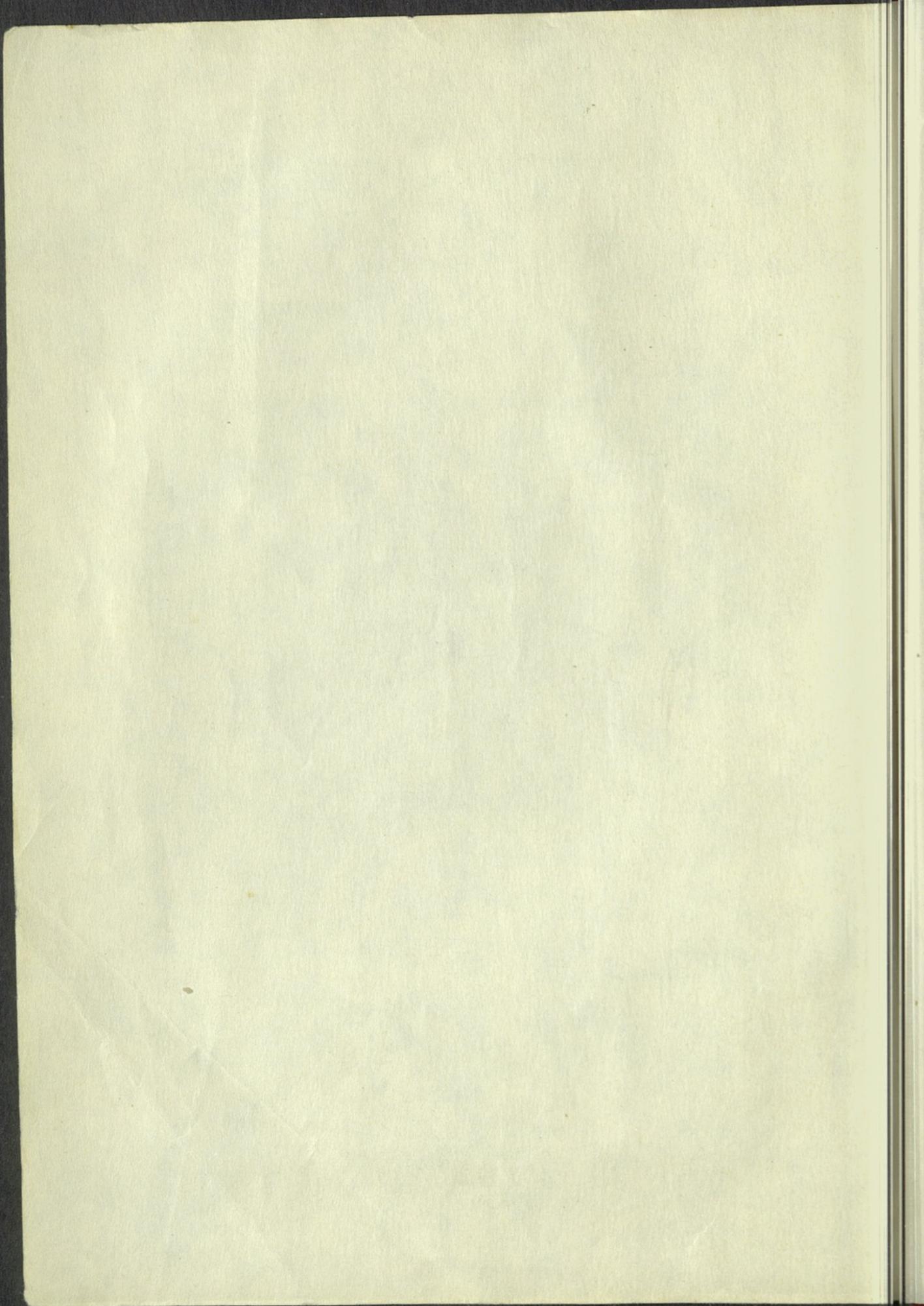
١٢ - أما من نظرة!... .. ٣٠٥

١٣ - نداء... .. ٣٢٥

١٤ - في العرين... .. ٣٥٩

١٥ - ساكنة الدمن... .. ٣٩٣

١٦ - الخاتمة... .. ٤٢٥



فهرست

۱- ...

۲- ...

۳- ...

۴- ...

۵- ...

۶- ...

۷- ...

۸- ...

۹- ...

۱۰- ...

۱۱- ...

۱۲- ...

۱۳- ...

۱۴- ...

۱۵- ...

۱۶- ...

۱۷- ...

۱۸- ...

۱۹- ...

۲۰- ...

۲۱- ...

۲۲- ...

۲۳- ...

۲۴- ...

۲۵- ...

۲۶- ...

۲۷- ...

۲۸- ...

۲۹- ...

۳۰- ...

۳۱- ...

۳۲- ...

۳۳- ...

۳۴- ...

۳۵- ...

۳۶- ...

۳۷- ...

۳۸- ...

۳۹- ...

۴۰- ...

۴۱- ...

۴۲- ...

۴۳- ...

۴۴- ...

۴۵- ...

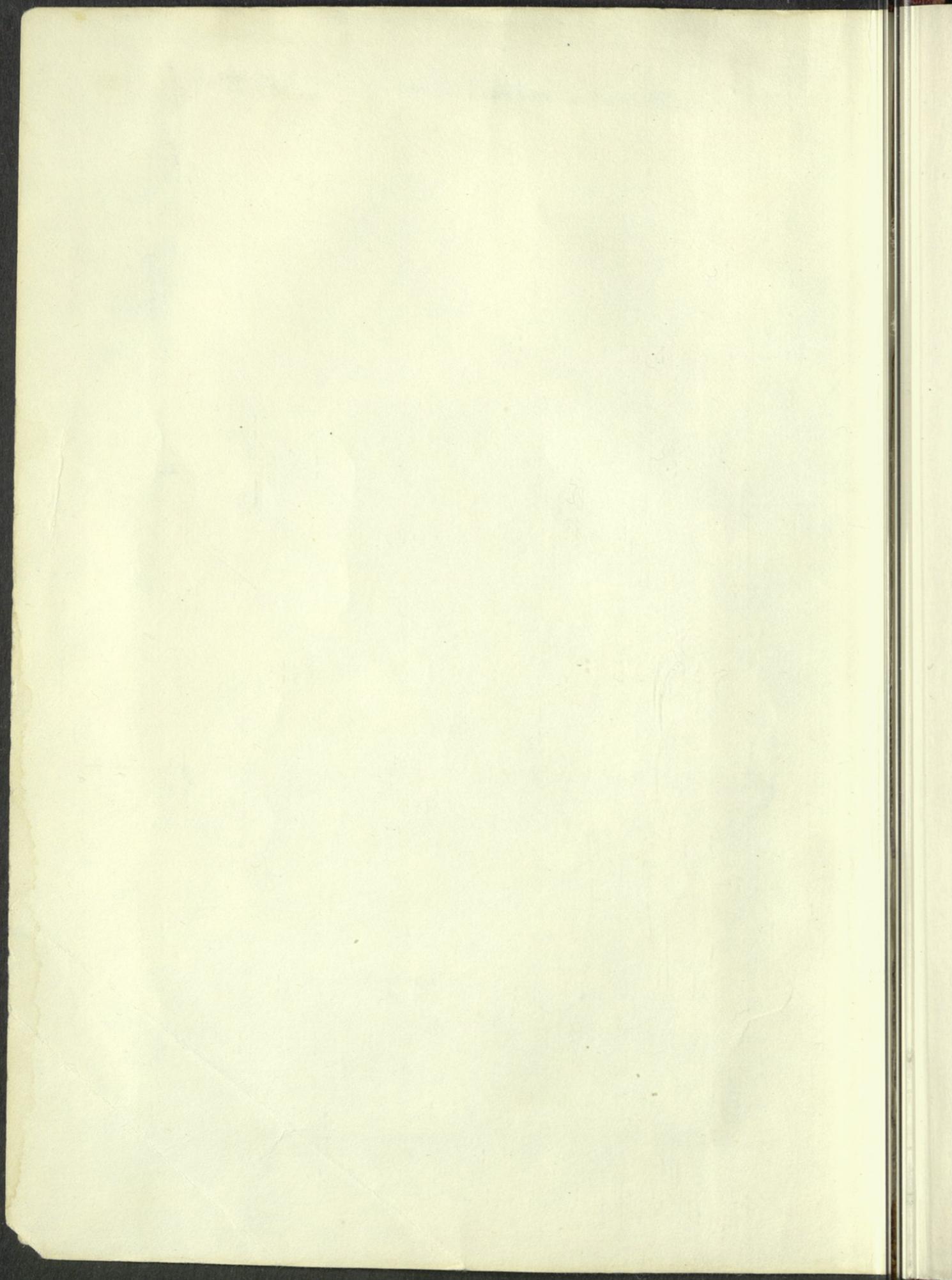
۴۶- ...

۴۷- ...

۴۸- ...

۴۹- ...

۵۰- ...



DATE DUE



892.78:S563bA:c.1

السباعي، يوسف

بين الاطلاع

AMERICAN UNIVERSITY OF BEIRUT LIBRARIES



01046537

892.78

S563bA

